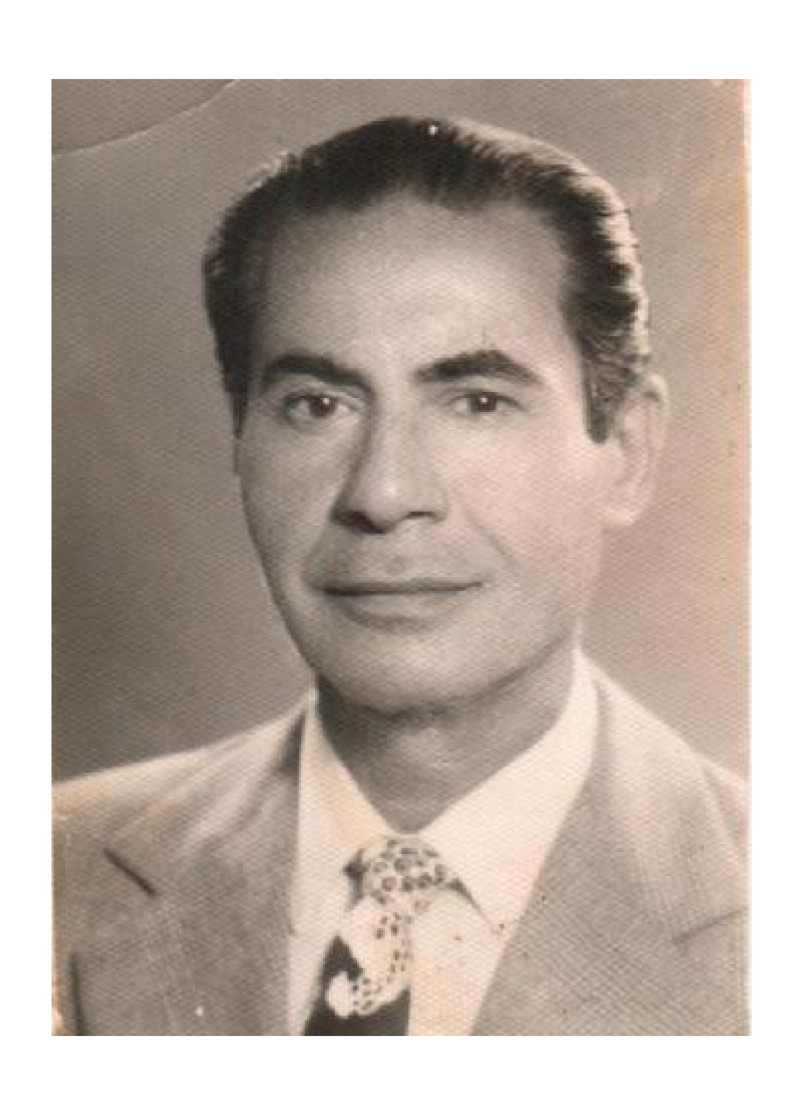


# نوري جعفر

## رجل النهضة والاصلاح

الكتاب: نوري جعفر رجل النهضة والاصلاح

تأليف: ياسر جاسم قاسم

تقديم: ا .د  عبد الكريم راضي جعفر

الطبعة الأولى: ٢٠١٠

تصميم الغلاف:



رند

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠-  ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

ياسر جاسم قاسم

# نوري جعفر

## رجل النهضة والاصلاح



# الاهداء

اليك يا نوري جعفر وانت ترقد في ليبيا بسلام...

الى روحك الوهاجة بالعلم الصافية بالادب الرفيع...

الى انسانيتك المستلة من خلق رفيع وادب ملتزم...

الى كل من يحب نوري جعفر ويريد الاستزادة من علمه الوضاء....

الى الاخت الفاضلة نجود التي عرفتني على نوري جعفر الانسان....

الى والدي الكريمين ، تحية حب واعتزاز لهما...

الى ام تيم الغالية التي ما انفكت تسالني عن نوري جعفر والتي ارهقتها كثيرا بمشاريعي الفكرية....

اهدي كتابي هذا....

«اننا نطمح ان يكون قريبا ذلك اليوم الذي يتحول الصف فيه الى مختبر يحضر اليه الطلاب للاكتشاف والبحث والاستقصاء وان كان الكثير مما يكتشفونه قد توصل اليه غيرهم»

**العلامة نوري جعفر**

# المقدمة

ثلثان من الفطنة وثلث من التغافل

العلامة الدكتور نوري جعفر ـ في السيرة والعلم....

## اولا :/ثقلُ الحجر الكريم:

١- لا تكاد تسمع له وقعا حين ينقل خطواته ، لانه ادرك ادراكا عميقا –هو ادراك العالم المتواضع- قول المعري:

**خفف الوطء ما اظن اديم الارض الا من هذه الاجساد**

ولا تكاد تسمع الصوت الهادئ المتهدج الذي ينطلق من حنجرة طرية مع انفراج ابتسامة تحمل كثيرا من التسامح والعفة ، ولا تكاد تلمح في عينيه المتوهجتين الدالتين على الذكاء المفرط ، الا الدهشة والاستبصار في ان واحد.

قلت له مرة –وقد تجاوز السبعين- : الندى سريع الزوال... لم ينبس ببنت شفة ، لكنه ربت على كتفي وحدجني.فهمت انا ما قلته ، ولم افهم تربيتته ، وانحرجت من الحَدّج.

٢- سئل مرة عن النصيحة التربوية التي يريد توجيهها الى جيلنا...قال

» ثلثان من الفطنة ، وثلث من التغافل»[1]. انه العلامة الاستاذ المتمرس الدكتور نوري جعفر صاحب نظرية (الابداع واليات الدماغ).

ان الحديث عن هذه الشخصية الفذة امر صعب ، على الرغم من قربي منه... ولعل هذه الصعوبة راجعة الى امر مفاده :ان الرجل لم يترك علامة —في مكتبته- تخص سيرته الذاتية... اقصد العلامة المكتوبة ، ولم يكتب ذكرياته. ويبدو لي ان تعلقه بهذا الاهمال — اذا جاز التعبير- يرجع الى عدم استقراره.فقد كان —رحمه الله- كثير السفر الى المؤتمرات العلمية ، والندوات ، ومتطرف الانزواء عن الاضواء... ويكفي — اعزز ما ذهبت اليه: الانزواء عن الاضواء ان اشير الى ان السيد حميد المطبعي — وكان يريد اصدار موسوعته عن الرواد — اتصل بالمرحوم الدكتور نوري ، ليكتب له عن حياته وسيرته العلمية ، غير انه كان يماطل بحجج كثيرة ، ولم يطق المطبعي صبرا ، فقد اتصل بي من اجل اقناعه... وحين حدثته بالامر ، اعتذر اعتذارا شديدا ، لانه — كما يزعم- لم يقدم اي شيء يستحق الذكر ، ولم يكن هو شيئا حتى يكتب عن نفسه... وحين ذكرته بصفات العالم التي التصقت به ، قال: انهم يبالغون.. لست عالما.

بهذا التواضع الجم ، كان الرجل يطاطئ راسه العالي ، ويخفض دماغه الموسوعي.. هذا الرجل هو الذي اختارته «رئاسة المجلس الدولي للموهوبين في امريكا... من بين خمسة من العلماء النفسانيين في العالم لالقاء محاضرات تربوية ونفسانية هناك عن: القدرة العقلية الفذة في مادة

---

١ - مع الدكتور نوري جعفر، عن التكنولوجيا والثقافة المعاصرة، اعداد: حسب الله يحيى، مجلة الفيصل، عدد ١٠٥ ، ربيع الاول ١٤٠٦(كانون الاول ١٩٥٨)، ص٣٨

الرياضيات....»[1] كان الدكتور نوري جعفر المحاضر العربي الوحيد الذي اسهم في هذا المؤتمر الذي عقد في مدينة سانت لويس الامريكية للمدة من ٦-١٠/١١/١٩٨٤ [2]

٣- قلت: لم يترك المرحوم ما يشير الى سيرته الذاتية ، غير انني استطعت الحصول على بعض المعلومات من مصدرين مهمين :الاول: سجل الخدمة الشخصية ، والاخر :مقابلة فريدة اجرتها الاديبة ابتسام عبد الله معه في منتصف السبعينيات ، سجلت على شريط فيديو ، فيه كثير من القطع ، تلك المقابلة مهمة ، لانها تلقي اضواء كاشفة على سيرته الذاتية والعلمية ، وعلى وفق ذلك ، وما تيسر لي من مكتبته العامرة ، كانت هذه الاسطر ، فضلا عن اثاره التي اخذت وقتا مني لجردها ، وتتبع المفقود.

٤- منذ ان غادرتُ دائرة اللونين: الاسود والابيض ، كان بيت اخيه الامي: راضي جعفر ، يتنفس الوان (قوس القزح) ومن ضمن هذه الالوان لون بهي ، تشهق منه الوان ملكية زاهرة بحروف فضية ، وذهبية ، ذلك هو لون الكتب التي كان يرسلها المرحوم العلامة الدكتور نوري جعفر من بغداد الى قضاء في اقاصي الجنوب ، هو قضاء القرنة ، ليقرأ فيها ولداك يا راضي – كما تقول رسالة بعث بها بيد من أئتمنه حزمة كتب – ويتعرفا على شمس لا تغيب.

٥- وتركض بي خيول الزمن التي تجر عربة من قصب ندي.. كان الامي: (راضي) يربّت على خدي بأنف ، ولحية تضايقانني ، كلما انغرست

---

١ - المكان نفسه.

٢ - ينظر: المكان نفسه.

قبلتـه ، وأرنبـة انفـه ، فأتضـايق مـن شـدة لصـقه ، ثـم أسـأله ؟ايـن اخـوك؟ عمـي؟ يرتـد بصـره حسـيرا ، وتـبرق عينـاه شـيبا ، وبصـوت متهـدج يجيـب بقسم: (بغربته... لا اعرف اين؟).

غبت اذن ، عن عمي ، وغاب عنا ، مرتحلا ، وفي يديه حقيبتان: الاولى: هدلت كتفه- على خفتها وثقلها-: عدته وعديده:اقلام ، وورق ، ومسودة كتاب جديد. والاخرى : ما تهيأ له من اربطة عنق زاهدة ، وبدلات شهدت معه السكن في حله وترحاله في بعض من ارض الله.

٦- ويأكل الزمن من فتوتي ، ومن شيخوخته ، لالتقيه في المركز الثقافي لجامعة البصرة – في السبعينيات- وهو يحاضر عن نظريته الموسومة ب(الابداع واليات الدماغ)... النظرية التي بسطها باسلوب رائق وشائق ، وبتواضع ثقيل لا يهد حيل نملة ليشيد له الحاضرون تمثالا من قوة علمية ، ونفاذ شخصية فذة ، صفق لها الجمع العلمي بحرارة. انه التواضع الذي هو سبب من اسباب القوة.

٧- وفي الزمن الرابع ، كنت في بغداد ، في الثمانينيات ، شمَمّتُ رائحة عمته : النخلة التي ترضعه على كبره وعلو قدره تمرها ، وتنفست تراب مكتبته التي تحتضن المصدر العربي النادر المضيء ، والمصدر الاجنبي الذي فتح له باب (تشريح الدماغ) ، فضلا عن تخصصه الذي بلوره استاذه الكبير الفيلسوف جون ديوي ، غير انني لم احظ منه بصحبة وافرة ، لانه كان ذا ارتحال دائم الى المؤتمرات العلمية العالمية ، وانشغاله بمدارس الموهوبين ، واللغة ، والفكر ، والاصالة والابداع ، وطبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف الذي صاحبه في معهده «معهد بافلوف للدراسات النفسية والتربوية»... وراى كيف تدرّس فيه معلمة – من خلق الله- جراءً

– من خلق الله – مادة الحساب ، وكيف قرأ جرو انيق الرقم(4): باربع نبحات ، وكيف اخل جروٌ اخر ضعيف البصر ، نظام الصف (الجرائي) مخطئا زميله ، ليجيب بتسع نبحات ، ذلك ان ضعف بصره اغلق فتحة ال(4) ، لتصبح(9).. فغدا الصف حزمة نباح تستهزئ بهذا الغلط الشنيع!!!

تلك حكاية لا تنسى... ما زلت ارويها لطلبتي الجدد في كل بداية سنة دراسية.

٨- في برنامج (سيرة وذكريات) يقول:

والدي فلاح بسيط ، ووالدتي بنت عمه ، غير ان اباها – في نظر اهل البلدة- اكثر وجاهة من ابي.. ولها – في الحقيقة- الاثر الكبير في تكويني ، كانت هادئة وكثيرة التحمل ، وتقرأ (القران) كان ذلك في العشرينيات.. ولي شقيق واحد هو راضي.

وفتحت مدرسة ابتدائية في القرنة سنة ١٩٢٦ الحّت امي على الوالد أن يأخذني ، ويأخذ شقيقي ، ويسجلني في المدرسة ، مانع ومانع بعنف..بعد هذا اقتنع... هو لم يكن يرتاح لي كثيرا... ذلك الاخ اكثر هدوءا مني ، انا ممكن عندي(حركات) ، فاعتقد ان تسجيلي في المدرسة كان نوعا من العقوبة. قال(والدي) اخذ هذا فقط ، واشار الي ، قالت امي خذه.اخذني والدي الى المدرسة ، واعطتني والدتي القران.دخلنا المقابلة مدير المدرسة الطيب الذكر الاستاذ ياسين الملا حويش. قال والدي: هذا ابني اريد ان اسجله ، وهو يقرا القران.طلب المدير ان اقرا... ارتجفت بشكل لا يطاق بحيث وقع القران من يدي. تناولته.. قبلته ، وفتحته لا على التعيين.. ولم انظر اليه كنت ارتجف.وبدأت اقرا الايات التي حفظتها بشكل مذهل : الحمد لله ، تبت يدا.... الخ. انتبه المدير قال: تعال بقربي... نظر ، فوجدني

امسك القران بالمقلوب... شجعني ، وسجلني في الصف الثاني.

٩- أَحَبَّ المدرسة بشكل لا يوصف –كما يقول في سيرة وذكريات- وكان اهتمامه الكبير بدرس الرياضيات ، واللغة العربية ، وبالتاريخ ، وكان يتضايق من الرسم ، والاعمال اليدوية ، ويتضايق –يكره وليس يتضايق- كما يقول من الجغرافية. وحين سالته ابتسام عبد الله لماذا؟

-بدأنا بالجغرافية سفرة بالقطار من بغداد الى البصرة.يجب ان نحفظ اسماء المحطات التي يقف فيها القطار ، طبعا حفظها صعب ، واذا اخطأ احدنا في محطة ، او قدم محطة اخرى فالمعلم لا يرحمه ، وعندما نحفظها بشق الانفس ، فان القطار لا يبقى في البصرة ، يجب ان يعود الى بغداد ، هنا يجب ان نحفظ المحطات بالطريقة المعكوسة ، وهذه صعبة جدا. طبعا القطار لم اسمع به من قبل ، انا عشت في قرية اسمع بالمشحوف..بالبلم.. هذه وسائل نقل.

١٠- ويتخرج في الثانوية ، ويجيء الى دار المعلمين العالية (كلية التربية الان) وينسب الى فرع التربية وعلم النفس ، وهو لم يسمع بالتربية ، ولابعلم النفس.

لقد كان يرغب في الدخول الى الكلية الطبية ، ولكن الظروف المادية حالت بينه وبينها ، يقول «ولو خيرت- بعد ان تعرفت على تخصصي- فلن ادخل الا الى كلية التربية اقصد دار المعلمين العالية ، ولو يطلب مني ان اتخصص ، فلن اتخصص الا في التربية ، وعلم النفس ، لانها –في الواقع- اصبحت جزءا مني».

بعد ذلك ، يذهب الى القاهرة الى معهد يسمى «معهد التربية العالي» عميده رجل معروف اسمه الاستاذ اسماعيل قباني ، انتفع المرحوم منه كثيرا ، وانتفع ايضا من عبد العزيز القوصي ، بعد ذلك ذهب الى الولايات

المتحدة ، ومن حسن حظه انه اتصل بالفيلسوف (جون ديوي) ، اذ صارت له علاقة شخصية معه.

كان في ذلك الوقت من الطلبة البارزين ، اذ كان يصله شكر كل ثلاثة اشهر..(الدرجات) كانت تصل الى السفارة العراقية ، وكان الشكر بتوقيع السفير انذاك :علي جودت الايوبي.استمرت دراسته خمس سنوات. الماجستير بسنتين ، والدكتوراه ثلاث سنوات.

حين وصفته ابتسام عبد الله في برنامجها (سيرة وذكريات) بالعالم ، وصاحب نظرية اجاب:

- اشكر لك.. وكلمة (عالم).. اعتقد انها كثيرة علي.. ومثل ما قال أحمد شوقي :

- ان هذا الحرير كثير على الرمة البالية.

- انا في الواقع طالب علم ، ومتصل به.

وحين سالته : هل لديك مشروع معين تفكر فيه ، او كتاب قيد التنفيذ؟اجاب: عندي بحث عن القدرات العقلية النادرة في الرياضيات ، مكتوب باللغة الانكليزية ، هذا البحث قدمته الى جامعة لندن وقُبِل ، ويجب ان اذهب الى لندن حتى استكمله ، لان قسما من المصادر غير متوافرة في العراق[1]

عود على بدء

١١- في كتابه (وقائع تزوير انتخاب النواب في القرنة لمصلحة السيدين حميد الحمود واحمد النقيب) الذي صادرهت الحكومة وهو في المطبعة بموجب (الوصل)ذي التاريخ ١٩٥٤/٧/٢١ ، وموقعه السيد محمد منصور

---

١ - برنامج سيرة وذكريات، نسخة من التسجيل موجودة في مكتبتي.

:كاتب معاونية (....) كلمة لم استطع قراءتها ، وتحت عنوان (اقصاء الدكتور نوري جعفر من الخدمة ، ص١٢٤) في هذه الصفحة وما بعدها يتحدث الدكتور نوري عن مقابلته رئيس الوزراء انذاك ارشد العمري ، بعد ان نشر المرحوم مقالات في الصحف العراقية ، تشير الى تزوير الحكومة الانتخابات لصالح الاثنين المذكورين ، والعمل ضده مرشحا عن قضاء القرنة.

انقل ما نصه:

«دخلت على رئيس الوزراء ، ووجدت في غرفته كلا من وزير الاقتصاد ، والسيد كامل السامرائي ، وكانا جالسين امامه على الجانب الثاني من طاولته يتلقيان منه بعض الاوامر ويسجلانها ، فسلمت فلم يرد واحدا منهم علي السلام ، ولم ياذن لي رئيس الوزراء بالجلوس ، وكان رئيس الوزراء على جانب كبير من التازم والامتعاض ، فوجه لي طائفة من الاسئلة بلهجته الارشدية المعروفة تتصل باسمي ونوع دراستي ومحلها ومسقط راسي... ثم جرت بيننا المحاورة الاتية:

رئيس الوزراء: انت اللي سويت كل هلخبصات والخرابيط والقلة بالغ في القرنة؟

نوري جعفر: كلا! الحكومة هي التي فعلت ذلك وانا احد ضحاياها.

رئيس الوزراء: ليش تكتب بالصحف ما تعرف هذا ممنوع على الموظفين.؟

نوري جعفر: اكتب بالصحف حتى اشرح للراي العام ماساة الانتخابات في القرنة.

رئيس الوزراء: ليش ما قدمت شكاية للمراجع المختصة حسب الاصول؟

نوري جعفر: ارسلت لفخامتكم اكثر من مئة برقية في جميع تفاصيل تزوير الانتخابات في القرنة.

رئيس الوزراء: ما تدري انا ما اقرا ، انا مشغول بوضع قوانين للدولة.ما عندي وقت اقرا.

نوري جعفر: انا شنو ذنبي يافخامة الرئيس اذا انت ما تقرأ شكاوي الناس في مثل هذه الامور الخطيرة.

رئيس الوزراء: طلع ايدك من جيبك(قالها بشدة متناهية عندما حاول نوري جعفر ان يخرج منديله من جيبه).

نوري جعفر: انا لست فراشا يا فخامة الرئيس ، انا موظف اعتز بكرامتي.

رئيس الوزراء: «وقد وضع نظارته على الطاولة وابتسم ابتسامة لم افقه معناها ». لقد اقترحت وزارة الداخلية فصلك ولكن ليس من اليسير علي ان افصل دكتورا.

انا اطلب منك الكف عن مواصلة الكتابة في الصحف.

نوري جعفر: هل قراتم ما كتبته في الصحف ؟ وهل هو من النوع الذي يسبب الفصل؟ انا اروي قصة الانتخابات في القرنة ، لقد اشتركت في الانتخابات باعتبارها حرة كما صرحتم فخامتكم ، وتكبدت خسائر مادية ومعنوية جسيمة.

رئيس الوزراء: كلي هل ستواصل الكتابة في الصحف ام تكتفي بما نشرته ، والا سافصلك؟

نوري جعفر: ساواصل الكتابة في الصحف لاشرح مأساة القرنة الانتخابية ولتفعل الحكومة ما تشاء.

........(ص١٢٤-١٢٦)

رحمك الله.. كنت في شبابك مسالما وحكيما ، وشجاعا.

رحمك الله ثانية ، كنت في شيخوختك تؤمن بحكمة تقول:ثلثان من الفطنة وثلث من التغافل...

فطنتك وتغافلك جعلا منك خفيف الوزن ، ولكن بثقل حجر كريم نادر.

رحمك الله ثالثة.. وهدى الله الجامعات التي اسست بعض كلياتها ان تسمي قاعة من قاعاتك باسمك اسوة باخرين لم يخلدوا حرفا واحدا في صفحاتهم رحمك الله... فقد قدمتُ لك ، تاركا للكتاب تقديم نفسه.

## ثانيا : تنوير سريع:

- نوري جعفر علي.
- امه :حليمة بنت محمد علي الجلبي ، كان لها الاثر الكبير في توجيهه وتنشئته[1]
- ولد في قضاء القرنة بمحافظة البصرة في العام ١٩١٤
- عين معلما في مدرسة القرنة الابتدائية للمدة من ١٩٣٦/١٠/١٨ - ١٩٣٨/١٠/٣١
- مفتش –معارف لواء الخدمة [٢] :١٩٤٢/١٠/٦-١٩٤٣/٨/٢١
- مفتش –معارف لواء كربلاء :١٩٤٣/٨/٢٢
- خارج الخدمة –استقالة:١٩٤٣/١٠/٢٥- ١٩٥٠/١/١٠
- نال درجة الماجستير من جامعة ولاية اوهايو سنة ١٩٤٨

---

١ - نفسه.

٢ - هكذا في الاصل ولعلها البصرة

The Ohio state university

- نال درجة الدكتوراه : دكتوراه فلسفة من الجامعة نفسها سنة ١٩٤٩
- مفصول من الخدمة ١٩٥٤/٧/١٨- ١٩٥٦/٣/٩
- استاذ مساعد – كلية التربية :١٩٥٦/٣/١٠-١٩٥٩/١١/٦
- مدير عام الدائرة الثقافية –وزارة التخطيط :١٩٥٩/١١/٧-١٩٦٣/٣/٢٢
- خارج الخدمة مفصول :١٩٦٣/٢/٢٣- ١٩٧٠/٩/١٤
- استاذ مشارك –الاداب:١٩٧٠/٩/١٥-١٩٧٢/٥/١
- استاذ/الاداب: ١٩٧٢/٥/٢-١٩٧٣/١٠/٧
- استاذ/كلية التربية: ١٩٧٣/١٠/٨-١٩٧٥/٥/٢[١]
- توفي في ١٩٩١/١١/٧ في ليبيا ، ودفن فيها [٢]بسبب مضاعفات الانفلونزا.وكل ما نشر عن وفاته من (اغتيال العقل العراقي) ، و(لص يقتله) انما هو عار عن الصحة.

## ثالثا:/ اثاره:

### ١/٣

### الكتب:

١- السلطة والفرد ، مترجم ، برتراند رسل ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٠م.

---

١ - دفتر الخدمة، النسخة الشخصية، ص١، ترجمة الحال، ص٢- ٥: الوظائف التي تقلدها الموظف لدى الحكومة العراقية.

٢ - شهادة وفاة صادرة من الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، اللجنة الشعبية للمرافق ببلدية طرابلس، مكتب التسجيل المدني، بتاريخ ١٩٩١/١١/١٠، محل الوفاة :مستشفى صلاح الدين.

٢- التربية وفلسفتها ، ١٩٥٢
٣- وقائع تزوير انتخابات النواب ، ١٩٥٤
٤- التاريخ مجاله وفلسفته ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٥٤
٥- جون ديوي ، حياته وفلسفته ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٥٤
٦- العلوم الطبيعية واثرها في سير المدنية الحديثة ، ١٩٥٥
٧- علي ومناوئوه ، بغداد ، مطبعة دار الحديث ، ١٩٥٦
٨- فلسفة الحكم عند الامام ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٥٧
٩- المبادئ والرجال ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٥٨
١٠- الثورة مقدماتها ونتائجها ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٥٨
١١- فلسفة التربية ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٥٩
١٢- اقتراحات لتطوير التعليم في العراق ، بغداد ، مطبعة اتحاد الأدباء العراقيين ، ١٩٦٢
١٣- الفكر:طبيعته وتطوره ، منشورات الجامعة الليبية ، ١٩٧٠
١٤- الجهاز المركزي العصبي ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٧١.
١٥- اللغة والفكر ، الرباط ، مكتبة التومي ، ١٩٧١م.
١٦- CREATIVITY AND BRAIN MECHANISMS ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٧٦
١٧- الأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي ، أصولها الدماغية وجذورها الاجتماعية في ضوء فسلجة بافلوف ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٧٦
١٨- طبيعة الإنسان في ضوء فسلجة بافلوف ، ج٢ ، بغداد ، مطبعة الزهراء ، ١٩٧٧
١٩- التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية والتربوية ،

الموسوعة الصغيرة ، ١٣ ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨

٢٠- طبيعة الإنسان في ضوء فسلجة بافلوف ، بغداد ، مكتبة التحرير ، ط٢ ، ١٩٧٨

٢١- الأصالة في مجال العلم والفن ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٧٩

٢٢- الفكر التربوي الاشتراكي ، مع آخرين ، بغداد ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨١

٢٣- الجوانب السيكولوجية في أدب الجاحظ ، وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨١

٢٤- آراء ومواقف تربوية ونفسية صائبة في التراث العربي الإسلامي ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٢

٢٥- دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية الاقتصادية في الوطن العربي ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٣

٢٦- الخيال العلمي في أدب الأطفال ، بغداد ، دار ثقافة الأطفال ، ١٩٨٥

٢٧- طبيعة النوم والاحلام في ضوء علوم الدماغ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الموسوعة الصغيرة (٢٦٥) ، ١٩٨٦

٢٨- مع الحريري في مقاماته ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الموسوعة الصغيرة(١٩٠) ، ١٩٨٦

٢٩- افاق تربوية رحبة في التراث العربي الإسلامي ، مع آخر ، بغداد ، وزارة التربية ، ١٩٨٧

٣٠- رعاية الطفل في الأسرة —مبادئ عامة ، بغداد ، دار ثقافة الاطفال ، ١٩٨٧

٣١- آراء حديثة في تفسير نمو الطفل وتربيته ، بغداد ، دار ثقافة الاطفال ، ١٩٨٧

٣٢- الحب بين القلب والدماغ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الموسوعة الصغيرة (٢٩٠) ، ١٩٨٧

٣٣- ادب قصص الخيال العلمي وعالم الأطفال ، بغداد ، دار ثقافة الأطفال ، ط٢ ، ١٩٨٧

٣٤- Fandamentals of Neuropsychology ، published by Graphic Movement 155 ، Cross Road London ، 1988

٣٥- كتابان:بين الجاحظ وجورج برنارد شو وجائزة نوبل ، بغداد دار الشؤون الثقافية العامة ، الموسوعة الصغيرة ، ١٩٩٠

٣٦- مجالات التربية الخاصة ، مع آخر ، بغداد ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، هيئة المعاهد الفنية ، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر ، ١٩٩١

**٢/٣**

**البحوث:**

١- تقرير دراسة في تجارب الشعوب وأساليبها في رعاية الموهوبين ، الجمهورية العراقية –مؤسسة البحث العلمي- مديرية الرعاية العلمية العامة ، ندوة رعاية الموهوبين ، بغداد ، ٢٤-٢٧/آذار /١٩٧٥م.

٢- معلم جديد من اجل التنمية ، الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية ، المؤتمر الفكري الأول للتربويين العرب ، بغداد ، ٧/١٥/حزيران ، ١٩٧٥

٣- مسؤوليات الأسرة والمدرسة في تربية الطفل ، حلقة دراسية نظمها الاتحاد العام لنساء العراق وجامعة البصرة ١٣-١٩٧٩/١/١٥ ، بعنوان: بناء الطفل في الخليج العربي بناء للمستقبل العربي.

٤- الخصائص العقلية والنفسية للطفل في مرحلة الحضانة ، ضمن حلقة دراسية أقامها الاتحاد العام لنساء العراق ٢٥-١٩٧٩/١١/٢٧ ، بعنوان :واقع دور الحضانة في القطر العراقي وآفاق تطورها.

٥- مناهج التربية الخاصة وأساليب التدريس فيها ، تشرين الثاني ، ١٩٧٩ (غير منشور)

٦- أهمية رعاية الطفل قبل مرحلة الدراسة الابتدائية ، المؤتمر القطري للطفولة ، بغداد ، ٩-١٣/كانون الأول/١٩٧٩ ، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، اللجنة الوطنية للسنة الدولية للطفل.

٧- تجارب بعض الشعوب في رعاية الأطفال المتفوقين والموهوبين ، وزارة التربية ، المديرية العامة للإعداد والتدريب ، معهد التدريب التربوي —الدراسات- مايس ، ١٩٨٠

٨- دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية ، جامعة بغداد ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، ١٩٨١

٩- دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الجريمة ، دليل المؤتمر العربي الحادي عشر للدفاع الاجتماعي ، المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ، الأمانة العامة ، الرباط ، طنجة ، المغرب ، ١٩-٢٣/أكتوبر(تشرين أول)/١٩٨١

١٠- أسس انتقاء وإعداد الكادر المشرف في مدرسة الموهوبين ، الوقائع

الكاملة لندوة رعاية الموهوبين المعقودة في بغداد ، ١٥-١٧/شباط/١٩٨٣

١١- تأملات في الشيخوخة ، محاضرة معدة للإلقاء في الموسم الثقافي لنادي العلوية ، الساعة الثامنة من مساء يوم الأحد ١٩٩٠/٢/٢٥ (غير منشور).

١٢- آراء في تفسير طبيعة الأصالة عند الفنانين والعلماء ، لم تذكر السنة ولا المؤسسة التي نشرته.

١٣- الحياة العقلية عند الإنسان ، جانبها الفسلجي ومستلزماتها الاجتماعية ، لم تذكر السنة ولا المؤسسة التي نشرته.

٣-٣

**المقالات:**

ظواهر سيكولوجية غامضة ، علم نفس الخوارق ، جريدة الجمهورية ، عدد يوم الاثنين ١٩٧٥/٥/٢٠.

**أ.د. عبد الكريم راضي جعفر**

**الجامعة المستنصرية - بغداد**

# نوري جعفر بقلم ابنته[1]

## نجود نوري جعفر

كان أبي بمثابة الصديق الوفي متفهم لعقلية كل فرد منا انا واخوتي.. كان دافئ في تعامله معنا ومنفتح جدا لمتطلباتنا وكرس حياته لعلمه ولنا بكل معنى الكلمه فبعد رحيل والدتنا رحمها الله في سن مبكره وبعد ولادة أخي علي بفتره قليله أصبح ابي لنا بمثابة الأم والأب في أن واحد وبالفعل وجوده وبتعامله الخاص معنا قد أشعرنا بحنان ورعايه لا مثيل لها ليملئ فراغ رحيل والدتنا بطريقه لايمكن وصفها فبنفس لحظه رحيل والدتي كان هو محتضنا لنا بحبه الحقيقي بمثابة الأثنين معا في أن واحدومند تلك اللحظه جند نفسه لنا وضحى بما تبقى من عمره لأجلنا كما كان يكرر على مسامعنا أمكم تركتكم أمانه في عنقي وجب الحفاظ عليكم كما لو كانت هي معنا رحمة الله على روحهما الطيبه.من المواقف التي أستأثرتني في شخصه وتربيته كان شديد الدقه في الالتزام بالوقت والمواعيد..يصحى باكرا جدا يبدأ يومه بالرياضه وشرب القهوه النسكافه بالحليب ويعملها بطريقته الخاصه جدا وهذه الوجبه الوحيده له

---

١ - رسالة وصلتني من الست نجود نوري جعفر ابنة العلامة نوري جعفر حول والدها العلامة نوري جعفر ننشرها هنا...

للأفطار. فكان رحمة الله عليه يتبع نظام غدائي خاص به وبأنتظام مابين المسلوق والمشوي فقط..محافظ على مراقبة وزنه وينام مبكر دمث الخلق يكن احترام فائق في التعامل مع المرأه مراعيا رقتها ومعتبرا لرأيها وبحسب مستواها الفكري ، وهذا ما نشأت عليه ومن خلال تعامله معنا في مراحل العمر المختلفه .عشق العراق بكل تقلباته السياسيه وأنعزل بأفكاره منزويا وبعيدا من اي تدخل سياسي أكراما لنا من تبعات اي رأي يخالف لما كان عليه الوضع العام. وخوفا علينا من اي سوء او ضررفي طفولتي أذكر انني كنت اقرأ عليه من قصص الخالدين وهي سلسله معروفه انذاك للأطفال عن قصص المشاهير كشكسبير وهيلين كيري ومدام كوري..كنت اقراها له في ساعة القيلوله وهي طريقه غير مباشره كي يتسنى لي معرفه ونطق اللغه العربيه الذي كان هو ملم مولع بها لأقصى حد وبالتالي معرفه حياة المشاهير الذين وصلوا بطموحهم الى العالميه بعلمهم او اكتشافاتهم كان اغلب حياته استاذا خارج العراق ولم أكن اعلم السبب انذاك نلتقيه في العطل الصيفيه والربيعيه والاعياد في مختلف ارجاء العالم وخاصه بيروت.يراسلنا اينما كان ويرسل لي كارتات كل أسبوع الى بريد مدرستي الراهبات في باب الشرقي معبرا عن حبه وتواصله الدائم برغم المسافات.

نقطه أخرى قد زرعت داخلي حب التواصل مع الاخرين ولو بكلمه تذكرنا بالعلاقات الانسانيه وبالتواصل الحسي البسيط كلمه طيبه تزرع الامل في المحبه اجمل مراحل حياتي هي طفولتي حيث اشاركه احلامي واستشيره وما أريد ان اقوم به عند بلوغي سن الرشد..اذكر منهم انني ورفيقات لي في المدرسه احببنا ان نقوم بعمل فرقه فنيه للغناء.وبالفعل اطلعته على الأمر كي استاذن منه..فلم يمنعني بل قال لي لامانع لدي شرط ان تكملي شهادة الثانويه ولك ماتشائين..وبعفوية الطفوله طلبت منه ملحة

لأقناع والد احدى رفيقاتي لمنعه لها في هذا الامر فوعدني انه سيقوم بأقناعه ويتم الامر بمعرفته ، ،كم كانت سعادتي انذاك بتفهمه اللامحدود باحلام طفله واستشعرت بفخر انه ابي الذي وافقني ولم يخذلني في طلبي . واذكر انذاك انه يحب ان يلعب معنا العاب مختلفه منها على سبيل المثال تكون أختي الكبرى علياء هي الملكه وابي بدور الخادم لها وتقوم بالطلب منه عمل كل شئ دون ملل وفي أحيان أخرى يلعب معي لعبه التوكي (مربعات والحجر) ويحاول ان اكون الفائزه في اللعبه وفي نهايه العام الدراسي يأخدنا للمكتبه لشراء الكتب والى محلات الألعاب كي نقضي العطله ما بين القراءه واللعب ، وفي مره من المرات أشتركنا بمسابقه في (مجلتي)- مجله للأطفال- وكانت هناك مسابقه واسئله عن التاريخ فذهبنا معا الى المتحف العراقي للبحث عن أجابة الأسئله وكيفيه معرفه الحلول.

بعد رحيل والدتي المفاجئ رحمها الله ، بدأت مرحله جديده كنقطة تحول جذريه.بات الامر عليه حمل المسؤوليه الكبيرة لثلات بنات علياء وخلود ونجود في عمر يتجاوز ما بين ١٣-١٠ واخي الصغير علي الذي لم يبلغ عام. لاأخفي حزنه الشديد على فراق والدتي ووفاءه لها لأخر يوم من حياته. فكان يربط والدينا ود عميق وانسجام تام وفي اثناء أقامته خارج العراق رسائلهما المتبادله بشكل يومي وبتواصل دون انقطاع. ومن وصفه اليها تعليقه الدائم عنها (لا شئ يضاهي امك فأضفر والدتك بنساء العالم). ولم يسمح لنا بتبديل اي شئ بالبيت كما يقول رائحة امك فيه وحتى ملابسها كانت على وضعها كأنها مازالت على قيد الحياة. وفي هذه المرحله الحرجه من عمرنا في سن المراهقه وفي غياب الأم ودورها في التوجيه والمراقبه ، أعطى والدي المهمه لأختي الغاليه علياء فهي كبيرتنا

وبـرغم فـارق السـن القليـل بيننـا أصبحت لنـا أمـا واختـا بـأن واحـد وقـد قامت بهذا الدور على أكمل وجه ولله الحمد والشكر هذا لايعني اننا لانختلـف فيمـا بيننـا كـأخوات ، ففـي هـذه المواقـف اراه يـأتي لنـا عارضـا مسـاعدته لحـل اي خـلاف بيننـا بسـؤاله وبلطـف بابـا لـيش طـالع صوتكم ما الذي حدث وما الأسباب.يسمع الرد عليه من احدانا وبالنص نقـول شـكرا بابـا هـذا بيننـا لاداعـي للتـدخل يبتسـم ويقـول أعجـب لكـم أختلافكم وافرح لكم بأتحادكم وعدم السماح لي بالتدخل بينكم! ويترك الامـر وبالفعـل لا يتـدخل ومـن المواقـف الأخـرى كانـت تـأتي لي رسـائل من صديقات وأصدقاء خارج العراق..وعند وصول صاحب البريد يستلمها والـدي دون ان يفتحهـا ويسـلمها كمـا هـي بيـدي ومـرة سـألته لمـا لا تفـتح رسـائلي وكنـت انـذاك في "١٤ " مـن عمـري قـال لي هـذه لـك ولخصوصيتك كيف افتحها. عزز ثقتي به واحترامه لخصوصيتي في تلك المرحله المبكـره كـان قليـل الأختـلاط بالمناسبات الأجتماعيـه ولكنـه منفـتح معنا ومع صديقاتنا يعرفهم ويتعرف عليهم وعلى أخوانهم..كان يستضيفهم ويسألني عنهم وبيتنا مفتوح لأستقبالهم على الدوام. وكأنهم أخواننا وهو على أطـلاع تـام اينمـا نـذهب وبصـحبة مـن ، مما لفـت انتبـاهي انـذاك لم يتسنى بمفهوم عقليتنا أنذاك كسر ثقته بنا بل نحرص كل الحرص على توثيقها من خلال معاملته الواضحه والجليه لحدود العلاقات مع الاخرين بأنفتاح وتحفظ ومعرفة حدود التعامل وبأحترام. ومن الجدير بالذكر عند زيارة اي ضيف للبيت كان يحرص بأنتظاره عند الباب ويطلب وبأمر رقيق منا السلام بالمصافحة اليدويه عند التعرف علينا. واليوم صارت لي بمثابة الألتزام الأدبي عند التعرف على اناس جدد أمد يدي للمصافحة تبعا لما علمني اياه انذاك.اذكر ان لدينا فلاح يدعى ابوعبدالله كان يقدم له

بنفسه الشاي والحلويات ويتعامل معه كصديق حيث يتحاور معه مما يتجلى لي بساطة تعامله وتواضعه الجم مع مختلف الطبقات الأجتماعيه وبدون تمييز.كان شديد الحرص على تفهم نفسياتنا ودائم الحوار المفتوح بيننا كل بحسب شخصينه وأحتياجه وعند اتخاد قرار معين يخصنا برعايه واهتمام بالغين حيث يحدد وقت للأجتماع بنا وأخي الصغير علي ويطرح الموضوع على مسامعنا ويعطي لنا الوقت بالتعبير عن وجهات النظر المتواجده لكل منا ومن ثم يطرح اسألته وبتفهمه وعقلانيته ليكون القرار النهائي امامه برضى وموافقة الجميع دون اي تردد ، فمن خلال هذا التعامل المتحضر وأثناء عملي كمديرة ومسؤوله على عدد من الموظفين طبقت هدا النهج مع الموظفين وبالضبط بدات الخطوات ، احدد موعد وبحسب العدد ومتطلبات الموضوع يبدأ النقاش المفتوح الواضح وأخذ بالأقتراح الأرجح وما يرضي الجميع. وكم فرحتي تكون كبيرة عند ثناء الموظفين على الطريقة المثلى بالتعامل معهم وبصورة طبيعيه أقول هذا نهج ابي معنا في البيت وها انا اطبقه في الحياه وله ذات النتائج الايجابيه في التوافق والأستمرار بسلامة المبدأ كأساس.يحب الشعر العربي وله كتب عديده عن التاريخ العربي وفلاسفته كالجاحظ والمتنبي وعمر بن عبد العزيز وعلي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) وغالبا ما كان يطرق مسامعي ابيات شعر ليستشهد بها في مختلف المواقف او عند سياق الحديث مما يعطي لرأيه قوة أقناع عجيبة عن طريق اللغه والشعر ومن اهتماماته علوم الدماغ والأحلام..أذكر جيدا عندما أرى منام أذهب اليه ويولي الأمر الأهتمام الأني وبدون تردد ويترك ما لديه ويقول لنجلس سويه وأعطيني تفاصيله مما يثير دهشتي انه بين حين وأخر يسألني هل من جديد لديك من منامات وكأنه ينتظرها ، ولا أعلم السبب وما هو سر أهتمامه بها؟ وقد أهداني لقراءة

كتيب من تأليفه عن الأحلام والدماغ وتفسير ابن سيرين.

كان يشدد عليٌ بالأبتعاد عن كل مجالس النقاشات السياسيه والدينيه. فبالنسبه للسياسه لايسمح لنا حتى متابعتها لا من بعيد ولا من قريب. مما أثر على متابعتي لحد هذا اليوم من مواقف ومعرفة ما حولنا من تغييرات من وجوه سياسيه او معرفه ما النهج الاداري لها. وكذلك الحال في النقاش الديني ، فهو رجل علماني لكنه لم يمانع ابدا التزامنا بالصلاه واركان الدين السمحه في تأديتها والاستمرار بها. فكلما ناقشته لأخد رأيه بأمور الدين والأسلام يردد لي نفس القول: (قل أمنت بالله ثم أستقم) قليل الخروج من البيت فكل وقته مكرس لنا ولعلمه وينصب أهتمامه بالكتب ومكتبته ووصيته الدائمة لنا حين سفره (أثناء حضوره المؤتمرات العالميه في مختلف انحاء العالم بخصوص الاطفال الموهوبين (يؤكد لنا وبرسالة خطيه بوصيته لنا على سلامتنا والمكتبه والحديقه وبالنخله.,فهذا هو محور حياته واهتمامه الدائم ، .أذكر اهتمامه بعلمه ومؤلفاته وحين طباعة اي كتاب له.,يذهب بنفسه للأشراف على الطباعة وينقحه كلمه كلمه وسألته مره لم ترهق نفسك بهذا الشكل؟ فكان تعليقه ان طباعة الكتاب مراحله كالجنين في بطن امه يحتاج للرعايه التامه قبل ان يولد ويصل ليد القارئ!.والجدير بالذكر انه كان زاهدا في الدنيا والماده بمفهومه ماهي الا وسيله وليست غايه اذكر انه كان يخصص لنا راتب شهري بمثابة المصروف ولنا مطلق الحريه في التصرف به وكذلك الحال لمفاتيح البيت كل واحد منا لديه مفتاح خاص به.في اوقات الامتحانات اوصيه بايقاظي مبكرا وذلك عن طريق كتابه رساله خطيه اعبر بها عن حبي له وطلبي منه برجاء عدم نسيان ايقاظي ، فكان يحتفظ برسائلي وفي يوم افتقد رسالاتي وقال لم لا تكتبي لي؟ فأن كلماتك تسعدني (لم أعلم

وقتـها مـا لأحساسـه المرهـف مـن تـأثير يمكـن ان يكـون مـن خـلال تعـبيري الأنشـائي البسـيط) فهـو يستشـعر الكلمـه الصـادقه ويثمنـها مهمـا كانـت بساطتها.. وفي يوم تعرفت على بنت بالصدفه وتبادلنا الأحاديث وعرفتها بنفسي وكم كانت فرحتها لمعرفتها وان نوري جعفر هو ابي ففي ذلك الوقت كان لديه محاضرات في دوره تدريبيه لتهيأة المدرسين وهي من طالبات هذه الدوره وقد عبرت عن أعجابها الشديد به وبأنسانيته وقالت هنيأ لك بوالدك. تبادلت معها رقم الهاتف يومها وبالفعل أخبرت والدي ما حدث. فطلب مني الاتصال بها واستضافتها وتقديم اي نوع من المساعدات وبنفس الاهتمام الذي يقدمه لي حينما أحتاج مساعدته بالدراسه وخاصة عند عمل واجباتي المدرسيه في قواعد اللغتين العربيه والأنكليزيه فهو ضليع بكلاهما .كان يولي اهتمام كبير لكل طلابه وكان يستضيف البعض منهم في بيتنا وخاصة طلاب الدراسات العليا ولم يسمح أبدا بأستعارة اي كتاب من مكتبته ولكنه كان يقيم معهم علاقه ابويه واخويه وبحرصه العلمي في التوجيه بشكل دقيق جدا.يتفقد كل أصدقائنا ويسأل عنهم وبصورة غير مباشره يستفهم من ردود ألافعال وما سبب الأنقطاع وكان يشدد ويطلب مني الاتصال بهم في بعض الاحيان ونزولا عند رغبته أقوم بالتسامح واستضافتهم على حد قوله هم كاخواتك شلون تزعلين منهم !في الفترة الأخيرة من عمره كانت أختي الوسطى خلود دائما معه تتولى رعايته حتى وانها اذهلتني في بعض المواقف من ملاحظتها الدقيقه له وكأنها تقرأ افكاره وتعلم ما يحتاجه دون اي كلام .. فكانت له الأبنه والرفيقه الرقيقه في ليبيا وأثناء حرب الخليج وبقلقهم الشديد علينا وعلى ما أصاب العراق بسبب الحرب عليه كنت انا وأخي علي في بغداد الغاليه وبأنقطاع الأخبار منا أثر على نفسيته بشكل كبير

فمصيرنا والبلد صار في علم المجهول داخليا وخارجيا.. وبسبب حزنه الشديد لم تستطع خلود أفادتي بالمعلومات وبتقليب المواجع في تلك الفتره فالذكريات كانت ومازالت جدا مؤلمه.رحل عنا في٧ تشرين الثاني ١٩٩١في العاصمه الليبيه طرابلس وقد قام طلابه الذين أشرف على تدريسهم أثناء تواجده في جامعه بنغازي في أواخر الستينات وبدايه السبعينات والذين أستقبلوه ببالغ الفرحه في التسعينيات فهو لهم بمثابة الاب الروحي وليس استاذا وكم تعلمت الكثير من هذه الموقف وذلك بزرع بذرة الأخلاص بالعمل وبالتعامل الأنساني فسيرته الطيبه وثقة طلابه أنذاك كانت كبيره وثمار نجاحها واضحه بحيث سأله أحدهم في ذلك الوقت وهم مجموعه من طلابه بأنهم يريدون ان يقوموا بثورة ضد الحكم الملكي في ذلك الوقت فكان رد والدي لهم :ان الثوره الحقيقيه هي في الصف تعلم وبعلمك تصنع الثورات !أتذكر في مرحلة الثانويه العامه وعند تقديمي للجامعات كان قد أشار لي بأختيار تخصصه وقال لي ستبدعين بهذا المجال وانا معك سأوجهك للطريق. أعرضت عن هذه الفكره وفضلت مجال الأداره كتخصص لي وقد وافق بلا أعتراض نزولا عند رغبتي..اليوم ندمت لأنني لم أخد بنصيحته فعلم النفس موسوعه علميه لا نهايه لها كباقي العلوم وودت ان أقول له اليوم وبرغم رحيله بأنه مازال هو معي حيث كنت ومازالت بصماته داخلي وبالفعل اشعر انه يوجهني كما عهدته في اتخاد القرار الأصلح والانفع حينما اواجه اي موقف في الحياة وكأني استشيره كما كنت عليه ايام زمان فهو في نظري موسوعه علميه وأدبيه يحمل في جوفه عمق انساني لامثيل له يخترقني بتواصله الروحي وبكل الأتجاهات لأكتشف بأنه قدوتي في الحياة وبدون رياء من ذكرياتي عنه.

شدة أحساسه المرهف كان لا يحب الخصام معي او مع اخوتي ويغض نظره عن الأسباب بمبادرته شخصيا في الصلح معنا وطلبه العفو منا وتقبيلنا بقوله المعتاد (بابا اعذروني ازعجتكم وزعلتكم مني ، ما أكدر انام وواحد منكم زعلان) ياله من انسان يتخطى كل عقبات الأبوه ويبدأنا بالأعتذار ويطلب السماح برغم خطأنا نحن أولاده! وفي يوم عندما كنت في الجامعه كان لدينا بحث في درس التأمين وذهبت الى أستاذ الماده (كاظم الشربتي) للأستفهام عن كيفية عمل البحث وبعد تعريف نفسنا انا وزميلاتي سألني أ. كاظم هل د. نوري جعفر والدك؟ فأجبت: نعم. فأجابني والدك نوري جعفر ابو البحوث وتسألني هذا السؤال ، أذهبي لأبيك وتعلمي منه.وبالفعل نقلت لأبي ما دار بيني وبين أستاذي. فتبسم ضاحكا وبعد دقائق من حوارنا فأدا به يأتيني بمجموعة كتب من تأليفه وكتب الأهداء لاستاذي الشربتي أكراما لأجابته بهذا الشكل ورؤيته به.. كان رحمه الله اذا تكلم يطلب منا تنبيهه اذا ما ارتفعت نبرة صوته خاصة عند التحدث بالتلفون ويتضايق من نفسه كيف لم يتنبه لهذا ويعلل ذلك كونه استاذا واعتاد على رفع صوته في المحاضرة ليتسنى لطلبته الجالسين في أخر الصف ان يسمعوه.

كان شديد الملاحظة حيث يقوم بوضع تخطيط الصف وأسماء الطلبه بحسب جلوسهم واذا غير احدهم مكانه كان يلحظ ذلك وكأنه صورة ذهنية متكاملة من شدة ملاحظته. وكذلك الحال في القاء المحاضره يتبع المنهاج الأرتجالي وبالفعل اسمع صوته في الصباح الباكر وهو يسمع المحاضرة مع نفسه في مرة اذكر سألته عن سبب قرائته الدائمه برغم انه حصل على لقب العالم فأجابني بأبتسامته العذبة انا لست بعالم بل انا طالب علم ، اذا تركت القراءه يوما فهي لا تتركني وبالفعل لم يترك

الكتابة او القراءة يوما وكأنهما مزيج متحد ودائم. وكل من عرفه يشهد بعلمه وبتواضعه الشديد في التعامل وخلقه العالي.

في سفره العادي او السنوي لحضور اي مؤتمر عالمي كان يصطحب معه كتاب ليقرأه اثناء الرحله ويتميز بذهابه للمطار قبل ساعات من الرحله وكذلك الحال عندما يصطحبنا معه أثناء العطل الصيفيه وفي المطار يجلس جانبا مع كتابه ويتركنا بحريتنا في التسوق هناك لحين موعد الطائره ولم افهم السبب ولكنا قد اعتدنا على ذلك دون اعتراض.

بعد رحيل والدتنا رحمها الله كان هو من يرعى اخي الصغير علي وقد غير جدوله التدريسي ليضمن ذلك وقد حصر محاضراته في يوم الأحد لأنني وأختي علياء كنا في مدارس مسيحيه ويوم الأحد لدينا عطله اسبوعيه كما الجمعه ليضمن وجود من يرعى علي خلال الاسبوع. كان كلما قمت بطهي الطعام يثني عليه على الدوام. وبعد مرور الأعوام وجدت ان طبخي مرتجل ولا اساس له والمتعارف عليه من قواعد الطبخ الصحيحه ولم اتنبه على ذلك الا عند الكبر! مما يدل على مبدأ تربيته بزرع الثقه بما اقوم به ومراعاة مشاعري منذ الصغر .لا اذكر يوما ما كان له ادنى اعتراض صارم او أحادي القرار في اي موقف بل على العكس يناقشنا بأنفتاح تام دون ان يشعرنا بأي حرج وقد ردد على مسامعي لمرات عديده لا تصدقي اي فرد ان انتقدكم يوما باي صفه كانت لأنكم بالفعل كلش خوش بنات.هو صاحب نظرية الأبداع وأليات الدماغ وقد كان لها صدى كبير في الولايات المتحده الأمريكيه عام 1977والدي نال بها درجة خامس عالم عالميا بهذا التخصص وفي دلك العام وجهت له دعوة من الرئيس أحمد حسن البكر للقاءه في القصر الجمهوري. واشاد البكر بعلمه كاول عالم عراقي في هدا المجال وقد عرض البكر عليه العمل

كمستشار في القصر الجمهوري ولكن والدي اعتذرعن المنصب قائلا انه رجل اكاديمي ومكانه هو الجامعه. ترك نوري جعفر أرثا من الكتب والبحوث زاخرة بالعلم والمعرفه في مختلف المجالات الادبيه والعلميه والتاريخيه برؤى منفتحه بأنفتاح تفكيره رحل عنا رحمه الله في ١٩٩١\١١\٧ في العاصمه الليبيه طرابلس بعمر يناهز ٧٧ عام (١٩١٤-١٩٩١)أ أثر سكتة قلبية فكان مصابا بالزكمة في تلك الفتره وكنا معه وحوله (انا وخلود وأخي علي) وقبيل نومه بدقائق طلب مني ومن أختي خلود بالكتابه نيابة عنه وكان يردد ويقول بشدة (اكتبوا قبل ما أروح وكان يملي لنا بمصطلحات انكليزيه علميه وكأنه في أستعجال وسرعه ويقول اكتبوا بسرعه قبل ما أروح ، وسألناه عن التهجي لصعوبه الكلمات لأتها مصطلحات علميه بحته ولكنه يتكلم بسرعه وكأنه يلقي أخر كلماته وقد تضايق لعدم قدرته على الكتابه لضعف بدنه أثر الزكام وارتفاع درجة حرارة جسمه ولقد توسلنا به (بابا أرتاح انت تعبان من الزكمه ونقول له غدا نكتب نريد راحتك) وكانت الساعه ما تقارب ١١ ليلا وهذا غير أعتيادي له فهو دائما مبكر في النوم ما بين ٩-١٠ منذ عرفته ، وبعد دقائق من أستلقائه على الفراش أحست خلود بتوقف تنفسه وعم السكون المكان فقد رحل عنا..ولم افهم آنذاك ان توسله بنا في الكتابه لأنه سيرحل ولم يتسنى له ترك علمه حتى أخر عمره وهو على فراش الموت .اه كم حزنت ومازلت على فراقه ولعدم فهمنا لقوله وتوسله يدوي في أذني حتى هذه اللحظه لشدة ألمي وأسفي لعدم أستطاعتنا كتابة ما يملي علينا وعيني ما زالت تبكي ذلك الموقف وكأني أقول له «بابا ريتني كتبت لك وريحتك قبل ماترحل عنا» وكنت وما زلت احب ان اقدم له شيئا عن حياته او ان علمه بعد رحيله ، وتابعت منذ سنة ٢٠٠٥م كتابات الاخ الباحث ياسر

جاسم قاسم في والدي عبر النت وكنت اسال دائما بعض الاخوة في العراق عن مكانه او عن طريقة توصلني بالكاتب ياسر جاسم الى ان شاء القدر ان احصل على هاتفه عبر الانترنت وكان الاتصال به وعلمت منه مدى تعلقه واعجابه بعلم نوري جعفر واخبرني بان لديه مشروعا بحثيا عن نوري جعفر فاحببت ان اكون مشاركة بهذا المشروع عبر كتابتي هذه عن والدي كما تسنى لياسر ان يتصل بابن عمي الدكتور عبد الكريم راضي جعفر الذي اعطى وثائق غير منشورة لوالدي للباحث ياسر جاسم قاسم ليقوم بنشرها عبر الكتاب الثاني الذي سيصدر في هذا المجال ويقوم الباحث ياسر بتقديمها للقارئ عبر دراسته لها فتعتبر هذه الوثائق الاولى من نوعها ولم تر النور الا في كتابه القادم فشكري الى الاخ ياسر جاسم قاسم على مشاريعه البحثية الفكرية النهضوية في شان نوري جعفر الاب والانسان والعالم وشكري لابن عمي الدكتور عبد الكريم لمساهمته الكبيرة في رفد الباحث ياسر جاسم بالمصادر المهمة حول نوري جعفر ، فشكري خالص اليك ياياسر على هذا الكتاب وشكري لكل من ساهم في إنجاح هذا المنجز الفكري.سيكون هذا الكتاب الاول من نوعه باحثا ومنقبا في المجال الفكري التنويري الاصلاحي للعلامة نوري جعفر الاب والاستاذ والمربي وسيليه كتاب اخر للباحث ياسر جاسم يحوي الوثائق غير المنشورة للعلامة نوري جعفر.امل ان يجد القارئ فرصة فريدة للاطلاع على المنجز الفكري للعلامة نوري جعفر رجل النهضة العراقية.

لندن، أيار، ٢٠١٠

# تمهيد

## بقلم ياسر جاسم قاسم

نعم انه العلامة نوري جعفر رجل النهضة والاصلاح ، الذي خاض في الكثير من المجالات الفكرية متقصيا للحقائق العلمية من زوايا علم الاجتماع وعلم النفس الذي ابحر به كثيرا حتى غدا استاذا به وفيلسوفا منظرا ، كما ان نوري جعفر كان منشغلا بعلوم الدماغ حتى قال عنها انه شغل بعلوم الدماغ عن جيد الكلام[1] وربط كل العلوم الانسانية والعلمية مع الدماغ باعتباره المحرك لها ، نوري جعفر لم يترك مجالا لم يدخل به فمن التربية الى علم النفس الى الفن والادب والعلاقة بينهما وبين علم النفس ، والفلسفة وفسلجة الدماغ والادب وربما يبدو مستغربا ان يتصدى متخصص بالتربية وعلم النفس الى التطرق الى موضوعات ادبية كما حاول في ابحاثه العديدة التي تطرقنا لقسم كبير منها في كتابنا هذا ومنها(الاصالة في شعر ابي الطيب المتنبي) وعن( الجوانب السايكولوجية في ادب الجاحظ) و(الحريري في مقاماته) و(ساعات مع مكسيم كوركي)

---

١ - اراء ومواقف تربوية ونفسية صائبة في التراث العربي الاسلامي، نوري جعفر، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١، ص٦.

و(بين الجاحظ وجورج برناردشو) واوجد نوري جعفر رابطة عضوية بين علم النفس وفن الادب فقد لاحظ ان الجاحظ او المتنبي او مكسيم كوركي او الحريري يبدون ملاحظات صائبة تتعلق بسلوك الافراد وبوصف مشاعرهم السلبية والايجابية يعجز عن الاتيان بمثلها كثير من المختصين بعلم النفس ، معنى هذا ان الادب بنظر نوري جعفر هو ميدان من ميادين علم النفس التطبيقية ، وان الادباء هؤلاء الذين درسهم نوري جعفر هم في الواقع علماء نفس بالاضافة الى كونهم ادباء ، وانهم توصلوا الى معرفتهم هذه ، لا عن طريق دراسة كتب علم النفس وانما عن طريق التعمق في فهم النفس البشرية كما هي اثناء سلوك الافراد او تصرفاتهم في مجرى حياتهم اليومية المعتادة ، ومن الجهة الثانية فان انهماك العلامة نوري جعفر في دراسة فسلجة الدماغ وهو موضوع صعب وجامد كثيرا ما يؤدي الى الارهاق ، ادى الى سبر اغوار النفس البشرية والتعمق في المدلولات الفكرية التي تسهم في بناء الانسانية من الداخل ، كما اهتم نوري جعفر بعنصر التنمية واهتم بالاساس ببناء الانسان من الداخل فالبناء بنظر نوري جعفر هو تظافر الجهود بين الاسرة والمدرسة لبناء الطفل من الداخل وبناء الانسانية يتاتى من بناء الانسان وليس العمران والبنيان ، كما اهتم نوري جعفر بطبيعة الانسان وفسرها في ضوء نظريات بافلوف فدخل في تفسير كل الامور المتعلقة بحياة الفرد من الامور اليومية الاعتيادية الى الامور العامة التي لها مساس في حياة الانسان فدرس الاحلام وتاثيراتها الاجتماعية ، ودرس النوم ودرس الارهاق ، ودرس الاضطرابات العصبية وتاثيراتها الاجتماعية ، ان نوري جعفر لم يدرسها فقط وينظر لها بشكل نظري بل انزلها الى ارض الواقع مطبقا اياها في الحياة العملية وواضعا سبل معالجة كفيلة لنهضة المجتمعات لذلك اعطى للنهضة بعدا في حياة الامة

واضـاف الى هـذا البعـد ، بعـدا اصـلاحيا بوضـع معالجاتـه الخاصـة ووضـع تطبيقاتـه العمليـة ، مما جعلـه رجـلا للنهضـة والاصـلاح ، نـوري جعفـر حمل معرفة تمثلت بالبحث والدراسة ، بالبحث المتمثـل بـالمنحى الميداني التجـريبي والدراســة المتمثلـة بـالمنحى النظـري ، ان رؤيـة نـوري جعفـر للاشكاليات النهضوية كانت منطلقة من رؤى انسانية كفيلة بنهضة الواقع اهـتم بكـل شـيئ بالشـعر والموسـيقى والادب والفـن والعلـوم النظريـة والتطبيقية وكانت لديه رؤى سياسية عبر عنـها في اكثـر مـن مكـان لاسـيما في كتابـه الثـورة مقـدماتها ونتائجهـا ، نظـر الى كـل المشـاعر الانسـانية واثـر التكلم بها عما سواها ، فقرا الحب وقارن وجوده بين القلب والـدماغ تمثـل بالشعر العربي الجميل في هذا المجال ، عرف بتواضعه و اعلـن في كـل مـرة يكتب فيها ان دراساته وبحوثه قابلة للتعديل والتطوير على يديـه او يـد غـيره من المعنيين بالدراسات وهذا ما رايناه في اغلـب تقديماتـه لكتبـه ، كـان رقيقـا بانسانيته المفعمة بالحب الصادق والمتوجة بحب الاخـرين لـه ولعلمـه ، وتـاثر بالشعر العربي في هذا المجال فنقل لنا من اجود واحلى الشعر العربي وكـان من الابيات التي تاثر بهـا كـثيرا حتـى نقلـها في اكثـر مـن مكـان مـن كتبـه ابيات الشاعر العربي التي يقول فيها :

**توهمــــه طـــرفي فـــالم خـــده**

**فصار مكان الوهم من نظري اثر**

**وصـــافحه قلـــبي فـــالم كفـــه**

**فمن صفح قلبي في انامله حفر**

**ومـر بفكـري خـاطرا فجرحتـه**

**ولم أر خلقا قط يجرحه الفكر**[1]

كما يعتبر نوري جعفر ان اتساع رقعة المعرفة الانسانية وتعدد مجالاتها قد جعلت من العسير جدا وربما من المستحيل على المرء ان يلم بهذه المعرفة الماما كافيا من جميع اطرافها ، لذلك فهو يقول ما نصه « ان التعمق في كل اختصاص او فرع من فروع المعرفة الحديثة (العلمية والانسانية بما فيها الفنية) يجعل من المتعذر ايضا وربما من المستحيل على المرء ان يلم الماما كافيا بموضوع تخصصه نفسه ، وهذا واضح كثيرا في مجال الطب ، ذلك لان الطبيب الحاذق او الماهر لا يستطيع كما هو المتوقع ان يلم الماما كافيا وحتى الماما سطحيا بجميع فروع العلوم الطبية كما انه لا يستطيع ايضا ان يدعي ان المامه بموضوع تخصصه بلغ مستواه المطلوب ، ومع ذلك فان بالامكان ان يتعمق المثقف المعاصر بموضوع تخصصه ، مع الامام العام بالمبادئ العامة للعلوم المقاربة ايضا ، اي فروع المعرفة القريبة من اختصاصه وبالعلوم الاخرى اذا كان ذلك مستطاعا وهو المفضل»[2]

هذا الكتاب كان من الاولى ان يرى النور منذ زمن ولكن لانشغالي بتاليف بعض الكتب والدراسات اجلته لعدد من المرات ، ولكن كان لا بد من ان يخرج ويرى النور متكلما عن نوري جعفر وناقدا للكثير من

---

١ - وردت في كتاب نوري جعفر، الحب بين القلب والدماغ، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧، ص١٢

٢ - حوار أجري مع الدكتور نوري جعفر، اجراه جاسم كريم حبيب، مجلة الثقافة، العدد السابع، السنة الخامسة عشرة، بغداد، كانون الاول، ١٩٨٧، ص٢٣٨

افكاره وداعيا الى الاخذ بالكثير منها ، اقدم خالص شكري وتقديري للاستاذ الدكتور عبد الكريم راضي جعفر الذي قدم لي اهم المصادر في فكر العلامة نوري جعفر. كما اشكر الاستاذ خالد السلطان الذي قام بمراجعة بعض الافكار الواردة في هذا الكتاب وكان مواكبا للمشروع منذ بداياته الاولى ، وان كان من شكر اقدمه فلا انسى الست نجود نوري جعفر التي عرفتني على نوري جعفر الانسان والتي حفزتني كثيرا على استكمال كتابي حوله ، والتي تلقيت منها مكالمة هاتفية تعرفني بها لاول مرة وتقول /انا ابحث عنك منذ سنين لانك تكتب عن والدي وعلمه وتسالني لماذا الانشداد الى فكره وعلمه ؟ فكان جوابي لها كتابي هذا الذي يحوي عصارة جهدي وفكري حول العلامة المفكر نوري جعفر.كما لا يفوتني ان اشكر زوجتي الغالية زينب التي اذيتها كثيرا بمشاريعي الفكرية ، ولكن كان لديها من الصبر ان تتحملني اثناء انشغالي بتاليف الكتاب يوميا ست الى ثمان ساعات بالاضافة الى اوقات دوامي الاخرى وقيامها بكل قضاياي وتوفيرها الجو المناسب داخل البيت لاستكمال هذا المنجز ، قسم الكتاب على عشرة فصول تناولت كل المجالات التي خاض بها نوري جعفر من اثر العادات والقيم الانسانية على المنهج التربوي والتقدم التكنولوجي في الفصل الاول ، والعلم والفن والعلاقة بينهما تناولناه في الفصل الثاني اما في الفصل الثالث فقد تناولنا أسس قراءة التاريخ كما وضعها نوري جعفر ، وتناولنا في الفصل الرابع الجانب التنويري من التراث والذي نظر اليه نوري جعفر فقرأ الجاحظ والحريري واخوان الصفاء ومجموعة من رؤى مختلفة حول التراث ، كما تناولنا في الفصل الخامس اثر اللغة في حياة الانسان ، واستقرانا رؤية نوري جعفر لمفاهيم التنمية وبناء الانسان في الفصل السادس ، وفي الفصل السابع راينا علاقة

نوري جعفر بابي الطيب المتنبي وقد يتسائل سائل ويقول لم لم يكن ضمن الفصل الرابع اي ضمن القراءات التنويرية التي سلطها نوري جعفر على التراث ، نعم كان من المفروض ان يكون هذا الشيء ولكننا افردنا له فصلا لاهمية ابي الطيب المتنبي بالنسبة لنوري جعفر ولاستشهاده به دائما في دراساته ، اما الفصل التاسع فقد تناولنا رؤية نوري جعفر للمبادئ وعلاقتها بالثورة ورؤى نوري جعفر السياسية وعلاقته بالعهدين الملكي والجمهوري بعد ثورة ١٤/تموز/١٩٨٢ ، ويبقى الجانب الاهم الذي تناولناه في الفصل العاشر وهو فيما يخص كتابه طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف وفي هذا الفصل سوف يلاحظ القارئ اننا لم نسلط جانبا نقديا على اراء العلامة نوري جعفر والسبب في ذلك تخصص الكتاب بموضوعة الفسلجة ولا نستطيع مجاراة العلامة نوري جعفر بها والسبب الثاني حيائنا من الدكتور نوري جعفر الذي ذكر في مقدمة الكتاب انه قام بتاليفه وهو بعيد عن اهله ولاقى ما لاقى من الصعاب بالاضافة الى ذلك طول فترة تاليفة القاضية ب١٢ سنة من عمره وحياء من جهد العلامة في هذا المجال لم نتطرق في هذا الفصل سوى لرؤى العلامة في المواضيع المطروحة وطرحها كما هي بقراءة في فصول كتابه«طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف» ، وبالتالي اعطينا رؤى مختلفة حول اراء نوري جعفر ونقودات عدة عسى ان نكون في كتابنا هذا قد قدمنا شيئا عن علم هذا الرجل المترامي الاطراف العلم الواسع والاطلاع الغزير الذي يحرج متلقيه ويجعل العلم بين يديه ، والحقنا الكتاب بملحق يحوي عدد من الوثائق والصور الخاصة بالعلامة نوري جعفر ، وهي تنشر للمرة الاولى في كتابنا هذا.ما كان غرضنا الاساسي من قراءتنا لنوري جعفر التعريف بمن هو نوري جعفر فهو علم من اعلام العراق والعالم او بماهية علمه ، ولكن

الغرض الاساسي هو ان نستنهض علم نوري جعفر بمجتمع بات بامس الحاجة الى اعادة قراءة هذا الرجل مرة ومرات كي نحقق نهضة منشودة واصلاح مطلوب ، فالى القارئ اقدم كتابي الاول عن نوري جعفر وستليه مشاريع اخرى حول نوري جعفر بالقريب ، فاذا وجد القارئ اخطاء وقعنا بها ارجو ان يقومها فبالنتيجة فان الكتاب هو ملكه .انني بهذ الكتاب اضع نوري جعفر امام القارئ لينهل من فكره الوقاد ، عبر دراسة تحليلية بحثية نقدية شاملة تعمل على تفكيك افكار العلامة نوري جعفر ونقدها بصورة مباشرة فالكتاب هو دراسة نقدية في فكر العلامة نوري جعفر. امل ان يستفيد المجتمع من فكر نوري جعفر للنهضة والاصلاح والبناء.

# اثر العادات والقيم الإنسانية على المنهج التربوي والتقدم التكنولوجي....

تعتبر التكنولوجيا ذات اثر كبير في إثراء الوضع الإنساني العالمي الكوني وذلك لأثرها في عملية التغيير وعلى كافة المجالات الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية وغيرها حيث شهد القرن الماضي والذي نعيشه اليوم تقدما تكنولوجيا مذهلا وقد عبر هذا التقدم عن نفسه في النظريات الجديدة الشائعة في الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والإحياء وغيرها من العلوم أسهمت هذه العلوم إلى زعزعة البنية الاجتماعية السائدة بين الناس والعلاقات الاجتماعية المعروفة بين الناس والمنحدرة من الماضي البعيد وبخاصة في المجتمعات النامية التي تسعى نحو نقل العلم النظري والتطبيقي نقلا ميكانيكيا لاستخدامه بأقصى سرعة لتطور أوضاعها المتردية بالمقاييس الحضارية الراهنة وهنا يشير الدكتور نوري جعفر إشارة لافتة ومهمة تلفت النظر إلى أن هذه المجتمعات المتخلفة أخذت تتشبث بكل ما هو سلبي في الحضارة الغربية المعاصرة مع احتفاظها في الوقت نفسه بما هو سلبي أيضا في تقاليدها الاجتماعية وهذه معادلة مهمة جدا تعطي صورة

واضحة للمجتمع الإنساني حيث أن هذه المجتمعات النامية تحتفظ بالتقاليد السلبية وفي الوقت نفسه تأخذ السلبي من الحضارة الغربية فهي في قطيعة مع الغرب ومع وضعها التاريخي والاجتماعي وهي في الحقيقة في أزمة حقيقية كبيرة فهي قد أضاعت الايجابي من الثقافة الغربية وتركت الايجابي من تقاليدها الاجتماعية وهذه المعادلة يمكن تصويرها بالشكل التالي:

**التقاليد الاجتماعية السلبية ـــــــ المجتمعات النامية ـــ الغرب السلبي**

**شكل رقم«١»**

حيث يشير المخطط أعلاه إن التقاليد الاجتماعية السلبية والتقاليد السلبية المأخوذة من الغرب هي التي تسهم في تكوين المجتمعات النامية ويشر نوري جعفر إلى أن الحصيلة الناتجة من ذلك ستكون تفكك الروابط الاجتماعية السائدة وبخاصة في حياة الأسرة ومجال تربية الأطفال ورحم الله من قال: ما اجتمع الداءان إلا ليقتلا.

وبالنتيجة سيكون الشكل في أعلاه بالشكل التالي:

**التقاليد الاجتماعية السلبية والتقاليد السلبية من الغرب، ـــ**

**المجتمعات النامية ـــ تفكك الروابط الاجتماعية المهمة.**

**شكل رقم «٢»**

وهنا يشير نوري جعفر إلى ظهور أمراض حديثة نتيجة هذا التفكك منها جسمية ومنها اجتماعية ينفرد فيها الإنسان المعاصر يطلق عليها أمراض الحضارة بمعنى الأمراض الناجمة عن الحضارة الحديثة كالإدمان

وتعاطي المخدرات والعصابات والإرهاب الدولي والاضطرابات العصبية والانفعالية الحادة وهي ظواهر مستعصية العلاج وهذه المسالة أو الحالة هي جواب للسؤال الذي يطلقه اغلب الناس بقولهم لماذا الإنسان سابقا أفضل بكثير من الإنسان بالزمن الحالي وان الوقت ذاك أفضل من الوقت هذا ؟ وللجواب فان الأمراض الحضارية اليوم يخلو منها الإنسان السابق قبل سنين ظهور الحضارة بشكلها الرائد اليوم وهذه المسالة الهامة تشير وبشيء لا يقبل الشك إلى الروابط الاجتماعية الهامة التي كان عليها الإنسان السابق أما اليوم فنرى مسائل كالطلاق والترمل يصبح بها المجتمع نتيجة التفكك تارة ونتيجة الإرهاب تارة أخرى ولو انتقلنا إلى جانب آخر ومهم من الجوانب السيكولوجية التي يشير إليها نوري جعفر من حيث التفسير السيكولوجي لطبيعة الإبداع وسلوك المبدعين حيث تنقسم النظريات التي تشير إلى الإبداع وتفلسفه إلى مجموعتين هما:

**أولا**: مجموعة النظريات التي تفسر الإبداع بأنه حالة باثولوجية منحرفة أو شاذة (فسلجية أو سيكولوجية وهي نظريات لبروزو ، كريستجمر ، فرويد) ويقول عنها نوري جعفر بأنها نظريات مرفوضة في ضوء علوم الدماغ المعاصرة.

**ثانيا**: مجموعة النظريات السيكولوجية والفسلجية التي تعتبر الإبداع حالة طبيعية (نظريات تيرفر ، كلفورد ، بافلوف) ومن هذه الزاوية فان ما يبدو غريبا أو غير مألوف أحيانا في سلوك المبدعين ينظرون إلى الأشياء المألوفة بطريقة غريبة ولهم أحيانا تصرفاتهم الخاصة بهم إزاء الأشخاص والظواهر الاجتماعية والطبيعية.ونحن إذ نشير في هذا البحث إلى هذه المسالة المهمة من حيث التغير النظري

لمسالة الإبداع كي نصنف المبدعين بعيدا عن شرائح المجتمع المكونة للمجتمعات النامية التي ابتدأنا بحثنا فيها.

## الرؤى التربوية والاجتماعية وتضامنها مع العلم والتكنولوجيا/

التقدم العلمي والمضامين الاجتماعية والتربوية....

لقد نظر المفكر نوري جعفر إلى موضوعة التقدم العلمي والتكنولوجي كمترابطة وثيقة مع المضامين التربوية والاجتماعية ، حيث يعتبر إن النصف الأول من القرن العشرين والنصف الثاني منه كذلك حصل فيهما تقدما علميا نظريا وتكنولوجيا مذهلا فاق ما حصل في تاريخ الإنسان ، بأسره ، وقد عبر هذا التقدم عن نفسه من خلال نظريات الفيزياء والكيمياء وعلم الفلك والرياضيات وحتى من خلال أسلحة الدمار الجماعي والأسلحة العابرة للقارات ، وهذا التقدم يعتبره نوري جعفر ثمرة التطور النظري الذي حصل في الرياضيات العالية بالدرجة الأولى وفي العلوم الطبيعية الأساسية الفيزياء ، والكيمياء والإحياء وهو ذو مزايا ينفرد فيها بالموازنة بنظيره الذي حصل في القارة الأوربية وهذه المزايا هي:

أولاً: أدى تقدم الرياضيات العالية والعلوم الطبيعية الأساسية إلى زيادة تغلغلها في أعماق الطبيعة الجامدة والحية والى الكشف عن أسرارها الخفية ،واتساع نطاق المعرفة النظرية نفسها والى تشعبها أو تعدد فروعها والى زيادة حدة التخصص وتضييق مجاله. وهنا يعلق نوري جعفر قائلا «فأخذت العلوم الطبيعية تتجه نحو الانعزال عن بعضها وانشغل كل منها في بحث قضاياه المحددة الخاصة به وتكامل بعضها واستقل تمام الاستقلال

عـن الأصـل الـذي نشـأ عنـه»[1] وهنـا فـان نـوري جعفـر يشـير إلى أهميـة التخصص الذي حصل في العلوم واليوم الشخص الذي يدرس شيئا في علـم مـن العلـوم فانـه يتخصـص بـه فـلا يوجـد شـيئا يدرسـه بكـل جوانبـه ويمكن أن يلم به أو يبدع فيـه وهو هنا يشير إلى أهمية مبـدأ التخصـص ، من حيث دراسة العلوم بشكل أفضل كذلك مبدأ تكامل بعض العلوم التي نشأت عن علوم أخرى ومنها على سبيل المثال لا الحصر علم الذرة التي نشا عن علم الفيزياء وغيرها مـن العلوم الأخـرى. ، تفـرع العلوم كمـا إلى تخصصـات واسـتقلال بعضـها عـن بعـض أدى إلى كثـرة التخصـص وضـيق نطاقـه ، الأمـر الـذي أدى بـدوره إلى حـدوث فجـوات بـين العلـوم الطبيعية وحرم بعضها من الانتفاع ببعض.

ولكن هذا لم يستمر طويلا كما يقول نوري جعفر فبرزت فـروع علميـة جديـدة لسـد الثغـرات المشـار إليهـا ومنـها «الفيزيـاء الفلكيـة»للجمـع بـين الفيزيــاء وعلــم الفلــك. والكيميــاء الفيزيائيــة للجمــع بــين الفيزيــاء والكيميـاء.وغيرهـا مـن العلـوم ويعطـي نـوري جعفـر سمـة جميلـة للتقـدم مفادها تلاشي الحدود المتحجرة الفاصلة بين مختلف فـروع المعرفة العلمية (الطبيعيـة بالدرجـة الأولى: التفـاعلات الكيماويـة والعمليـات البيولوجيـة وظواهر الطبيعة الجامدة الأخرى وقد أصبحت للفيزياء مثلا اليد الطولى في علـوم الحيـاة غـير إن هـذا لا يعـني إن الفيزيـاء اجتاحـت علـوم الحيـاة وإزاحتها إلى مركز ثانوي الأهميـة وإنما هو يعـني إنهـا لقحتها بأساليبها في

---

١ - نـوري جعفـر، التقـدم العلمـي والتكنولـوجي ومضـامينه الاجتماعيـة والتربوية، الموسـوعة الصـغيرة ١٣ ، منشـورات وزارة الثقافـة والفنـون، بغداد ، ١٩٧٨م، ص٤

البحث وبمعطياتها النظرية.وهنا ننظر كيف إن نوري جعفر يهتم بالملاقحة الفكرية والعلمية بين العلوم وهذا ما اشتغل عليه هو رحمه الله عندما كتب عن العلاقة بين الفنون والثقافات الإنسانية وبين التكنولوجيا كما سيأتي أو بين التقدم العلمي وأثره التربوي ومضامينه الاجتماعية كما نحن بصدده الآن ، وهذا التلقيح يتجلى بأوضح أشكاله في الفيزياء الحياتية التي نشأت لتصل بين الفيزياء وعلم الحياة المتباعدين في السابق وهنا يعلق نوري جعفر إن الفيزياء الحياتية التي نشأت على الحدود الفاصلة بين هذين العلمين (المتباعدين في الأصل التاريخي ، أخذت تستخدم أساليب البحث الفيزيائي ونظريات الفيزياء والرياضيات العالية في دراسة الظواهر البيولوجية في مستواها البايويلجي المحض :الجزيئي مما أدى إلى نشوء (علم الإحياء الجزيئي) Molecular، أي إن العلوم تتناسل من بعضها فالفيزياء والأحياء ساهما في إنشاء علم الفيزياء الحياتية كمقرب أولا بين العلمين وكعلم مستقل أيضا وهذا مما لم يشر إليه نوري جعفر كذلك ساهم العلم الجديد في إنتاج علم آخر هو علم الإحياء الجزيئي وهو مما أشار إليه.

ثانياً: عدم ارتكاز التقدم التكنولوجي على عاتق فئة من الباحثين المنعزلين في مختبراتهم كما كانت الحال في القرون الماضية بل تعاون مجاميع من العلماء في مختلف الاختصاصات ومن مختلف البلاد بل حتى العلوم المختلفة أخذت تستعين ببعضها البعض من ناحية معطياتها النظرية وأساليب البحث ، وهذا يعني بعبارة أخرى إن عهد العلماء الأفراد قد أوشك على الانتهاء وأخذت تطغى بالتدريج النزعة التعاونية الجماعية.كما أوشك على الانتهاء أيضا عدم اكتراث العلماء بالنتائج الاجتماعية (السلبية) الناجمة عن آرائهم العلمية وتطبيقاتها التكنولوجية وبخاصة لإغراض لا إنسانية أو تخريبية كالحروب ، أي إن العلماء لم يعودوا

كما كانوا في السابق غير ملتزمين إزاء النوع الإنساني أو غير مكترثين بالأغراض الإنسانية التي تسخر لخدمتها منجزاتهم النظرية والتكنولوجية. ولكن هذا الرأي للعلامة نوري جعفر قد يكون في وقته صحيح أما العلماء اليوم فبفضل التكنولوجيا التي يبتدعوها تخرب البيئة اليوم وتتسبب المشاكل الأرضية الكبرى ومنها الاحتباس الحراري هو بسبب مخلفات التكنولوجيا وكذلك ما نعانيه اليوم من أمراض عديدة من قبل الأورام السرطانية وغيرها هي بسبب التكنولوجيا فنوري جعفر قد يكون كلامه صحيح في الوقت الذي أدلى به في هذا الرأي وهو عام ١٩٧٨ عندما كان تأثير التكنولوجيا السيئ على البيئة والمجتمعات ما زال في بداياته أما اليوم فهو متفاقم فيعتبر علماء التكنولوجيا اليوم لهم تأثيرات سيئة على الإنسان والبيئة بسبب الانجازات التكنولوجية والمعامل الكبرى الصناعية في العالم، صحيح ان هنالك جهود عالمية تبذل اليوم في هذا المجال ولكنها ما زالت غير مفيدة لانقاذ الانسان والبيئة والارض.

كما إن نوري جعفر يستند بنظرته هذه حول العلماء ورعايتهم للجانب الإنساني في العلم على جهود عالم الفيزياء البريطاني جون بيرنال الذي نشر في بداية الحرب العالمية الثانية كتابا بعنوان: الوظيفة الاجتماعية للعلم وايضا يذكر جهود الفيزيائي الفرنسي فردريك كوري التي بذلها عام ١٩٥٥ لتفادي حرب نووية مدمرة الأمر الذي أدى إلى صدور النداء التاريخي الذي وقع عليه فريق من قادة الفكر مثل برتراند رسل وماكس بورن وباولنك واينشتاين، كما انشات معاهد دولية لاظهار التعاون العلمي التكنلوجي ومنها «المعهد الدولي للعلوم التطبيقية» حيث ان لظاهرة التعاون العلمي هذا مضامين اجتماعية بالغة الاهمية وبخاصة من الناحية التربوية بمعناها الاشمل: فالتفكير الجماعي هو دون شك ذو تاثير ايجابي على تفكير كل

فرد من افراد الفريق يرفعه الى مستوى اعلى نتيجة تبادل الراي والخبرة واستخدام الاجهزة العلمية المتقدمة ، واجراء مزيد من البحث والتعمق.

ثالثا/ وهنا يستخدم نوري جعفر مصطلح «امتصاص الادمغة» ويفلسفه بالشكل التالي: انه ازداد طلب الدول الغربية التقدمة والولايات المتحدة للعلماء من البلاد الاخرى بما فيها المتخلفة والناشئة كالهند والبلاد العربية كما ازداد اغراؤها اياهم بالهجرة والاستيطان فيها بالاضافة الى ان الطلاب الذين يذهبون للدراسة في الرب لا يعود اكثرهم ويتشربون بالايدولوجيا الامريكية الرسمية ويفقدون حسهم الوطني ومسؤولياتهم الاجتماعية المحلية كل ذلك لقاء اجور زهيدة بالقياس بالارباح الطائلة التي تجنيها الاحتكارات من جهودهم العلمية بالتالي فان ظاهرة «امتصاص الادمغة» التي اشار اليها المرحوم نوري جعفر تمارس نمطا جديدا من الاستعمار الفكري وتستغل لاغراضها الاحتكارية اللانسانية مصادر الثروة البشرية التي تعود الى غيرها من البلاد. وقد انتبه نوري جعفر الى هذه المسالة واشار اليها ويعتبر بذلك رائدا حيث انه يجري اليوم التكلم عن هجرة العقول وماشابه من المصطلحات في حين ان نوري جعفر اشار الى هذه المسالة بوقت مبكر ، حيث ان الولايات المتحدة بعملها هذا توفر على نفسها الكلفة المادية والوقت الطويل والجهد الذي يستلزمه تحضير هؤلاء الاختصاصيين المتمرسين وتشربهم بايدولوجيتها البرجوازية من ناحية وتحرم اقطارهم من اقتطاف ثمرات تفكيرهم..

رابعا/تطور العلوم الى انواع جديدة استطاعت ان تغير من المسار العالمي للعلم وتوجهه نحو اماطة اللثام عن اسرار خفية واضافة عناصر جديدة ومركبات جديدة الى الطبيعة ونشوء تكنلوجيا متقدمة تستند الى الطاقة النووية على سبيل المثال.

خامسا/ تقدم العلم والتكنلوجيا يسير بسرعة فائقة بحيث ان ما يحصل في سنوات معدودات يفوق ما حصل في قرون سابقة.كما ان الفترة الزمنية التي تفصل بين الاكتشاف العلمي النظري وبين تطبيقاته التكنلوجية (في الدول المتقدمة) قد تقلصت كثيرا عما كانت عليه بشكل يثير الاستغراب وهنا يذكر العلامة نوري جعفر المعلومات التالية ليؤيد صحة ما ذهب إليه: فقد استغرق مثلا تطبيق مبادئ التصوير الفوتوغرافي زهاء ١١٢ سنة /بين اكتشاف تلك المبادئ نظريا في عام ١٧٢٧ موبين استخدامها التقني في الصناعة حيث لم يبدأ الا في عام ١٨٣٨م. في حين إن فلق نواة الذرة نظريا وتطبيق ذلك بالفعل لم يستغرق سوى ٦ سنوات بين عام ١٩٣٩ (عندما توصل العالمان الألمانيان هاهن وستراسمان) إلى إمكانية فلق نواة ذرة الاورانيوم نظريا وبين عام ١٩٤٥ حيث ألقيت القنابل الذرية على هيروشيما وناكازاكي ودمروهما تدميرا كاملا دون مسوغات عسكرية لكون الحرب كانت على وشك الانتهاء ودون اعتبارات إنسانية١. وهنا يبرهن نوري جعفر على ضرورة تلازم الأخلاق مع التكنولوجيا وتطورها لاعتبارات الإنسانية نفسها ، اما العامل الاقتصادي الذي ادى الى تقليص الفترة الزمنية بين الانجازات العلمية النظرية وبين استخدامها في الصناعة هو نشوء القطاع الاقتصادي الراسمالي الحكومي الذي يسند الاحتكارات ويستند اليها ايضا ويستند كذلك الى المنجزات العلمية والتكنلوجية المتطورة وبالنتيجة فان تقليص الفجوة الزمنية بين العلم النظري وتطبيقاته التكنولوجية يعود في الأصل في المجتمع الرأسمالي المعاصر إلى تركيز الثروة في شركات احتكارية ضخمة ضئيلة العدد تستأثر بحصة الأسد من الأرباح الفاحشة

---

١ - المصدر نفسه، ص١٣

التي تعتصرها من جهود العلماء والعمال.إذن فنوري جعفر يبرهن على ان التكنولوجيا في بعض صورها تنسحب لضرب الجانب الأخلاقي لدى الناس.كما يحصل عند الشركات الاحتكارية التي شخصها نوري جعفر قبل ٣٢ سنة من الآن.

سادسا: في هذه النقطة بالذات يربط نوري جعفر بين التقدم العلمي والتكنولوجي والتحولات الاجتماعية المحلية والدولية ويقول: إن التقدم العلمي التكنولوجي المعاصر يزيد أيضا —وبشكل جذري حاسم —من حدة الصراع الدائر سياسيا واقتصاديا وعلى الصعيد الايدولوجي بين النظام الرأسمالي والاشتراكية. هذا فيما يخص عصر نوري جعفر حيث أفرزت فيه هذه المسائل أما اليوم فلا يوجد هنالك صراع بين هذين المعسكرين بل انتهى هذا الصراع وبدأت صراعات من نوع آخر.ولكن بالنتيجة فان الميزة الأخلاقية التي يريد نوري جعفر إبرازها للمجتمع إن التقدم العلمي والتكنولوجي هو سلاح ذو حدين :تستخدمه القوى التقدمية لمصلحة الإنسان وتقدم الحضارة.وتستعمله القوى العدوانية لإغراض لا علمية لا إنسانية. ونلاحظ تركيز نوري جعفر على الاستخدام الأمثل للتقدم العلمي في صياغات إنسانية بحتة. كما ان العلامة نوري جعفر يهاجم الاشكال المتعددة للنظام الراسمالي ومنها «نظرية التلاقي او الانعطاف» ونظرية «الراسمالية الشعبية» و« دولة الرفاه العام» و«المجتمع الصناعي» و«التكنوقراطية» وما يجري مجراها.

سابعا: وفي هذه النقطة يشدد نوري جعفر على الارتباط الوثيق بين التقدم العلمي والإنتاج ولا علاقة للتقدم بمصالح الطبقات الاجتماعية المتنافرة وهذا بنظره هو الذي يؤدي إلى وحدة العلم على النطاق الدولي فانه من غير الممكن أن تنشأ تكنولوجيا اشتراكية لإنتاج السفن مثلا وأخرى رأسمالية.

ثامنا: التقدم العلمي والتكنولوجي الحديث نجم في الأصل عن التقدم النظري الذي حصل في الرياضيات العالية وفي العلوم الطبيعية الأساسية لاسيما الفيزياء والكيمياء كما إن التقدم العلمي تجاوز إنتاج الأدوات التي تخفف من عبء العمل العضلي إلى اكتشاف الحاسبات الالكترونية التي تمارس عمليات عقلية مذهلة.

تاسعا: وهنا يجسد نوري جعفر ارتباط التقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر ارتباطا وثيقا ومباشرا بالتربية فطورها وتطور أيضا عن طريقها :فقد أدى إلى إعادة النظر بصورة جذرية في نظام التعليم بأسره وفي مناهج الدراسة وأعاد بناءها لصالح الرياضيات والعلوم الطبيعية. كذلك أدى إلى تنمية التفكير العلمي لدى الطلاب وجعلهم قادرين على نقد الآراء.

وقد نتج عن ذلك تضييق الفجوة بين العمل الذهني والعمل العضلي: بين النظرية والتطبيق بعبارة اشمل ، وهنا يهاجم نوري جعفر النظام الرأسمالي باعتباره يعرقل انتشار التعليم العالي وذلك برفع كلفته المادية ووضع شروط قاسية للقبول.وهنا فان العلامة لا يركز على الجوانب التربوية وكيفية تأثير الكنلوجيا بها وإنما أشار إليها فقط والى جوانب لها علاقة بالتأثير الايجابي للعلم على التفكير وليس التربية.

عاشرا: تقدم العلم احدث صناعة حديثة يمكن تسميتها صناعة «صوغ الفكر» وهي التي تنشرها الصحف ومحطات الاذاعة والافلام السينمائية وطبعا اليوم تنشرها الفضائيات ومواقع الانترنت- التي لم يتطرق اليها العلامة لعدم معاصرته لها — التي تتدفق كالسيل المنهمر بلا هوادة في مختلف اللغات ويشرف عليها خبراء في علم النفس والتربية والفلسفة وعلم الاجتماع وتنشرها الاحتكارات على هيئة حقائق جاهزة للاستهلاك كالملابس الجاهزة لاثارة المشاعر الملائمة لصالح الاوساط التي يسميها نوري

جعفر الامبريالية وهو بذلك يشير ضمنا الى دور العولمة في صياغة هذه المفاهيم عبر التكنلوجيا بحيث اصبحت بامكانها ان تدخل الى أي بيت وفي غرفة النوم حتى وتملي على المتلقي ما تريد املائه ، فلو كان نوري جعفر قد عاصر الانترنت والفضائيات اليوم وسبل الاتصال الحديثة فما هو يا ترى لسان حاله بخصوص مفهوم «صوغ الفكر» الذي طرحه.

## التسلسل الزمني لتطور العلم والتكنولوجيا:/

ان العلامة نوري جعفر يضع تسلسل زمني لتطور العلم والتكنلوجيا منذ نشوء مجتمع الرق الى عصر الصناعة وقد تغلب الانسان البدائي عن طريق التكنولوجيا: ادوات العمل (او الاعضاء الاصطناعية المضافة الى جسمه)على تخلفه البايولوجي في مغالبة الطبيعة وضمن لنفسه التقدم المادي والفكري المذهل.وقد وضع التقدم التكنولوجي منذ نشوئه البدائي القديم الى اليوم تحت تصرف الانسان اربعة صنوف كبرى من الاساليب يستخدمها في معركة الصراع من اجل البقاء. وهي:

مجموعة الاساليب الميكانيكية ومثالها الطواحين الهوائية.

مجموعة الاساليب الفيزيائية ومثالها اذابة وصهر المعادن.

مجموعة الاساليب الكيمياوية المتمثلة في تحويل المواد من حالة الى اخرى.

مجموعة الاساليب البايولوجية ومثالها استخدام الكائنات الحية المايكروسكوبية.

ويضع نوري جعفر تداخلا مهما بين هذه العلوم حيث يعتبر ان هناك اثرا متبادلا بين التطور التكنولوجي والتطور البايولوجي للانسان يعمل كل

منهما على رفع مستوى كفاية صاحبه ويتطور بتطوره،والغرض الرئيس من ابتداع الانسان ادواته التكنولوجية (ابتداء من الادوات الحجرية البدائيةالى الحاثبات الالكترونية)هو استكمال النقص الفسلجي في اعضائه او ادواته البايولوجية اثناء مغالبته الطبيعة لا ان يستبدل بتلك الاعضاء البايولوجية الادوات المصنوعة.

كما ان نوري جعفر يستعرض نظرية التراكم المعرفي التي تكلم عنها الغرب اليوم ولكنه تكلم عنها في وقت اسبق بكثير حيث يتكلم عن الاستقلال النسبي للعلم النظري والتكنولوجي من حيث ان كلا منهما كيان متماسك في حد ذاته هو في الوقت نفسه جزء من الظواهر الاجتماعية المتعددة التي يتألف منها المجتمع في كل مرحلة من مراحل تطوره. والاستقلال النسبي المشار اليه يعبر عن نفسه في تجمع المعرفة العلمية والخبرة التكنولوجية وتراكمها بمرور الزمن الطويل.وهذا في حد ذاته احد العوامل المهمة في التقدم العلمي.

## تطور التكنولوجيا وعلاقته بالاثار الاجتماعية:

لتطور التكنولوجيا علاقة وثيقة بالمجتمع وهذا مما سنستخلصه من فكر المرحوم وكالتالي:

تطور التكنولوجيا يتوقف على تقدم المجتمع فكريا حيث ان الكثير من الصناعات المهمة جاءت نتيجة تقدم المجتمع وحاجته لمثل هكذا صناعات فالكثير من المخترعات بقيت مهملة وغير مفعلة بفعل انتفاء الحاجة الاجتماعية الى استخدامها.

نضج العلاقات الاجتماعية عامل مهم في تقدم التكنولوجيا وذلك من

خلال وضع التطبيق التكنولوجي موضع التنفيذ.

كما تكلم نوري جعفر عن المجتمع الاشتراكي كثيرا وعده أفضل من المجتمع الرأسمالي وذلك من خلال تطور وسائل الإنتاج في الجانب التكنولوجي (الملكية الخاصة الرأسمالية لوسائل الإنتاج) والاحتكارات التي هي أعلى أشكال الملكية الخاصة المركزة بعبارة أخرى إن علاقات الإنتاج الرأسمالية التي فات أوانها تعمل من جهتها على توجيه الإنتاج والتكنولوجيا لخدمة مصالحها الطبقية فتعيق تقدمها عما ينبغي أن يكونا عليه.وهذا جانب أخلاقي تكنولوجي اقتصادي في آن واحد ينتفي وجوده في المجتمع الاشتراكي على حد تعبير العلامة نوري جعفر مما يظهر تعاطفه الكبير مع سمات الاشتراكية كأثر في حياته مهم اثر على فكره.

كما ويسال نوري جعفر سؤالا مهما أيهما العامل الأسبق في التقدم وفي تطوير صاحبه :اهو التقدم العلمي والتكنولوجي؟أم التقدم الاجتماعي؟ ويجيب بان التاريخ يدلل على إن الآراء الاجتماعية التقدمية هي الأسبق والاهم في هذا المجال.فقد ثبت إن الآراء الاجتماعية التقدمية هي التي تسبق التقدم العلمي التكنولوجي وتؤدي في الأصل التاريخي إلى تقدم المجتمع في أول الأمر وتمهد السبيل بعد ذلك وعلى أساسه إلى التقدم العلمي والتكنولوجي وتؤدي أيضا إلى تقدم العلاقات الاجتماعية والإسراع في سيرها.وهذا رأي مهم وغير مطروح من آراء نوري جعفر وكيف يقوم بربط التكنولوجيا بالاجتماع.

إنَّ الأفكار الاجتماعية التقدمية الجديدة هي التي تسبق أيضا حدوث الثورات الاجتماعية وهي احدى عوامل حدوثها.وهنا في هذه المسالة بالذات يذكر نوري جعفر امثلة صارخة على صحة هذه المسالة ومنها في انكلترا اثناء ثورتها المعروفة في بداية القرن السابع عشر وفي فرنسا في ثورتها

في نهاية القرن ١٨ ثم ان التقدم العلمي والتكنولوجي بدوره يعمل على حصول تقدم لاحق في الفكر الاجتماعي وفي الحياة الاجتماعية عموما والشكل التالي يمثل هذه الدواليك:

**التقدم في الافكار الاجتماعية ـــ تقود الى ـــ التقدم العلمي والتكنولوجي ـــ يقود الى ـــــــ التقدم في الفكر الاجتماعي والحياة الاجتماعية.**

**«شكل رقم ٣»**

اذن هنالك دورة تاثيرية تبادلية بين الامرين حيث تتبادل الافكار التقدمية الاجتماعية الاثر مع الافكار العلمية التكنولوجية وتتطور بتطورها ، وهذا الفكر في راينا يعد نظرية كبرى انتجها نوري جعفر ولم يتطرق اليها احد من معاصريه كأثر اساسي لتقدم المجتمعات.

كما ثبت تاريخيا ان التقدم العلمي والتكنولوجي كان وما زال وسيبقى احد العوامل الايجابية لحدوث الثورات الاجتماعية التقدمية وهذا ما حدث في فرنسا حيث حدوث التقدم العلمي الذي ساهم في حدوث الثورة الفرنسية في نهاية القرن ١٨ وانهيار نظام الاقطاع.اذن الافكار الاجتماعية التقدمية والتقدم العلمي والتكنولوجي كلاهما يساهمان في عملية حدوث الثورات الاجتماعية التقدمية والشكل التالي يوضح هذه المسألة:

**الافكار الاجتماعية التقدمية + التقدم العلمي والتكنولجي ـــ يقودان إلى ـــ الثورات الاجتماعية التقدمية.**

**«شكل رقم ٤»**

ولكن قد يتعارض هذا المبدئ مع آراء كوبرنيكوس وغاليلو فقد كانت أفكارهم علمية وسابقة لأفكار اجتماعية فمن الممكن الإجابة عن هذا التعارض بالقول إنها أفكار علمية كان لها تأثير ايجابي مباشر في الأفكار الاجتماعية بل كانت صدى للحركة الإنسانية التي نشأت آنذاك في المدن الايطالية وعبرت عن نفسها في آراء دانتي وروفائيل وأنجلو ودا فنشي ثم في أوربا الغربية لدى شكسبير وجوته ودون كيشوت وغيرهم كثير..ثم إن نوري جعفر كانت تتداخل في حياته الفكرية النماذج البشرية المتعددة من المفكرين فهو وفي حديث واحد يدلك على قابلية التمازج الثقافي في تكوين شخصيته يذكر شكسبير ، جوته ، الجاحظ ، أو أدباء فرنسا في القرن الماضي وهكذا علينا أن نتعرف على التمازج الذي يجريه هذا العالم الكبير بين العلوم ككل والفن والذيسنتناوله في فصل اخر حيث يعتبر نوري جعفر إن العلوم تفسر الفن من ناحية الأصول السيكولوجية لان الفن راجع إلى عاملين مهمين/

١- العامل الجسمي: الذي يمده بأداته الجسمية.

٢- العامل الاجتماعي الثقافي: الذي يمده بمحتواه أو مضمونه وهو يفلسف الإحساس السيكولوجي بالفن في ضوء علوم الدماغ حيث ثبت لديه إن في الدماغ مناطق مخية خاصة تسمى: المناطق المخية الثلاثية التي تقع في القسم الخلفي الأعلى من المخ أو ما يسمى (بالفصين القذاليين) ومهمتهما القيام بما يسميه علماء النفس بعملية الإدراك الحسي البصري كما هو الحال بالرسم أو الشعر وأحيانا يعبر عنها سمعيا كما هو الحال في الموسيقى هذا هو الأساس الجسمي للفن حيث إن لولا الجسم لما يستطيع الإنسان أن يتحسس الفن فمن خلاله يتفاعل الإنسان مع البيئة التي تحيطه[1].

---

١ - الاصالة في مجالي العلم والفن، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩م.

التقدم العلمي والتكنولوجي يمكن ان يكون قوة هائلة مدمرة تهدد وجود الانسان بالاضافة الى تهديدها منجزاته الحضارية ، كما راينا في اسلحة الدمار الشامل وغيرها.ولكن للدكتور نوري جعفر راي بالضد من هذه المسالة مفاده ان صنع هذه الاسلحة ليس برغبة العلم والتكنولوجيا بل برغبة الدول العدوانية ولتحقيق مصالحها الكبرى اذن اتخذ العلم كوسيلة لفعل هذه الامور ليس اكثر.

يعارض نوري جعفر الراي القائل بان التقدم العلمي والتكنولوجي وحدة اساس الحضارة الحديثة ومنبع التقدم الاجتماعي دون ان ينظر الى طبيعة النظام الاجتماعي الذي ينشر فيه العلم ودون ان ياخذ بعين الاعتبار اثر الافكار الاجتماعية التقدمية.

كما يخالف العلامة جعفر الراي الذي يعبر عن نفسه بما يسمى «التخلف الاجتماعي» او «الخلقي» الذي يعتبر ان الانسان الحديث لم يرتفع خلقيا الى مستوى التقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر وذلك لاستعماله العلم ومنجزاته التكنولوجية لاغراض لا انسانية.وهذا الراي كما يقول العلامة مضلل ايضا وسطحي لانه يغفل مسؤولية النظام ، الامبريالي –كما يسميه- عن ذلك التخلف. اذن يبقى العلم هو عبارة عن سلاح ذو حدين اما يستخدم في نفع الناس او في مضرتهم.وقد استخدمته القوى الكبرى كوسيلة لتحقيق اغراضها.

يتبين مما ورد اعلاه انفراد العلامة نوري جعفر بالاشارة الى المضامين الاجتماعية للعلم والمضامين التربوية التي سنبينها لاحقا في هذا الفصل مما يدلل على رؤية العلامة نوري جعفر الثاقبة

كما ويعتبر نوري جعفر إن للرياضيات دور مهم وأساس في تقدم التكنولوجيا وان الأفكار الرياضية المتقدمة هي إحدى المصادر الكبرى للتقدم العلمي النظري والتكنولوجي في الوقت الحاضر.

وكذلك فان دور الرياضيات في التقدم العلمي والتكنولوجي يتضمن ما يسميه نوري جعفر «تريض»Mathematizaion العلوم الطبيعية الأساسية.

## المضامين التربوية الناشئة من التقدم العلمي والتكنولوجي:/-

اما المضامين التربوية فيلخصها نوري جعفر بقوله «ضرورة تحويل الصف الى مختبر يحضر اليه الطلاب للاكتشاف والبحث ، اي انهم يتوصلون بانفسهم وبمعاونة المدرس والكتاب الى استنباطات جديدة ووفق مستوى تطورهم الثقافي واستنادا الى تفكيرهم المستقل لا ان يقتصر الامر على مجرد تلقي المعلومات القديمة وترديدها بشكل الي ببغاوي في اغلب الاحيان ، وهذه عملية تربوية شائكة وطويلة وتحتاجالى بذل جهد كبير من جانب التلاميذ والمعلمين على حد سواء وتتضمن ايضا تقديم المعرفة اليهم على هيئة مشكلات تستدعي الحل وتكون المعلومات سهلة وصعبة في ان واحد :صعبة بحيث تتحدى التفكير وسهلة بحيث يجد التلاميذ في خبرتهم السابقة ما يعينهم على حلها»[1] فهذه عملية متكاملة لرفد المنحى التدريسي للمدارس ولاسيما في الوقت الحاضر حيث نرى التدني الفكري

---

١ - د.نوري جعفر، التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية والتربوية، مصدر سابق، ص٣٧.

الواضح والثقافي الفاضح في مستوى التدريس في الوقت الحالي وان يرافق هذه المسالة التشجيع والاشادة بجهود الطلاب مهما كانت متواضعة من خلال استخدام كلمات التشجيع.

وهذه المسالة تدلل على اهمية المبدء الانساني الذي يجب ان يتحلى به المربي والاستاذ.فقد ثبت ان للكلمات اثرا فسلجيا عميقا في حياة الانسان الانفعالية من الناحيتين السلبية والايجابية وان باستطاعة الكلمة المتحدث بها او المكتوبة ان تستثير لدى الشخص استجابات على نسق ما تستثيره مسمياتها[1]: اي ان الكلمة تستطيع ان تحل وظيفيا محل مسماها وقد استطاع كثير من الجراحين –عن طريق استعمال الكلمات الرقيقة- ان يجروا عمليات جراحية بسيطة دون الاستعانة بالتخدير ودون ان يشعر المريض بالالم.وهذا هو اساس العلاج السايكولوجي عن طريق«الايحاء اللفظي» وللايحاء اللفظي اثار علاجية كثيرة مالوفة في الحياة اليومية تتضح كثيرا في المجتمعات المتخلفة.وله ايضا اثار مهمة في حقل التعليم سلبية (استعمال الكلمات الجارحة[2]: تانيب الطالب المقصر) وايجابية (كلمات التشجيع) التي تكلمنا عنها في اعلاه ولهذا يعلق نوري جعفر على هذه المسالة قائلا «اننا نوصي المدرسين (والاباء والامهات) بضرورة الكف عن التانيب الجارح وان يستعينوا بالكلمات الرقيقة في تربية الاطفال لانها تبعث الثقة بالنفس والتفاؤل.فقد ثبت ان الكلمات القاسية او الجارحة

---

١ - كلمة (ليمون حامض) مثلا تستثير اللعاب كما يستثيره الليمون الحامض نفسه.

٢ قال الشاعر:

جراحات السنان لها التأم ولا يلتام ما جرح اللسان

تؤذي المخ لدى كثير من الطلاب لاسيما ذوي نمط الجهاز العصبي المركزي الضعيف والنمط القوي غير المتزن ونمط الفنانين»[1] وتزداد حدة هذا الايذاء الايذاء في اوقات الامتحانات بصورة خاصة واثناء استدعاء صغار التلاميذ الى السبورة او توجيه اسئلة محرجة في الصف وفي جميع الحالات الاخرى التي يتعرض فيها المخ للارهاف. وكثيرا ما يؤدي التانيب او الازدراء الى اصابة الاطفال بالاضطرابات العصبية بالاضافة بالطبع الى فقدانهم الثقة بالنفس وعدم بذل الجهد الفكري المطلوب ونشوء مشاعر المقت والحقد ولهذا فان التشجيع بالكلمات الرقيقة افضل اداة للتعليم وللتعامل بين الناس[2] وقد ثبت قيمة التشجيع بالكلمات الرقيقة حتى في تدريب الحيوانات فما بالك بتعليم الانسان... فقد ذكر مدرب الحيوانات السوفييتي ايدر في مذكراته بعنوان «اصدقائي الحيوانات» قصصا طريفة في هذا الباب بامكان المدرسين الانتفاع بها[3] كلها تدل على ان الرفق والمعاملة الحسنة وكلمات التشجيع في حالة الانسان بالغة الاثار الايجابية في التعليم. فالاثر التربوي فهو مهم للغاية يبتدا أثره من انطلاقات جون ديوي في التربية ومنها دعوته لاحترام الطالب واعتباره الهدف لا الأداة في العملية التربوية هذه أهداف جون ديوي التعليمية والتي صاغها نوري جعفر ومفادها أن تنطلق من الطالب لتنشئة الجيل الصاعد ودور المعلم هو

---

١ - الدكتور نوري جعفر، طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧١، الفصل الرابع.

٢ - نوري جعفر، اللغة ومنزلتها في حياة الانسان، افاق عربية، دورية، بغداد، كنون الاول ١٩٧٥، العدد ٤، ص٤٣.

3 -Eder, B. My Animal Friends, Moscow,Foreign Languages publishing House ,no date

تزويد التلاميذ بالمعلومات والأنماط السلوكية السليمة أي أن يكون قدوة حسنة لطلابه في تصرفاته معهم فلا يحابي ولا يفضل بعضهم على بعض إلا على أساس التفوق العلمي وهذا عامل أساسي وقوي ومهم انتبه له الإسلام بمقولات عديدة وتطبيق على ارض الواقع وهذا واضح من حادثة تاريخية لعلي بن أبي طالب حيث كان يتمشى مع ولده الحسن في أزقة الكوفة فصادفهما اخوين قد كتب كل منهما عبارة بسم الله الرحمن الرحيم وقال احدهما لعلي بن أبي طالب أينا أحسن خطا فالتفت الإمام إلى ابنه الحسن وقال له: بني حسن احكم بينهما واعلم انك محاسب على حكمك يوم القيامة. وهذا يدلك على عدالة الإسلام حتى مع هذين الطفلين فلا توجد هناك محاباة إلا على أساس التفوق العلمي بين الطلاب للعلم والراغبين فيه.

ومن الأمور المهمة التي أشار إليها نوري جعفر في مسالة التربية هي ضرورة تكوين روابط وثيقة بين المدرسة والأسرة وذلك بالتعاون معا في تربية الأطفال بصورة خاصة لان للطفل مشاكل كثيرة لا يعرف عنها المعلم شيئا ولكن الأسرة تعرفها كما إن للطفل مشاكل تعليمية لا تعرفها الأسرة بينما المدرسة تعرفها وهكذا فان الأسرة مع المعلم يشكلان ركيزة أساسية لبناء وخلق أجيال متربية بشكل كبير ، فمرة المدرسة لوحدها تساهم في تنشئة التلميذ ومرة الأسرة لوحدها وفي المرة الثالثة والمهمة المدرسة بالتعاون مع الأسرة تساهم في بناء وتنشئة التلميذ تنشئة مهمة. وتعتمد أفكار العالم نوري جعفر على جان ديوي في التربية اعتمادا كبيرا حيث ينقل نوري جعفر عن ديوي دعوته إلى ضرورة التزام المعلم بمهمته التزاما تاما ، وان لا يكون حضوره للصف لملء الفراغ بل لإفادة التلاميذ والسير بهم خطوة خطوة من الأمر الأسهل إلى السهل ومن الصعب إلى الأصعب بالنسبة

لهم لا بالنسبة له ، والمعلم في نظره مسئول عن اكتشاف قدرات التلاميذ الخاصة وتوجيهها توجيها سليما وتعويدهم على ضرورة احترام المعلم والمعلمين ، أما أفكار جان بياجييه فيعتمد عليها نوري جعفر كذلك حيث يعتقد بياجييه إن عملية النمو الفكري تمر بمراحل متعاقبة ومتكاملة يستند بعضها إلى بعض ولهذا فان التعامل مع الأطفال داخل المدرسة وخارجها لا بد لكي يكون فعالا وايجابيا ، أن يستند إلى فهم دقيق لطبيعة المرحلة التي مر بها الطفل والمراحل التي يحددها بياجييه هي:

١- المرحلة الحسية الحركية في التعامل مع البيئة.
٢- المرحلة التالية تستمر حتى العام الثاني أو الثالث للطفل وهي مرحلة التعرف على المفردات حتى تتحول عنده إلى كيانات قائمة.
٣- مرحلة العلاقات والعمليات الذهنية التي تمتد إلى نهاية السنة السادسة حيث يدرك الطفل العلاقات وارتباطاتها.
٤- مرحلة تكوين الفكر المجرد إدراك علاقات مجردة تتسع وتأخذ طابع التعميم والتجريد واكبر نصيحة وجهها نوري جعفر لتربية الأجيال هي"ثلثان من الفطنة ، وثلث من التغافل" وان هذه النصيحة التربوية مهمة للغاية فلا التشديد على الطفل يسهم في بنائه وتربيته ولا التغافل عنه وإنما بهذه المعادلة تستطيع تكوين جيل راقي للغاية قادر على التقدم.

وبالامكان ان نستخلص المضامين التربوية واندماجها مع العلم والتكنولوجيا من خلال النقاط التالية:

ان تنمية التفكير العلمي لدى الطلاب لا تنسجم مع اسلوب التدريس المبني على التلقين وعلى الحفظ النصي او الحرفي.

ان المواد الدراسية (العلمية وغير العلمية) التي يتعلمها الطالب لا

تتحول –بالنظر لجمودها –الى جزء من كيانه الفكري ومقوماته الثقافية كما يتحول الطعام الذي يتناوله الى ما يغذي الجسم وينميه ويصبح بالتالي جزءا لا يتجزا منه ، بل تبقى تلك المعلومات عائمة على سطح الدماغ الذي لا يلبث ان يجترها ليقذفها الى الخارج وقت الامتحان.

الحاح نظام التعليم السائد على ضرورة تفوق الطلاب في جميع الدروس من الرسم حتى الرياضيات هو ضرب من ضروب التعجيز. والطالب الذي يحاول ان يفعل ذلك انما يفعله على حساب موضوع تفوقه الاصلي..

كما ادى عجز اساليب التدريس وعقم مناهج الدراسة والادارة المدرسية المتزمتة بطائفة كبيرة من المع علماء الرياضيات والعلوم الطبيعية والادباء والساسة الى الفشل الذريع في دراستهم حتى في موضوعات تخصصهم التي برعوا فيها بعد ذلك بجهودهم الخاصة وتفرغهم لها ، وهنا يضرب نوري جعفر الامثلة التالية على هذه النقطة ويقول ان كل من اديسون واينشتاين وباستور وباسكال وبونكاريه وجيمس ووت وداروِن وروتنكن ونيوتن ومن الادباء اميل زولا وتولستوي وصموئيل جونسن وولتر سكوت ومن الرسامين بيكاسو ومن الساسة بسمارك وتشرشل وحال ضعف درجات باستور دون قبوله في دار المعلمين العالية في باريس وحرم رسوب بوتكاريه في درس الرسم من الالتحاق بالمعهد ورسب اميل زولا في امتحان الادب الفرنسي الذي اصبح احد فرسانه بعد ذلك.وقصر الدكتور طه حسين في امتحان تاريخ الادب العربي الذي اصبح عميده بعد ذلك.

التاكيد من قبل المفكر نوري جعفر على عدم ضرورة مطالبة التلاميذ بحفظ معلومات تافهة وسهلة النسيان كتواريخ ولادة او وفاة بعض الشخصيات ومساحة وسكان بعض الاقطار او حفظ قصائد بعض الشعراء

الكبار ، فهذه موجودة في الكتب وبامكان الطالب الرجوع اليها متى شاء وان يحفظها بفعل التكرار وعندما يشعر هو انه راغب في ذلك.والشيئ الاهم من حفظ قصيدة لامرئ القيس او للمتنبي والجواهري مثلا ، بنظر المرحوم نوري جعفر هو تذوقها وفهمها باستيعاب مما يجعل الحس الادبي مرهفا ويصدق الشيء نفسه على الانفعال الايجابي –الاعجاب- بالشخصية التي يراد حفظ تاريخ ولادتها. وقد ثبت سايكولوجيا من الجهة الثانية ان المعرفة غير المستوية والمفروضة ، بالقسر تكون سهلة النسيان وتثير الامتعاض او المقت وتبلد الذهن وتذوي الخيال. ولابد ايضا من جعل موضوعات الدراسة بشكل يستثير الرغبة لدى الطلاب ويحفزهم على التزود بمزيد من المعرفة بعد التخرج ويعودهم على التركيز والانهماك الفكري العام في اعمالهم الدراسية.

# الفصل الثاني

## العلم والفن مقاربـات ومقارنات؟
## «التفكير ينطوي دائما على عنصر شعري»

### آينشتاين

ان مناقشة هذا القول لاينشتاين بحاجة إلى دراسة موضوعية نستخلص من خلالها قدرة التفكير العلمية وارتباطها الموضوعي بعالم الفن والشعر والأدب فكيف يكون هذا الارتباط ان العلم يسير وفق معطيات نظرية وقوانين او قواعد عامة لا يجوز تخطيها في حين ان الفن وفي مقدمته الشعر يخضع من ناحية محتواه بالدرجة الأولى والاهم لحالات فردية او شخصية ذاتية خاصة يعيشها صاحبها في هذه اللحظة او هو تعبير عن تلك الحالات وان كانت أدوات التغيير «اللغة مثلا في حالة الشعر» خاضعة بالأساس لقواعد مسلم بها «من ناحية النحو والتصريف والبلاغة مثلا» وهنا فان الدكتور نوري جعفر عرض في العلاقة بين العلم والفن والرابط الأساسي بينهما واوجد فلسفة مهمة في هذا المجال.

حيث ينفرد العلامة نوري جعفر بوضع علاقة بين العلم والتكنولوجيا من جهة والفن من جهة أخرى ، مما يعطي مدلولات مهمة وأساسية في

هذه القضية التي لم ينتبه إليها احد سواه من المعاصرين وهذه دلالة العمق الفكري والاستجابة الموضوعية للعلم الذي يتبناه.

فيعتبر إن العلم والتكنولوجيا من جهة والفنون الرفيعة بما فيها الأدب والشعر من جهة ثانية أطراف متكاملة في ثقافة إنسانية واحدة.

ولا يجوز بأية حال من الأحوال الفصل بينهما إلى درجة القطيعة.والمعادلة التالية تبين هذه الحالة :

العلم +التكنولوجيا +الفنون الرفيعة(الأدب+الشعر) = ثقافة إنسانية واحدة.

فلا ينعزل العلم الذي هو أساس تقدم الحضارة المادية عن الفن الذي هو سجل المشاعر الإنسانية إزاء الطبيعة والمجتمع والإنسان.

كما إن هناك نقطة مهمة هي إن العلوم الطبيعية والرياضيات لا ترقى إلى أعلى مراتبها إلا إذا تحولت بنظر أصحابها إلى فن رفيع واتصفت بالناحية الجمالية التي عبر عنها بونكاريه وأشار إليها اينشتاين في إحدى لحاته العبقرية.وفي هذا يرد نوري جعفر على الذين يعتبرون إن للعلم والتكنولوجيا الفضل على الأدب والفن وبنفس الوقت يرد على الذين يعتبرون إن للأدب والفن الفضل والأسبقية على العلم والتكنولوجيا والكل من هذه العلوم يكمل احدها الآخر.

ومن طريف ما يروى عن اينشتاين قوله انه تعلم من دوستوفيزكي – الكاتب الروسي- أكثر مما تعلمه من نيوتن عالم الفيزياء.

والقول الذي ابتدأنا به الفصل عن اينشتاين «إن التفكير العلمي ينطوي دائما على عنصر شعري» يضاف إلى ذلك ولا يقل عنه أهمية الأثر الذي تركه العلم في الفن ويمكن إجماله كالتالي:

أعطى العلم الفن وسائل تكنيكية لنشره على أوسع نطاق كما في

الأفلام السينمائية والتي تبث عبر الفضائيات كذلك وعبر الانترنت ومسجلات الصوت والأشرطة والاستوديوهات الضخمة واستخدام منظومات البث الفضائي (Satellite News Gathary) والتي يرمز لها اختصارا(S.N.G) حيث بضغطة زر واحدة من منظومة الإرسال هذه بالإمكان إرسال ما تريده من الفنون المختلفة إلى أي مكان تريده عبر الأقمار الصناعية.

أما أوجه الشبه والاختلاف بين العلم من جهة وبين الفن بما فيه الشعور من جهة أخرى فيمكن تلخيصه بالجدول التالي:

| ت | العلم | الفن |
|---|---|---|
| ١- | العالم يسجل بموضوعية ودقة وتجرد ظواهر الطبيعة والمجتمع الموجودة (بصورة مستقلة عنه) | الفن وبخاصة الشعر يتغلب فيه الجانب الفردي الشخصي للفنان لان الفنان يعبر عن الطبيعة والمجتمع من خلال او عبر مشاعره ومطامحه وحالاته النفسية. |
| ٢- | العلم يسير وفق معطيات نظرية وقوانين او مبادئ عامة لا يجوز تخطيها. | لاالفن يخضع وفي مقدمته الشعر بالدرجة الاولى والاهم لحالات فردية وشخصية ذاتيه خاصة يعيشها الفنان في هذه اللحظة او تلك في اطار عصره ومجتمعه وفي ضوء مطامحه وارائه الاجتماعية. |
| ٣- | القانون العلمي ظاهرة موضوعية | الفن وفي مقدمته الشعر فانه وان |

| | | |
|---|---|---|
| | مسلم بها (من الناحية النسبية على الاقل :في حالة عدم اكتشاف قانون علمي جديد يناقض القانون المعترف به وان جميع المشتغلين بالعلم يعملون ضمن اطار ذلك القانون لا خارجه. | وجدت قواعد فنية عامة معترف بها في هذا المجتمع او ذاك وفي هذه الفترة الزمنية او تلك الا ان الطابع الذاتي للفنان الاصيل هو المتغلب او السائد |
| ٤- | العالم ينصب اهتمامه على الكشف عن طبيعة الاشياء المستقلة عنه | الفنان يسير باتجاه مغاير حيث ينصب اهتمامه على الكشف عن الاثر الذي تتركه في نفسه الاشياء والاشخاص في هذه اللحظة او تلك من لحظات حياته. |
| ٥- | محور العمل العلمي هو العالَم المحيط بالعالِم | شخصية الفنان نفسه كما تنعكس فيها الاشياء هي محور فنه. |
| ٦- | العلم لا يعني بالجانب الجمالي للطبيعة الجامدة او الحية بما فيها الاجتماعية التي يدرسها | العكس هو الصحيح. |
| ٧- | الفن لا يوجد جانب جمالي فيه | الفن يتميز بوجود الجانب الجمالي فيه |

| الفــن ينطــوي دائمــا وبجوانبــه المتعددة على محتوى ايدولوجي معـين بـارز او خفـي تقـدمي او رجوعي وتقييم اي عمل لا بد ان يــتم في ضــوء محتــواه او غرضــه الايــدولوجي بالاضــافة بــالطبع الى اســتكماله عناصــره الفنية الجمالية المقبولة في عصره ومجتمعه. | العلـم لا ينطـوي علـى محتـوى ايدولوجي معين. | ٨- |
|---|---|---|

كذلك يشير إلى الظاهرة الطبيعية او الاجتماعية الواحدة حيث يعبر عنها تعبيرات مختلفة رسامون او شعراء متعددون وأحيانا الرسام الواحد والشاعر نفسه في مناسبات مختلفة حسب حالاته النفسية المختلفة وهذا يعني بعبارة اخرى ان العالم ينصب اهتمامه على الكشف عما في الطبيعة المستقلة عنه في حين ان الفنان يسعى الى الكشف عن الأثر الذي تتركه الطبيعة في نفسه في هذه اللحظة او تلك.

مع ان الصور الفنية وبخاصة الشعرية تختلف الى درجة التناقض أحيانا عن الصور التي يرسمها لنا العالم من الطبيعة والأشخاص إلا إنها أجمل منها رونقا وأعمق تغلغلا من الناحية الجمالية وعلى الرغم من كون الصور العلمية للأشياء والأحياء تجعلنا اقدر على فهم تركيبها وتهيئ لنا فرصة السيطرة عليها وهذا هو أساس تقدم الحضارة المادية ألا إن حاجتنا للتمتع بالصور الفنية وبخاصة الشعرية منها لا تقل أهمية وإلحاحا عن ذلك بأي حال من الأحوال.

وهذا يعني بعبارة أخرى ان مسخ الحقائق في الشعر مثلا ينبغي ألا يفسر بأنه يغض من منزلة الشعر او مكانته في الحياة أو انه يجعل دراسة الشعر ثانوية الأهمية بالنسبة للعلوم الطبيعية التي تقع وإياها على طرفي نقيض.

وهنا يشير نوري جعفر إلى انه كلما كان الفنان أصيلا مرهف الحس وكانت جوانبه الذاتية اشد وضوحا كان اقدر على مسخ الحقائق العلمية في صوره الفنية وأخيلته الشعرية وهذا يعني بعبارة اشمل إن محور العمل العلمي هو الطبيعة الجامدة والحية بما فيها المجتمع التي يعيش فيها في حين إن شخصية الفنان نفسه كما تنعكس فيها الطبيعة هي محور فنه.كما مر في الجدول اعلاه.

معنى هذا بعبارة أخرى ان العالم لا يعني بالجانب الجمالي للطبيعة في علمه في حين إن العكس هو الذي يحصل عند الفنان أي ان جوهر الفن هو الكشف عن الخواص الجمالية للأشياء.

كما يشير الدكتور نوري جعفر إلى مصطلح الطبيعة الموضوعية للشيء المراد وصفه وعلى الانطباعات التي يتركها في نفسه ذلك الشيء وبعبارة أدق انه يصف الطبيعة عبر مشاعره والفنان حين يعبر عن البيئة المحيطة «الواقع الموضوعي» على هيئة صور فانه يقوم بتثمين ايدولوجي وجمالي لها انه يعبر عن موقعه إزاء الواقع وفق مثله الجمالية العليا أي ان الفن هو بايجاز شكل جمالي خاص من أشكال الإدراك الاجتماعي وهو تعبير في الاصل انعكاس عن البيئة التي يعيش فيها الإنسان وهذا التعبير الفني يحصل على هيئة صور مادية في الرسم مثلا او ذهنية خيال كما هي الحال في الشعر في حين ان التعبير العلمي يحصل عبر المجردات الرموز والمعدلات الرياضية والصور الفنية تختلف عن الصور الفوتوغرافية الخالية من الناحية

الجمالية باستثناء الصور الملونة التي هي في عداد الفن لانها تنطوي على العنصر الذاتي كما بينا ومع ان الصور الفنية للظواهر الطبيعية او الاجتماعية تختلف اختلافا جوهريا عن الصور العامة المعبر عنها بالمفاهيم المجردة ألا إنها تجريدAbstraction من الواقع او انعكاس عنه هذا الانعكاس يحصل في حالة العلم بشكل موضوعي كما بينا بعيدا عن المشاعر او الانفعالات او العواطف الناحية الذاتية ولهذا فانه يخضع لتفسير واحد في حين ان الصور الفنية مشبعه بالجوانب الذاتية إلى هذه الدرجة أو تلك كما ذكرنا ولهذا فإنها تقبل تفسيرات متعددة ومتباينة وعنصرها الذاتي هذا ذو جانبين يتصل احدهما بالفنان نفسه ويتعلق الآخر بالمفسرين وهذا هو الذي يحول دون ترجمة التراث الفني من لغة إلى أخرى او من الشعر إلى النثر وبالعكس ضمن إطار اللغة الواحدة وهذا يعني بعبارة اشمل من مزايا الصور الفنية تكمن في أنها تقبل مختلف التفسيرات وتتحمل مقدارا كبيرا من الاستنباطات أي إنها متعددة الجوانب وتعبر أيضا عن جوانب متعددة من البيئة بالإضافة بالطبع إلى تغلغل الجوانب الذاتية منها من ناحية صاحبها الأصلي من ناحية الفنان الآخر الذي يفسرها وهذا الذي يجعلها تحتمل أكثر من معنى وتخضع الأكثر من تفسير كما ذكرنا في حين ان كل مدرك عقلي علمي (نظرية ، معادلة ، مبدأ) يخضع في العادة لتفسير واحد وذلك لضعف الجانب الذاتي فيه إلى درجة التلاشي من ناحية صاحب النظرية ومن ناحية من يتصدى لتفسيرها.وهنا فان التفسير الواقعي وفق الشكل الجمالي ضمن موضوع الشعر فأمامنا صور كثيرة تصدح بها مخيلات الشعراء ومنها على سبيل المثال قصيدة الكوليرا لنازك الملائكة حيث جاءت نتيجة واقع مزري وقعت فيه مصر حين ذهب ضحية هذا المرض الآلاف وكان في اليوم الواحد يغادر الدنيا

ألف شخص فجاءت كواقع موضوعي يحمل الألم ويصف الموت بجمالية الشعر وهذا واضح وجلي في تقسيمات القصيدة حين تقول:

**طلع الفجر**

**أصغ إلى وقع خطى الماشين**

**في صمت الفجر أصخ، انظر ركب الباكين**

**عشرة أموات، عشرونا**

**لا تحص، أصخ للباكينا**

**اسمع صوت الطفل المسكين**

**موتى، موتى، لم يبق غد**

**في كل مكان جسد يندبه محزون**

**لا لحظة إخلاد لا صمت**

**هذا ما فعلت كف الموت**

**الموت، الموت، الموت**

**تشكو البشرية، تشكو ما يرتكب الموت**

وهكذا نرى صور الموت المتدفقة في هذه القصيدة والتي تصف الواقع المؤلم ولكنها بنفس الوقت تحمل صورا شعرية رائعة وغاية في الدقة بل حتى تستشرف المستقبل في قولها:

**ضاع العدد.......... موتى، موتى، لم يبق غد**

وهكذا فهي لا تصف واقعا فحسب بل تبتها بالنظر الى المستقبل

حاملة رؤى موضوعية لها مدياتها الآنية في حينها والمستقبلية هذا فلا شك في ان الصور الفنية كما يقول الدكتور نوري جعفر وبخاصة الشعرية منها تعبر عن رونقها المميز واناقتها الجمالية بمخالفتها الواقع المحسوس رغم صلتها به وانبثاقها في الاصل التكويني منه وكلما ابتعدت الصور الفنية وبخاصة الشعرية عن الواقع المحسوس كلما أصبحت اكثر اناقة واصاله وقديما قيل في الشعر العربي (أعذبه اكذبه) أي ابعده عن الواقع وهذا يعني كما بينا ان الشعر يصدر عن المشاعر التي يعبر فيها الواقع المحسوس عن نفسه والفن الأصيل هو الذي يعبر بأقوى صورة ممكنة عن مشاعر صاحبه ويستثير الى الحد الاقصى مشاعر المستمتعين به ، اما الصور التي لا تفعل ذلك ولو في ادنى المستويات فلا تمت الى الفن بصلة ومن هذه الزاوية يمكن النظر الى الشعر الوعظي مثلا والذي هو كلام منظوم فقط وليس بشعر من الناحية الفنية الجمالية وإما الصور العلمية فهي بخلاف ذلك على خط مستقيم وتزداد علميتها كلما ازدادت بعدا عن المشاعر يصدق هذا على الصور نفسها كما يصدق أيضا على ادوات التعبير عنها فلا نسمع مثلا ان يوصف الاسد بانه سيد الحيوانات او توصف الشمس عند الغروب كما قال ابن الرومي:

**وقد رنقت شمس الاصيل ونفضت**

**على الافق الغربي ورسا مذعذعا**

**وودعت الدنيا لتقضي نحبها**

**وشول باقي عمرها فتشعشعا**

**ولاحظت النوار وهي مريضة**

**وقد وضعت خدا إلى الأرض أخرعا**

**كما لا حظت عوادها عين مدنف**

**تجـرع مـن اوصـابه مـا تجرعـا**

**وظلت عيون الروض تخضل بالندى**

**كمـا اغرورقـت عـين الشـجي**

**يراعينهـا حـورا إليهـا دوانيـا**

**ويلحظـن ألحاظـا مـن الوجـد**

ثـم إذا انتقلنـا إلى آراء مـن سـبقوا نـوري جعفـر في الصـلة بـين العلـم والفـن فلـدينا اسـتنباطات كـثيرة في هـذا المجال ومنـها :ان العلـم ذو نتـائج تطبيقيـة عمليـة تكنولوجيـة نفعيـة في حـين إن العكـس هـو الواقـع في حالـة الفن وهذا يعني ان للعلم أغراضا أخرى يسعى الى تحقيقها باعتباره أداتها في حين ان غرض الفن ذاتي كامن في طبيعته الخاصة : لإغراض التلذذ او الاستمتاع فالعلم برأيهم يستخدم في الإنتاج لزيادة كميته وتحسين نوعيته ولرفع مستوى معيشة الناس وتحسين أوضاعهم المادية والفكرية أما الفن فذو صفة تجريدية ذاتية غير عملية بنظرهم معنى هذا بعبارة اشمل إن غرض العلم السيطرة على الطبيعة وغرض الفن الاستمتاع بجمالها و الرأي وان كان مقبولا ومعقولا في بعض الأحيان ومن بعض الوجوه الا انه ليس كذلك على هذا الوجه من وجوه الإطلاق وذلك لان العلم النظري في ارفع مستوياته والرياضيات العالية بصورة خاصة ونظرية المجاميع بصور اخص يقترب من الفن الى درجة الانصهار فيه وهنا يستند نوري جعفر إلى إن الفن غير منعزل انعزالا تاما ومطلقا من نشاط الإنسان الاجتماعي الرامي إلى السيطرة على الطبيعة واستثمارها لمصلحة الإنسان :من ناحية كونه في اضعف الاحتمالات عامل حافز للإنسان وتنشيطه وحثه على

العمل بمختلف الوسائل الفنية ألمستطاعه :الشعر المسرح ، القصة ، النشيد ، الغناء ، مثلا.

وإذا كان العلم يجهز الإنسان بالتكنولوجيا ، أدوات السيطرة على الطبيعة ، المكائن الآلات الأجهزة الالكترونية ، فان الفن يمده بالحوافز ألدافعه لتحقيق هذه السيطرة من الناحية الفعلية ويضفي عليه أيضا صفة الارتفاع بالطبيعة إلى مستويات رفيعة من الجمال والأناقة والانسجام ومن هذه الزاوية فان حاجة الإنسان الى التعرف علميا على الشمس مثلا من الناحية الفلكية والانتفاع بطاقتها لإغراض ألصناعه والزراعة لا يقلان عن حاجته للاستمتاع بجمال الشمس من الناحية الفنية بأية حال من الأحوال وهنا انقل أبيات تصف الشمس من قبل رجل من بني الحارث بن كعب حيث يقول[1]:

**مخبأة إذا ما الليل جنها**

**فتخفى وإما بالنهار فتظهر**

**إذا انشق عنها ساطع الفجر فانجلى**

**دجى الليل وإنجاب الحجاب المستر**

**والبس وجه الأرض لونا كأنه**

**على الأفق الشرقي ثوب معصفر**

---

١- نقلا عن كتاب الدكتور نوري جعفر، الاصالة في شعر ابي الطيب المتنبي اصولها الدماغية وجذورها الاجتماعية في ضوء فسلجة بافلوف، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٦، ص٤٥

**تجلـت وفيهـا حـين يبـدو شـعاعها**

**ولم يمـل للعـين البصـيرة منظـر**

**عليهـا كـروع الزعفـران يشـبه**

**شـعاع تـلالا فهـو ابـيض اصـفر**

**فلما علت وابيض منها اصفرارها**

**وجالـت كمـا جـال المنـيح المشـهر**

**وجللـت الآفـاق ضـوءا ينيرهـا**

**بحـر لهـا وجـه الضـحى تتسـعر**

هذه الصور الفنية المترفة في وصف الشمس ستبقى خالدة ما بقيت الشمس والإنسان في حين إن الصور العلمية الفلكية للشمس معرضة للتحوير أو التعديل وحتى الإلغاء في ضوء تقدم العلم كما هو معروف ومن الاستنباطات الأخرى المشار إليها قول البعض ان العلم يعبر عن الطبيعة تعبيرا موضوعيا دقيقا وأمينا ويتعامل معها بالرموز والمجردات وبالمعادلات الرياضية «الفكر المجرد المستند إلى المنطق» في حين ان الفن ينحو منحى مغاير ويستعمل الصور الذهنية الحسية بدل الرموز وهو ايضا يستند الى الخيال[1] ان نوري جعفر اراد ان يبين الدور الفني في قراءة الشمس والدور العلمي في قراءتها كذلك ولكنه لم يوفق في عملية

---

١- الدكتور نوري جعفر، بين العلم والفن بما فيه الشعر، دراسة.

المزاوجة بين العلم والفن في هذه الفقرة اي ان العلامة نوري جعفر قد زج هذه الابيات المذكورة في اعلاه في وصف الشمس في الموضوع زجا حيث انها لاتمت بصلة للقضية العلمية مطلقا على الرغم من تاكيداته رحمه الله على ان الابيات هذه نحتاجها للتمتع بصفات الشمس الفنية ولكن من غير الممكن ان نزجها في القضية العلمية او نربط بينها وبين العلم باس شكل من الاشكال .كما ان عملية الابتكار في الفن لا تكمن في البحث عن طرز او انماط موجودة سلفا في البيئة وتحويلها تحويلا ميكانيكيا الى عمل فني وانما العكس هو الصحيح ومع ذلك فليس كل تعبير عن الواقع تعبيرا خياليا يعتبر فنا وانما الفن هو التعبير عن ذلك الواقع تعبيرا خياليا يتصف بالجمال الفني ، اي ان الجانب الجمالي هو الجانب المهم المميز للعمل الفني.معنى هذا ان الصورة الخيالية في الفن ينبغي ان تكون جمالية وذلك بتعبيرها عن ادراك الفنان للواقع ادراكا جماليا عبر مشاعره وهنا تنتفي صفة الحياد بالفن بالموازنة بالعلم من ناحية محتواه الاجتماعي[1] وهذا يجر الى موضوع الالتزام بالفن الذي عالجه نوري جعفر من خلال اعتباره ان للادب صلة عضوية متبادلة الاثر بالسياسة والاقتصاد والصلة المشار اليها اتضحت تاريخيا بشكل او باخر في مجتمع الرق وفي عهد الاقطاع وتتضح اليوم في جميع المجتمعات وتجلت باوضح اشكالها المتبلورة في فرنسا في الفترة التي سبقت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩على هيئة ولاء او انتماء فكري لهذه المرتبة الاجتماعية او تلك ولهذه الفئة او الكتلة الاجتماعية او تلك في حدود المرتبة الاجتماعية الواحدة ، وتجلت بعد

١ - الدكتور نوري جعفر، التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية والتربوية، مصدر سابق، ص٤٧.

ذلك على شكل انتماء طبقي او قومي او اقليمي محلي ، وهذا هو مبدا الالتزام بالادب والفن الذي هو في جوهره شكل من اشكال الانتماء او الولاء او الالتزام السياسي والاقتصادي الذي يستند بعد التحليل الدقيق الى فلسفة معينة يتخذ منها الاديب بشكل او باخر نقطة انطلاقة في انتاجه الادبي. والالتزام المشار اليه يتخذ في مجال الادب بصورة خاصة احد شكلين متنافرين هما على وجه العموم الالتزام التقدمي ونقيضه الرجعي. وهنا يفسر نوري جعفر هذه العبارة ان الاديب يتخذ موقفا خاصا به سلبيا او ايجابيا مقبولا او غير مقبول بنظر غيره ازاء الواقع وبخاصة الاجتماعي منه والسياسي والاقتصادي الذي يصفه في ادبه بشكل او باخر ضمنيا بالتلميح او عن طريق الرموز والالغاز احيانا او بشكل سافر صريحاحيانا اخرى. وهذا الموقف يتجلى اولا وقبل كل شيء في الجوانب السياسية والاقتصادية التي ينتقيها الاديب من الواقع الذي يعيش فيه والتي يركز اهتمامه فيها اكثر من غيرها ويجسدها –وربما يبالغ فيها- ويجعلها محور ادبه ويجلب انظار الاخرين نحوها.كما يظهر موقفه ايضا في اطرائه بعض ما ينتقيه او يختاره من واقعه الاجتماعي وفي شجبه نقيضه.وهنا تتضح ايضا نزعته الاجتماعية التقدمية او الرجوعية مع اختلاف في درجة تقدميتها او بالعكس ، وقد يقع الكاتب اثناء ذلك –دون قصد احيانا ولعوامل لا سيطرة له عليها- في تناقض ملحوظ او ضمني عرضي او طارئ يبدو في نتاجه الادبي اذا ما طبقت عليه مقاييس غيره ممن عاصروه او جاؤوا من بعده... وكثيرا ما يحمل الكاتب نفسه اراء مغلوطةاو رجوعية جنبا الى جنب مع ارائه الصحيحة التقدمية وذلك بفعل ضروف بيئية محلية لا سيطرة له عليها في كثير من الاحيان ، ومحك ذلك براينا ليس هو مجرد وجود الاراء المغلوطة او الرجوعية ذاتها حتى وان كانت متاصلة

وغير طارئة وكثيرة ايضا بل هو موقعها او مكانتها في تفسير نزعته العامة ازاء قضايا مجتمعه وعصره الكبرى الملحة وتاريخ نشوئها عنده. فاذا كان اتجاهه العام سليما وتقدميا في ملامحه الكبرى في مرحلة نضجه الادبي بالنسبة لضروف مجتمعه وعصره فان اخطاءه الاخرى —الكبيرة والكثيرة احيانا- لا تقلل باية حال من الاحوال من منزلته الادبية التقدمية[1] فالالتزام في الادب يجعل من الاديب مصلح معالج لقضايا امته من خلال ادبه لا انه في وادي والامة في وادي مثل ما يحصل اليوم لدى الكثير من الادباء والفنانين ممن اضاعوا جوهر الالتزام وبقوا يتغنون بالاطلال والامة تمزقها الفرقة والتشرذم فكم هو مهم ما يطرحه نوري جعفر بصدد هذه القضية ويضرب عليها امثلة مهمة اي على ادباء التزموا بادبهم ليعالجوا عبره قضايا مع الحفاظ على اناقة لغتهم والفاظها ومنهم الحريري كما سنرى في القادم من الفصول في هذا الكتاب.

ايضا ففي العلم والفن خيال ومنطق: تفكير بالمجردات وصور ذهنية:مع اختلاف نسبي بينهما في شكلها ومدى الاعتماد عليها وذلك لاختلاف طبيعة الفن عن طبيعة العلم في الشكل والمحتوى ومن تلك الاستنباطات أيضا قولهم ان العلم يسير من المجرد إلى المحسوس :يبدأ بالمجردات وينتهي عند القضايا الحسية : يبدأ بالتعميم وينتهي عند التخصيص اما الفن فيجري بنظرهم على العكس من ذلك وقولهم هذا مردود ايضا بهذه الصورة من صور الاطلاق كما ان قضية المحسوس والمجرد هي في جوهرها قضية نسبية فما كان محسوسا بالنسبة للعالم المختص نظرية اينشتاين في

---

١ - نوري جعفر، مجلة افاق عربية، مع الحريري في مقاماته، بغداد، العدد١٠، ص٣٥

معادلاتها الرياضية :مثلا معادلته الرياضية المعروفة: E-NC2 هي مجردة بالنسبة لغيره.

هكذا ومع ذلك فان الاتجاه العام في الفن هو الجنوح نحو الصور الحسيةالبصرية: كما هي الحال في الرسم والنحت والشعر ، او الصور الحسية السمعية كالموسيقى في حين إن العلم- وبخاصة النظري منه –ينزع نحو التجربة.

وهذا يعني – بعبارة اشمل – ان العلم والفن يلتقيان في بعض النواحي أو يتفقان في بعض الصفات المشتركة وان كان لكل منهما خصائصه المميزة التي ينفرد بها.

ومع ذلك فاننا عندما نوازن مثلا بين عملية الابتكار (الإبداع: الخلق) الفني وبين نظيرتها في مجال العلم نجد ان العناصر المشتركة بينهما تتجاوز نواحي الاختلاف.

ولأدراك العلاقة بين العلم والفن إدراكا مستوعبا وعميقا لا بد من النظر إلى كل منهما من ناحية كونه عملية حية يعبر منها نشاط الإنسان الخلاق عن نفسه بهذا الشكل أو ذاك لا أن ننظر إليهما من ناحية النتائج التي يتوصل إليها كل منهما على انفراد.

إن الصلة بين العلم والفن هي صلة وثيقة وغاية في الأهمية فكما بينا إن العلم والفن يلتقيان في بعض النواحي أو يتفقان في بعض الصفات المشتركة وان كان لكل منهما خصائصه المميزة التي ينفرد بها.

وهكذا فاحد اكبر ملامح النهضة الحديثة هو العلاقة الوثيقة بين العلم والفن ومقدرة كل منهما على النهضة بالآخر ويبقى الدكتور نوري جعفر الاسبق في الساحة النهضوية العراقية بدراسة العلاقة المهمة بين العلم والفن.

## الفصل الثالث

# مطارحات ورؤى موضوعية وشمولية
# من فكر الدكتور نوري جعفر

### نقد ومقارنات.........

تتوارد الأفكار التي أوردها المفكر نوري جعفر في مشاريعه الفكرية التي أسهمت في بناء ثقافة موسوعية متنوعة حيث تاتي مذكرة بموسوعية وشمولية فكر هذا الرجل ولكن بتخصصيه ذات فكر متضح على العموم ،أن فكر هذا الرجل استطاع أن يلم الكثير من العلوم على اختلاف مصادرها واهتماماتها ليجعلها علوما تصب في الجانب الإنساني ومنها اعتباره إن العلوم الطبيعية تكمل الأدب والفنون وأن الشعر والقصة وغيرهما مكملان للرياضيات والفيزياء وهذه المقاربة الفكرية الغريبة من نوعها أنفرد بها الدكتور نوري جعفر وجعل لها تعليلات مهمة منها ما يقوله من أن الأدب والفن إذا أحسن تدريسهما وتجسيد جوانبها الايجابية التقدمية فأنهما يصبحان المجال الأكثر ملائمة لتكوين شخصية الإنسان الجديد الذي يشعر بمسؤولياته الاجتماعية إزاء مجتمعه والملتزم بقضايا أمته وعصره والساعي لخدمة مصلحته الخاصة وهذا يؤدي في الشوط البعيد إلى

تقدم المجتمع ثقافيا وإنسانيا بالإضافة الى التقدم النظري والتكنولوجي اللاحق وهنا تتجلى الرابطة العضوية بين الأدب والفن من جهة والعلوم الطبيعية من جهة أخرى والرابطة العضوية في فكر الدكتور نوري جعفر بين العلوم الطبيعية والأدب والفنون تتجلى في أمرين أولهما اختلاف أسلوب البحث المتبع في المحتوى أو المضمون والثاني في كون العلم دون أناس وبمشاعر إنسانية قد لا يكون في صالح المجتمع وربما لا يؤدي إلى تقدمه ، وبالتالي فأن مطالب الدكتور نوري جعفر تتلخص في ضرورة تدريس الأدب والفنون بموازاة عملية تدريس العلوم الطبيعية داخل المدارس وأن لا يغض الطرف عن تدريس الأدب والاهتمام بالعلوم الطبيعية فقط وهو ما يحصل اليوم في مجتمعاتنا والمخطط التالي يوضح هذه المفاهيم:-

**تدريس الاداب والفنون ــــ يؤدي الى ــــ التقدم النظري والتكنولوجي ــــ يؤدي الى ــــ تقدم المجتمع ثقافيا وانسانيا.**

**شكل رقم - ١-**

حيث يتضح من الشكل أعلاه الربط الواضح بين العلمين على الرغم من الاختلاف المنهجي والبحثي كما يؤكد الدكتور نوري جعفر على حاجة الجيل الجديد إلى التزود بالمعرفة الإنسانية بالأدب والفن بصورة خاصة ولابد للفرد من الإلمام الواضح العميق بتأريخ أمته (وبخاصة جوانبه التقدمية) ولابد له أيضا من الإلمام بلغته القومية وبالجوانب التقدمية في الأدب والفن العالمي الراهن كما يعلل الدكتور جعفر سبب الاهتمام بالفنون والآداب لأعداد الأجيال بأنه لوحظ عبر التأريخ أن الأدب والفنون قديمة قدم الإنسان على سطح الأرض لأنها أهم وسائل الاتصال بين الناس

وأقدم أدوات التعبير عن الذات وعن المشاعر الإيجابية والسلبية إزاء الأحداث ويؤكد الدكتور نوري جعفر على أن للتربية الفنية والأدبية أثرا عميقا في تكوين شخصية الفرد منذ طفولته المبكرة لأنها تصقل مشاعره وتهذب ذوقه وتنمي خياله وتساعد على نشؤء قدرته على الابتكار وتغرس في نفسه النظرة الفنية الجمالية للطبيعة الحية والجامدة ويحدد الدكتور نوري جعفر مستويات تعليم الأدب والفنون وتعلمه في المرحلة الدراسية الأولى بعدة نقاط منها:-

الحد الادنى المشترك الموجود ولدى جميع الأفراد الأسوياء وهنا معناه أن التلميذ قادر على تذوق الأدب والفنون ؟ويتقبلهما كما يتقبل التأريخ و الجغرافية وغيرهما ولكن نرى الاهتمام ينصب على تعلم الدروس هذه وترك الآداب والفنون وعدم الاهتمام بهما أن للعامل الفسلجي الوراثي المهم في هذه الناحية هومرونة الدماغ في هذه المرحلة من العمر وهذه المرونة يقول عنها الدكتور بأنها تنحجز إذا لم يهتم بها على نحو أفضل.

مستوى تعلم الآداب والفنون لأغراض مهنية صرفة كتعلم التأريخ والجغرافية.

مستوى الأصالة وألأبتكار الفني والأدبي و هذا يستلزم بالطبع مزايا فطرية خاصة ينفرد بها بعض الناس دون غيرهم يسميها الدكتور نوري بالقدرات العقلية الخاصة ، ويفلسفها في ضوء علم النفس بالشكل التالي:-

حيث يتفق علماء النفس على أن هذه القدرات فطرية أو موروثة بايولوجيا ولكن تفسر في ضوء مجموعتين تفترض الأولى أن تلك القدرات لا جسمية ولكنها موجودة داخل الجسم ويرتبط اصحاب هذه المجموعة بنظرية الذكاء الفطري ، أما المجموعة الثانية فتفترض القدرات العقلية الخاصة امكانات فسلجية مخية من حيث الأساس الجسمي ومن جهة

أخـرى تفـترض أيضـا أن المحتـوى السـايكلوجي لتلـك الأمكانـات المخيـة بيئيا.بيئي ألأصل اواجتماعي المنشأ يكتسبه الفرد من مجرى حياته ويرتفع بارتفاع المستوى الثقافي والعصر الذي يعيش فيه بمعنى أدق فأن نوري جعفر يريد أن يقول أن الإمكانات المخية وان كانت شرطا ضروريا لنشوء الأديب أو الفنان الأصيل ألا أنها وحدها لا تكفـي ، كما أن البيئـة الأدبيـة والفنيـة في حد ذاتها غير كافية لتكوين الأديب أو الفنان الأصيل ، وخلاصـة هذه الفكرة أن الدكتور نوري جعفر يؤد أن يؤكد على أن التربية الفنيـة والأدبيـة التي يدعوا إليها لا تستلزم بالضرورة أن يمتلك المتعلم قدرات فطريـة خاصـة كما لا تستلزم بالضـرورة أن يصبح المتعلم بعد ذلك أديبا كـبيرا أو فنانـا محترفا تماما مثل تعلمـه لمادة التأريخ لا تسـتلزم منـه أن يكـون مؤرخـا فيمـا بعد بل تعطيه بعدا إنسانيا شاملا كما لتعلم الأدب قـدرة فائقة علـى التـأثير من الناحية السيكولوجية أكثر من أي موضوع أخر لما له من بـالغ ألأثـر في تهذيب المشاعر وتكوين المثل الأخلاقيـة العليا والمواقف الوطنيـة الإنسانية النبيلة وبالنتيجة فأن هذا الارتباط الذي يريد التأكيد عليه يصب في مسألة مهمة الآ وهي العلاقة بين ألأدب والفن ومطامح الجماهير وهو الـذي يـؤدي إلى الـدعوة لجعـل الأدب في متنـاول الجمهـور مـع العلـم أن هـذه القضـية معقدة وشاملة فالأديب يرمـي باللوم علـى الجمهور لعدم تتبعـه و الجمهـور يرمـي بـاللوم علـى الأديـب للابتعـاد عـن الواقعيـة ومع ذلـك يقـول الـدكتور نـوري جعفـر بأنـه مازالـت الجمـاهير في المجتمعـات الناميـة بعيـدة عـن تـذوق الأدب والفن والتي مازال أرباب الأدب والفن ينظرون إليها النظرة التقليدية الإقطاعية والحالة التي يريد ان ينميها الدكتور نوري جعفر لحل هذه الأزمـة هـي ابتـداء مـن مرحلـة الطفولـة والتلمـذة حيـث ينغـرس في الفـرد حبـه للأدب والفن كمـا ينبغـي قيام عمليـة مزدوجـة يتصـل احـد طرفيهـا بإعـادة

صوغ أرباب الفن والأدب من جهة ويتصل جانبها الثاني برفع مستوى ثقافة الجماهيرويعتبر  الدكتور نوري هذه المسألة جوهر مبدأ الالتزام بالأدب والفن: الالتزام بقضايا المجتمع والأمة والعصر عندئذ ينتصر الأديب والفنان في المجتمع مع احتفاظه بمقوماته الفردية الايجابية المميزة التي ينفرد بها ، أي بمعنى آخر أن الأدب يخدم قضايا أمته مع بقاء ما يتميز به من أدب ملتزم به وهذه نظرة جديدة يطرحها الدكتورنوري جعفر.

وبالانتقال إلى أطروحة فكرية أخرى من أطروحات نوري جعفر ما ورد لديه من في تبيان الجوانب التربوية والسايكولوجية في التراث الفكري العربي وهو ما أمتاز به الدكتور جعفر حيث كتب كثيرا في هذا المجال ومنها كتابه «سايكولوجية أدب الجاحظ» وهذه أطروحة جديدة طرحها الدكتور نوري جعفر بخصوص البحث في المجالات التربوية والساكولوجيةفي التراث العربي والإسلامي وقد اعتبر الدكتور نوري جعفر هذه المسألة فيما يخص التراث الفكري العربي في مجال التربية وعلم النفس جاء منثورا وعرضيا ومتباعدا في مصادر شتى تبحث في موضوعات فلسفية أو طبية و هذا يجعل متعذرا على الباحث أن يلم بدراسته بها.وسيكون هنالك فصلا خاص في هذا الكتاب نتناول رؤية نوري جعفر الى سايكولوجية ادب الجاحظ ورسائل اخوان الصفاء.

ولو انتقلنا إلى مفهوم آخر كان قد ركز عليه المفكر نوري جعفر الآ وهو تقدير الأهمية الاجتماعية الايدولوجيةللأديب من ناحية محتوى أدبه أو مضمونه ومن ناحية الجانب الفني او الجمالي لاسلوب تعبيره وبراعته اللغوية من ناحية أناقة الألفاظ وغزارتها حيث يتوقف بالدرجة الاولى والاهم على النظر الى تراث الاديب نظرة تطورية تاريخية شاملة يستلزم ان ياخذ الباحث بعين الاعتبار ثلاثة عوامل أساسية للتعامل مع هذه الناحية

ويجعـل هـذه العوامـل هـي ألأداة الفاعلـة لتقـدير الأهميـة الاجتماعيـة والأيدلوجية للأديب  فلا بد من النظر

**اولا:/** الى طبيعـة الفـترة الزمنيـة الـتي عـاش فيهـا الاديـب المعـني مـن حيـث خصائصـها التاريخيـة البـارزة المتميـزة علـى الصـعيدين المحلـي والعـالمي ومـن ناحيـة التناقضـات الاجتماعيـة الكـبرى الشـائعة اثنـاء تلك الفـترة للكشـف عـن مـدى تغلغـل الاديـب موضـوع البحـث في اعماقهـا ومـدى نضـجه الفكـري وحـرارة مشـاعره وعمقهـا ومهارتـه الادبية واصالته الفنية..

**ثانيـا:/**اماطـة اللثـام عـن نزعـة الاديـب العامـة وخصائصـه الاجتماعيـة ومـدى نضـجه الفكـري وحـرارة مشـاعره ومهارتـه الادبيـة واصـالته الفنيـة وسـعة الاحكـام الـتي يطلقهـا علـى الاحـداث والنـاس دقتـها وعمق الاستنباطات الاجتماعية التي يتوصـل اليها كمـا يبـدو ذلـك في انتاجه الادبي.

**ثالثـا:/** النظـر الى فنـه اللغـوي وبراعتـه في التعبير في ضـوء الاسـلوب الامثل الشائع في مجتمعه وغزارة مفرداته اللغوية واناقتـها[1] كمـا ان لـلادب صـلة- في نظـر المفكـر نـوري جعفـر –عضـوية متبادلـة الاثـر وبـالرجوع الى اراء الـدكتور نـوري الـتي تخـص الأهميـة الاجتماعيـة الفاعلـة التي يجب إن يحتلـها الأديـب داخـل المجتمع فالأديـب يتخـذ المواقف الخاصة التي تكـون مقبولـة داخـل المجتمـع وينظـر إلى الواقـع الاقتصادي والسياسـي وغـيره مـن مراحـل المجتمـع هـذه الصـلة الـتي

---

١ - نوري جعفر، مع الحريري في مقاماته، افـاق عربيـة(دوريـة)، بغـداد، حزيران، ١٩٧٩، العدد ١٠، السنة الرابعة، ص٣٥.

يحاول الدكتور نوري جعفر إيجادها بين الأدب والمجتمع ابتداءً من نظريته المعروفة بضرورة إن يكون لتدريس الأدب حضور واسع في المدارس الابتدائية والإعدادية كما تناولته في بداية هذا البحث فكذلك يستمر الأدب داخل المجتمع بالتحقق وهكذا يحقق مراميه الأساسية التي تعالج المجتمعات من أزماتها وهذه هي المشكلة التي دائما تثار لدى الأدباء والكتاب فيتسائلون هل أن الهوة بين الأديب والمجتمع سببها المجتمع أم الأديب وهكذا يضع لها الأدباء تفسيرات عديدة في حين خاض بها الدكتور نوري جعفر وجعل لها مراحل كي يكون الأدب متواصلاً مع المجتمع وأبنائه دون إن يفقد الأدب خصوصياته.

أن تعبير الدكتور نوري جعفر الذي يخص مطالبته أن تكون دراسته موضع تقص وتحقيق وتبين يدلك على قوة شخصيته وقوة إدراكه للأمور كما انه يدلك على موضوعيته في الطرح فقد تبين عدم جدوى رأيه في وقت لاحق وهذا يذكرني بمسالة مهمة ألا وهي الآراء التي تقال في زمن معين قد يتبين عدم جدواها علمياً في زمن آخر ومثال على ذلك ما تناوله الدكتور علي الوردي في كتابه خوارق اللاشعور من تفسيرات للظواهر الباراسايكولوجية والتي حددها بمسببات إشعاعية كهرومغناطيسية تبين عدم صحة هذا الرأي فيما بعد حيث تبين أن مسالة التخاطر التي هي احد الظواهر الباراسايكولوجية لا تمنعه حواجز مهما كانت ويسري مفعوله حتى داخل غرفة فاراداي وقد أجرى التجربة فاسيليف على فتاة داخل غرفة تمنع مرور الموجات الكهرومغناطيسية وحاول احد الباحثين وهو خارج الغرفة الإيحاء للفتاة بالنوم داخل الغرفة فنامت مما يعني إن التخاطر وطاقة الفكر ليست ذات طبيعة مادية فيزيائية معروفة فيحين كانت مرتكزات

الدكتور الوردي تقوم على التفسير الظواهر الباراسايكولوجية وفق منطلقات مادية بحتة[١].

وبخصوص ذكرنا للظواهر الباراسيكولوجية فقد تطرق اليها نوري جعفر بصورة نادرة جدا ضمن دراساته سوى دراسة عثرت عليها تناول فيها العلامة نوري جعفر علم البارسايكولوجي تحت عنوان «علم نفس الخوارق»[٢] نستطيع القول انها دراسة توضيحية فقط لهذا العلم الكبير والغامض والشاسع وليست دراسة تحليلة كبيرة كان قد تناول فيها مفهوم مصطلح الباراسيكولوجي معتبرا ان البارا مشتق من اللغة اليونانية القديمة ومعناه «الى جنب» او بقرب او بمحاذاة : اي ان علم نفس الخوارق يسير جنبا الى جنب مع ععلم النفس المعتاد لانه يدرس ظواهر خارقة لايرقى الى دراستها علم النفس المعتاد الذي يدرس الظواهر السايكولوجية المألوفة ويبين نورري جعفر من خلال دراسته هذه الظواهر التي يدرسها هذا العلم ومنها قراءة الافكار ، الاحساس بالخوارقويبين المصطلحات الانككليزية الخاصة بالظواهر المدروسة ومنهاtelepathy وclairvoyance وdowsing وغيرها وينعت نوري جعفر علم الباراسيكولوجي ويسميه علم النفس الجديد وذلك لظهوره الجديد انذاك على الساحة المعرفية العراقية حيث انه ابتدا دراسته هذه في الاشارة الى دراسة العلامة علي الوردي قائلا: /نشر

---

١- [الباراسايكولوجي –تعريفات أساسية –أعداد سامي الموصلي –دار الشؤون الثقافية ط١٩٨٦]

٢ - دراسة نشرها العلامة نوري جعفر في صحيفة الجمهورية بتاريخ ١٩٨٥/٥/٢٠م حصلنا عليها من ارشيف الاستاذ الدكتور عبد الكريم راضي جعفر.

الزميل الدكتور علي الوردي –وكان في عنفوان شبابه- كتابه الممتع «خوارق اللاشعور» وقد تحولت «خوارق اللاشعور » هذه في الوقت الحاضر الى ما يمكن ان يسمى خوارق الشعور وذلك بتبلور فرع جديد – ما زال واسعا وغامضا[1] كما ويبين نوري جعفر من خلال دراسته هذه التي اعتبرها الوحيدة في هذا المجال بحدود علمي ومن خلال دراستي لفكر العلامة يبين البدايات التاريخية لنشوء علم نفس الخوارق في انكلترا عام ١٨٨٢ عندما تاسست جمعية خاصة بالابحاث السايكولوجية (وهي غير جمعية علم النفس البريطانية المعاصرة) ثم اتسع نطاقه بعد ذلك بنشوء جمعيات مماثلةفي اقطار اوربية كثيرة. وكدلالة على سعة اطلاع العلامة نوري جعفر على المواضيع التي تخص علم النفس في العالم يبين نشوء رابطة علم نفس الخوارق الدولية التي مقرها في مدينة نيويورك para psychological Association International وفي عام ١٩٦٩ انضمت رابطة علم نفس الخوارق الامريكية الى اتحاد جمعيات تقدم العلوم الامريكية ومن هذه المعلومة المستقاة من نوري جعفر يتبين سعة اطلاع هذا الرجل في ثمانينيات القرن الماضي على هكذا جمعيات دولية علما ان في ذلك الوقت لا يوجد انترنت ولا شبكة دولية للمعلومات مما يدلل على ان العلامة كان مضنى في عملية الحصول على المعلومة ويبقى السؤال مفتوحا لو عاش نوري جعفر وراى الانترنت فماذا كان سيكتب عنه من الناحية السايكولوجية وتاثيراته على النفس الانسانية وكذلك السؤال الذي يطرح نفسه ماذا ستكون مدى استفادة نوري جعفر من عالم الانترنت.وهذه المعلومات التي ينقلها نوري جعفر ليست فقط عن الولايات المتحدة وانما

---

١ -المصدر السابق نفسه.

ايضا عن الاتحاد السوفيتي السابق حيث بدأ لديهم في عام ١٩٢٨ بمبادرة من احد طلاب عالم الفسلجة بختربيف وانيط البحث بفئة من علماء الفسلجة في معهد الفسلجة التابع لجامعة لينينغراد ، كما واشار نوري جعفر الى مدى استفادة الغرب ولاسيما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق من علم الباراسيكولوجي وكيف احاطوه بسرية تامة بخاصة فيما يتعلق منه بالجوانب المرتبطة بالجوانب العسكرية ومحاولة التعرف(بطرق سايكولوجية خفية مباشرة) على ما يجري من ابحاث ويتخذ من قرارات سرية للغاية وبالغة الاهمية ولهذا فأن المرء نادرا ما يعثر على ما يروي غليله من المعلومات الحديثة في وقت كتابته للدراسة عن علم نفس الخوارق هذا في المجالات المتخصصة وهذا جواب نوري جعفر لسؤال ابتدأنا به كلامنا في هذا المبحث عن قلة الدراسات التي انتجها العلامة نوري جعفر حول علم الباراسيكولوجي وهو قلة المعلومات المتوفرة عن هذا العلم.

كما ويشرح نوري جعفر من خلال دراسته اليتيمة هذه رؤاه حول استخدام بعض المعنيين بالباراسيكولوجي اساليب بدائية اقرب الى الشعوذة او الدجل في دراستهم الظواهر السايكولوجية الخارقة للعادة مما جعل نتائج ابحاثهم واستنباطاتهم موضع شك.ولكن بعضهم حاول وبالتعاون مع علماء الدماغ تفسير تلك الخخوارق على اساس انها ناجمة عن الاشعاع الكهربائي المغناطيسي للدماغ وقد تركزت ابحاثهم الاخيرة في المجالات المغناطيسية الكهربائية وقد اشرنا في بداية هذا المبحث الى عدم صحة هذه النظرية. ويبين نوري جعفر جانب مهم من الجوانب الباراسيكولوجية من خلال ان الظواهر الخارقة المدروسة لا يمكن اعادتها للتاكد من صحتها: لكونها حوادث عابرة وفردية وغامضة وغير مستقرة.

ويبين نوري جعفر انه على شك من نتائج علم الباراسيكولوجي مما

يثبت لدينا ان هذا عاملا مهما بالاضافة الى قلة الدراسات عن علم الباراسيكولوجي دفع العلامة نوري جعفر الى عدم العناية بهذا العلم كثيرا وذلك بينه من خلال قوله بما نصه:/ يتضح اذن ان نتائج ابحاث المختصين بعلم نفس الخوارق ما زالت موضع شك بنظر علماء النفس وعلماء الفيزياء على حد سواء[١] فهو يشير الى ان علماء النفس بسبب ما مر ذكره لا يثقون بالنتائج البحثية لعلم الباراسيكولوجي وهو اي العلامة نوري جعفر من كبار هؤلاء العلماء فبالنتيجة يتكلم عن نفسه بصورة غير مباشرة.

---

١ - المصدر السابق نفسه.

## الفصل الرابع

# هل استطاع أن يضع أسسا لقراءة التاريخ؟

حاول الدكتور نوري جعفر أن يضع أسسا مهمة لقراءة التاريخ انطلاقا من مجاله وفلسفته وبموضوعية سيطرت على أجزاء كثيرة من كتاباته ، وقد حلل نوري جعفر التاريخ بكتاب نستطيع أن نقول فيه انه سياحة فكرية يسبح بها الفكر بين التراث والمعاصرة ، وهو أيضا وسيلة مهمة لتقويم التاريخ انطلاقا لتقويم الحاضر ثم المستقبل وهذا يدل على عمق الفكر الذي يحمله هذا الرجل حيث يعالج الأفكار الحديثة انطلاقا من عمق التاريخ وكعادته في أكثر مؤلفاته تبدو على كتابه التاريخ مجاله وفلسفته الموسوعية فهو يجمع فضلا عن فلسفة التاريخ الجغرافية والبيولوجي والأدب واللغة والتربية وعلم النفس ، والدكتور نوري جعفر يبتدا بتعريف التاريخ من كتاب مختار الصحاح وينطلق إلى دراسة نظريات التاريخ ويؤرخ لعمر الأرض بأسلوب رياضي كبير معتمدا على الأساس الجيولوجي ، حيث ينقل توصل العلماء المعاصرين إلى معرفة عمر الأرض عن طريق دراسة أعمار الصخور المختلفة وحساب تحول بعض العناصر الفيزيائية إلى بعض آخر ، فعنصر اليورانيوم والثوريوم مثلا ذراتهما أثقل الذرات المعروفة يمكن

ان يتحول كل منهما الى رصاص حسب النسبتين الآتيتين:

يتحول غرام واحد من الاورانيوم الى ١١\٧٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ غرام من الرصاص سنويا والغرام الواحد من الثوريوم ١١\٢٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ في العام الواحد وبهذه الطريقة يصبح من الممكن التوصل الى معرفة أعمار الصخور الأرضية ذات الاورانيوم والثوريوم بواسطة حساب ما بها من رصاص متحول فتوصل الباحثون في الوقت الحاضر الى حساب أعمار متحجرات تكونت قبل زهاء خمسمائة مليون سنة وقد قسموها إلى الأقسام الثلاثة الاتية:

عصر الحياة القديمة paleozoie الذي استمر حوالي٣٠٠ مليون سنة.

عصر الحياة الوسطى mesozoieالذي استمر حوالي ١٣٥مليون سنة.

عصر الحياة الحديثة cenzoie الذي استمر ٦٥مليون سنة.

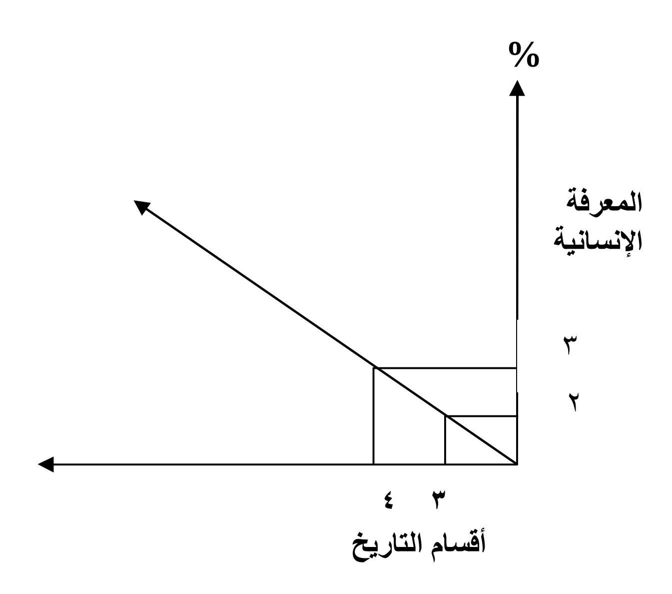
وهنا نتوقف عند هذه المعلومات الخطيرة حول عمر الأرض حيث نستطيع ان نقول ان الدكتور نوري جعفر من الأوائل الذين استندوا إلى قراءة التاريخ للأرض استنادا الى أرقام ونسب رياضية وهذا إن دل على شيء إنما يدل على قدرته الى ربط العلوم بعضها ببعض وهنا نرى الجيولوجيا أيضا بأثرها واضحة تماما ثم ينتقل الى مسالة مهمة في التاريخ الاجتماعي للإنسان ، حيث يقرر انه اقل سعه واحدث تكوين من تاريخ الكون ولا يتجاوز عمره خمسة آلاف سنة ، ويمتاز هذا التاريخ على الرغم من حداثة تكوينه بظهور الحضارات البشرية القديمة والحديثة تلك التي أدت الى هذا التقدم الواضح في جميع مناحي الحياة الاجتماعية للجنس البشري.

ان عرضه لبعض أسس التاريخ او لأسس قراءة التاريخ نراها بعض الأحيان تنطلق من تقريرات لاشك في أهميتها ، ولكنها لا ترقى لان تكون أساسا هاما لقراءة التاريخ ومنها قوله: وتستعمل كلمة تاريخ أحيانا لتدل على

ما استطاع الإنسان ان يعرفه من الحوادث الماضية طبيعية او اجتماعية ولا يشترط في هذه المعرفة أن تكون مدونة تدوينا خطيا بل يشمل بالإضافة إلى ما هو مدون على الورق او الجلد او الجدران من آثار بشتى اللغات و مختلف الرموز ، وجميع البقايا التاريخية للمعابد والكهوف والجسور والأبنية[1] ، إن هذه الاستنادات لقراءة التاريخ تعد استنادات معروفة سابقا ولم يقدم بها شيء جديد ولكنه من خلال هذه القراءات يود أن يبين بان التاريخ بهذا المعنى يتسع مجاله باستمرار كلما اتسعت المعرفة التاريخية عند الإنسان من حيث اكتشافه لوقائع لم يستطع أسلافه اكتشافها من جهة ومن حيث اتساع موضوعه مع الزمن ؛نتيجة لوقوع حوادث جديدة من جهة أخرى ويربط الدكتور نوري جعفر التاريخ بكل العلوم الأخرى إنسانية كانت أو علمية وهذا هو سر تميزه بان يجعل العلوم جميعها مرتبطة مع بعضها البعض فتاريخ الشمس مثلا يمكن ان يدرس ضمن موضوع علم الفلك وتاريخ الأرض ضمن موضوع الجيولوجي وتاريخ الحياة ضمن علم الأحياء ، هذا من جهة ومن جهة ثانية فان التاريخ من الناحية الاجتماعية يمكن أن ينقسم إلى أقسام كثيرة فتارة يقسم حسب زمانه إلى تاريخ قديم ومتوسط وحديث وطورا حسب موضوعه إلى تاريخ سياسي وعسكري وثقافي وطورا يقسم الى تاريخ للعرب والألمان والفرنسيين وكل قسم من الأقسام الانفة الذكر يمكن ان يصنف بدوره إلى أصناف أخرى وهذه بدورها إلى أصناف أخرى وهكذا وكلما اتسعت المعرفة الإنسانية للتاريخ وتوغل الاختصاص من زاد عدد تلك الأقسام وحسب الشكل التالي:

---

١ - نوري جعفر، التاريخ مجاله وفلسفته، الطبعة الثانية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٧.، ص٤٥.




حيث يتضح من الشكل أعلاه انه بازدياد المعرفة الإنسانية للتاريخ سوف يزداد عدد أقسام التاريخ حيث إذا كانت نسبة ازدياد المعرفة الإنسانية ٢% ستكون أقسام التاريخ مزادة بنسبة ٣% على سبيل المثال فقط ، إما أهم العوامل التي تحول دون توخي الدقة في البحث التاريخي فيمكن إجمالها على الوجه التالي:

تشبع كثير من الحوادث التاريخية بعوامل دينية أو مذهبية أو عنصرية أو قومية تشبعا تختلف درجته باختلاف نوع الحادثة التاريخية من جهة ، وأهميتها بالنسبة للباحث من جهة أخرى.

وهذه النقطة تثير الصعوبات في توخي الدقة عند البحث في الحوادث التاريخية فكيف يضمن الباحث نفسه في عدم الانجرار إلى

مذهبيته في تناوله مثلا للمذاهب الأخرى وبالنتيجة فنحن أمام كم هائل من الباحثين التاريخيين الذين لم يستطيعوا أن يبتعدوا عن مذهبيتهم ، فترى احدهم يتكلم مثلا عن المذهب السني وهو ينتسب إلى المذهب الزيدي ينال منهم من حيث لا يشعر بشكل تاريخي فعلى المؤرخ ان يبتعد عن مذهبيته عند تناوله القضايا التاريخية.

الصعوبة الأخرى في ان البحث في الحوادث التاريخية يكون في العادة ممزوجا بميل متصل بالاستحسان او الاستقباح أي ان الحوادث التاريخية لا ينظر إليها الإنسان نظرة موضوعية مجردة وإنما هو حتى في محاولته تجنب التحيز قد يستحسن وقوع بعضها فينعته بنعوت رقيقة ويستقبح وقوع بعض آخر فيخلع بعض الصفات المستهجنة عليه يقول الدكتور نوري إن الكيميائي مثلا لا يستحسن اتحاد ذرتين من الهيدروجين مع ذرة من الأوكسجين عند تكوين الماء ولا يستهجنه ولا ينتقد الاوكسجين مثلا في سلوكه العام كعدم تفاعله مع مواد كيميائية اخرى او مساعدته على الاشتعال....الخ.

ان الكيميائي لا يفعل ذلك لان دراسته موضوعية وبعبارة اخرى لا تدخل عواطف الكيميائي في تقرير نتائج بحثه في حين ان المشتغل في القضايا التاريخية لا يستطيع التجرد عن عواطفه مطلقا وان جل ما يستطيع أن يفعله اذا ما أراد ان يتوخى النزاهة والدقة في بحثه هو ان يسيطر على بعض عواطفه فيخفف من حدتها.

الصعوبة الثالثة المتعلقة بافتقار المؤرخ الى الدقة في البحث ناتجة عن ان الباحثين في الحوادث التاريخية يحاولون التوصل الى ما يسمونه بطبيعة الاشياء ولقد حاول عبثا قبلهم زملاؤهم الباحثون في الظواهر الطبيعية ولم يتقدم البحث الدقيق في مجال العلم كما سنشير الى ذلك الا بعد ان خلع

انصاره عن انفسهم فكرة البحث في طبائع الاشياء واهتموا عوضا عن ذلك بالبحث في علاقاتها ومظاهر سلوكها.

الصعوبة الرابعه تتصل بتعقد الظواهر التاريخية وتشابكها من جهة وخضوع الباحث لها لا خضوعها له من جهة ثانية فالعالم الطبيعي في بحثه في الظواهر الطبيعية «فيزيائية او كيميائية» يبحث في امور يستطيع السيطرة عليها فيخضعها لمشيئته على حين ان المؤرخ يحاول دخول قوى هو خاضع لها وهنا يقرر الدكتور نوري جعفر ان الباحث في الظواهر الطبيعية يستطيع تجريد تلك الحوادث عن بعضها واحداث تغييرات كبيرة في علاقاتها وسلوكها اما الباحث في الظواهر التاريخية فليس باستطاعته ان يفعل ذلك نظرا لتداخل تلك العوامل تداخلا يستحيل معه فصلها عن بعضها فاذا سهل على الكيميائي ان يحلل الماء في المختبر الى عناصره الاولى فانه يستحيل على المؤرخ ان يعزل اثر العامل الديني عن اثر العامل الاقتصادي او الجنسي تقرير سلوك الافراد او الجماعات.

والصعوبة الخامسة ناتجة من ان المؤرخ في العادة ينتقي من الحوادث التاريخية تلك التي تلائمه وتتفق هي ووجهة نظره وهنا يستند نوري جعفر إلى بعض العوامل التي تحول بين المؤرخ وبين الدقة والنزاهة في البحث ، جاء في المقدمة ص٩-١٠:

اعلم إن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وايمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع ؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا او سمينا ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سيروها بمعيار

الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط.

وهنا في دراسة الدكتور نوري جعفر للتاريخ وأخذه بهذه التفاصيل إنما يقدم دراسة موضوعية لأهمية الوقوف على التاريخ بشكل يهم بوضع أسس لقراءته ودراسته تكون قادرة على استلهامه ؛لوضع أساس حداثوي ؛ لان التاريخ أساس مهم لوضع أنساني متكامل وبالتالي فان موضوعي النقد الداخلي والخارجي لمصادر التاريخ حيث يتناول النقد الخارجي البحث في صحة المصادر ومدى الثقة التاريخية في الاعتماد عليه ، ولكي يكون النقد الخارجي مستوفيا شروطه الأساس يلجأ المؤرخ في العادة الى محاولة الإجابة عن أسئلة كثيرة ومنها:

هل هذا المصدر أساسي هل هو ثانويا؟ وإذا كان المصدر أساسي هل طرأ عليه شيء من التغيير؟ هل النسخة المطبوعة (في حالة وجودها) هي النسخة المخطوطة بخط المؤلف نفسه؟ إنها مطبوعة عن نسخة أخرى؟ هل النسخة المخطوطة هي بخط المؤلف نفسه؟ كيف نعرف ذلك؟ وغيرها من الأسئلة المهمة.

أما النقد الداخلي internal or higher eritieism فيبحث في محتويات المصدر بعد تقرير صحته ولكي يكون مستوفيا شروطه الأساس يحاول المؤرخ الإجابة عن أسئلة كثيرة ومنها : ما ميول المؤرخ الدينية أو المذهبية أو السياسية.؟ هل المؤرخ يصف الحوادث التاريخية وصفا دقيقا؟ أم انه يصدر أحكاما معينة عليها او على بعضها؟ لماذا اصدر المؤرخ حكما معينا في قضية معينة؟ هل المؤرخ منصف في حكمه هذا؟ هل المؤرخ مؤمن بما يقول؟ هل كان المؤرخ في وضع يساعده على المعرفة الصحيحة؟ وغيرها من الأسئلة المهمة التي تسهم في تحديد نوعية ما يكتب من التاريخ

ومدى صحته؟ والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا كل هذا الاهتمام بدراسة التاريخ والبحث فيه كعلم مستقل؟ وللجواب إن الدكتور نوري جعفر يعمل بحداثوية عالية يستلهمها حتى من التاريخ ، فكأن الدكتور نوري جعفر يقرر انه لا حداثة على المستوى الفكري دون أن ندرس التاريخ من جذوره ونمحصه تمحيصا دقيقا قادرين في النتيجة على ان نبين مساؤه ومحاسنه بالنتيجة سنصنع تاريخا نقف عليه وبالنتيجة لا حداثة فكرية دون ان نبين ما نحن عليه من مساوئ التاريخ التي إلى الآن ما انفكت عن مخيلة الناس وصنعت منهم في بعض الأحيان وحوش يقتل بعضهم بعضا اعتقد ان كل معاناتنا اليوم هي بسبب ما ورثناه من تاريخ في هذا المجال وبالتالي يركز الدكتور في تناوله لعلم التاريخ على كل الجوانب الخفية والظاهرة في دراسته للتاريخ وتصل الدقة لدى الدكتور نوري جعفر إلى انه يشير الى مسالة الإغراق في النقد بنوعية كثيرا ما يؤدي الى عكس الغاية من استعماله فيصبح عقبة كؤدا في سبيل استجلاء بعض الحقائق التاريخية بدلا من أن يكون عاملا من العوامل المساعدة على التحليل العلمي الدقيق يضاف إلى ذلك أن لقسم من الكتاب والمؤرخين براعة خاصة في وضع كثير من الأوهام والأكاذيب بشكل يجعلها تبدو كأنها حقائق كما إن لبعضهم القدرة على تقمص شخصية قسم من المؤرخين المعروفين وتقليد أسلوبه في الكتابة والتعبير الأمر الذي يجعل أمر التفريق بين الغث والسمين في هذا المضمار صعبا ان لم يكن مستحيلا اما تفسير التاريخ وفلسفته فهو موضوع مهم يتطرق إليه الدكتور نوري جعفر فهناك أربعة تفاسير للتاريخ وهي:

التفسير الجغرافي للتاريخ.

التفسير الروحي للتاريخ.

التفسير المادي للتاريخ.

التفسير الدوري للتاريخ.

ولو تطرقنا إلى التفسير المادي للتاريخ والذي يدعى من الناحية الفسفية بالمادية التاريخية حيث ان القوانين اتي وضعها ماركس لتفسير الكون وهي:

القانون ذو المظاهر الثلاثة :التناقض والتاثير المتداخل ووحدة المتناقضات.

قاون التحول الكمي الى تحول نوعي وبالعكس:

قانون نفي النفي.

ثم يناقش نوري جعفر هذه القوانين مناقشة موضوعية فيقول ان دعاة التفسير المادي للتاريخ فرضوا ان الشيوعية لا تتحقق الا بعد ان تسبقها ثورة طبقية ينتقل فيها الحكم من الطبقة البرجوازية الى طبقة العمال التي يسود فيها المبدأ الاقتصادي القائل من كل حسب قدرته إلى كل حسب إنتاجه ولكنهم لم يحددوا ما يقصدونه بكلمتين «قدرته» و«إنتاجه» ولم يبينوا كذلك كيف تقاس قدرة الشخص ويقدر إنتاجه وهنا إذا علمنا بصورة عامة ان القدرة وبالتالي الإنتاج المنبثق عنها يمكن أن تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قدرة جسمية وفكرية وفنية.فكيف إذن تقاس تلك القدرات وتقدر كل منها حسب قدرها بالموازنة لبعضها؟ ثم إن الإنتاج نفسه يمكن ان يكون معنويا (أي ليس له وجود مادي مستقل بذاته) كما هو الحال بالشعر والموسيقى فكيف تقدر قيمته بالنسبة للإنتاج الجسمي فهل يقاس الإنتاج بكميته ام بنوعه؟ ومن هو الحكم الفصل في أمثال هذه الأمور؟ وهنا مناقشة الدكتور نوري جعفر مستفيضة لهذا الموضوع بحيث يصل الى تشخيص عملية الانتقال من الاشتراكية الى الشيوعية وكيف ان دعاة التفسير المادي لم يذكروا لنا كيف يتم الانتقال من مرحلة الاشتراكية الى الشيوعية وهنا يدعونا الى نتساءل ونقول «يتم ذلك عن طريق الثورة على

حكام طبقة البوليتارية؟ ام ان هؤلاء الحكام يتنازلون من أنفسهم عن سلطتهم؟ واذا صح الفرض الاول فهل يبرر أصحاب نظرية التفسير المادي للتاريخ الثورة على حكام الطبقة البروليتارية؟ ومن يقوم بذلك واذا صح الفرض الثاني فان حدوث ذلك مستحيل حسب منطوق المذهب الديالكتيكي لان الحاكمين يحاولون التمسك والاستعانة بجميع الوسائل الممكنة للمحافظة على الوضع القائم واحباط جميع المحاولات التي تتضمن الانتقاض عليه واذا صح الفرض وتنازل حكام البروليتارية عن امتيازاتهم بمحض ارادتهم فان مفعول الطريقة الديالكتيكية يزول وهو امر لا يسلم به دعاة هذا المذهب فنحن ، اذن في حلقة مفرغة لا يمكن الخلاص منها ويتناول ايضا مسالة التحيز في التاريخ حيث يشخص مجالات ثلاثة لاسباب الاختلاف الذي يظهر بين المؤرخين بدرجات متفاوتة وهي:

طبيعة العصر الذي يعيش المؤرخ فيه.

طبيعة المجتمع الذي ينتمي اليه.

عوامل شخصية مزاجية تتصل بكل مؤرخ.

وهنا نستدل على دقة نوري جعفر من ناحية دراسة التاريخ بتشخيصه هذه العوامل الثلاث ابتداء من طبيعة العصر وطبيعة المجتمع والعوامل المزاجية والتي تنتج بالنهاية اسلوبا مغايرا في قراءة التاريخ من شخص لاخر والاختلاف في الراي يحصل بين مؤرخ وآخر يعيشان في الزمان نفسه والمكان ذاته او في المكان نفسه ولكن في زمانين مختلفين او في زمن واحد ومكانين مختلفين او في مكانين مختلفين وزمانين مختلفين ويصدق الشيء نفسه على الاتفاق في الراي ويعود سبب هذا الاتفاق وذلك الاختلاف على ما نرى الى نوع المسلمات الفكرية والعاطفية عند كل

منهما واعني بالمسلمات الفكرية والعاطفية ما ينطوي عليه الانسان من معتقدات لا تقبل عنده الشك او الجدل كمبدا التوحيد عند المسلمين مثلا وكمبدأ التثليث عند المسيحيين وما شابه هذا وذاك مما نستطيع ان نسمي منه الكثير فتتق احكامهما التاريخية اذا استندت الى مسلمات فكرية وعاطفية واحدة وتختلف في حالة اختلاف المسلمات التي تستند اليها فلا غرابة ان راينا مؤرخا معينا يتفق مع مؤرخ اخر في بعض القضايا ويختلف عنه في بعض اخر وان عاصره في الزمان والمكان او في احدهما او اختلف عنه في كليهما ومن الطريف يذكر نوري جعفر رحمه الله ان كل مؤرخ يعتبر ان المسلمات التي يستند اليها في احكامه التاريخية هي الاساس السليم لاختيار وجاهة القضايا التاريخية التي يبحثها وهنا لو تكلمنا عن الاختلاف الذي يظهر بين المؤرخين وهو بدرجات متفاوته فمثلا طبيعة العصر فالمؤرخ الذي يعيش في هذا العصر يختلف هو والمؤرخ الذي عاش في العصر العباسي عندما يتعرض للبحث في طبيعة الاقاليم وفي جغرافية دولة معينة وفي كثير من المسلمات العلمية الحديثة هذا من ناحية روح العصر في الجوانب العلمية اما طبيعة المجتمع الذي ينتمي اليه المؤرخ فيكفي للدلالة على ذلك ان نوازن بين الاحكام التي يصدرها المؤرخون المسلمون في الماضي والحاضر على الحروب الصليبية من حيث اسبابها ونتائجها ومن حيث اهميتها التاريخية وتحديد المسؤولية فيها على احد الطرفين المتنازعين وبين الاحكام التي يصدرها المؤرخون المسيحيون القدامى والمحدثون.

اما العوامل المزاجية والشخصية فيتجلى اثرها في علاقات الافراد اليومية وفي سلوكهم وانماط تفكيرهم بقدر ما يظهر ذلك في احكامهم التاريخية وهنا يشخص الداء الرئيسي للمؤرخين في هذا المجال فيقول ان

اختلاف الاشخاص في احكامهم المتصلة بجميع مجالات الحياة راجع الى اختلاف مسلماتهم الفكرية والعاطفية واننا بهذا التشخيص نقرر ان هذا الاختلاف والذي منشأه عاطفي سيكون خطير على مسيرة التأريخ وبالتال فالتشخيص التاريخي للمؤرخ يجب ان يكون بعيد عن المسلمات الفكرية والعاطفية والنتيجة سيكون التاريخ الذي يكتبه مبنيا على اسس سليمة ومهمة.وهنا نشير الى فرق اساسي ومهم بين الباحث في العلوم التاريخية والباحث في العلوم الطبيعية حيث ان الباحث الطبيعي اكثر قدرة على البحث الموضوعي المجرد عن النزعات والاهواء (شخصية كانت ام قومية) من المؤرخ والمؤرخ بدوره يختلف مدى تحزبه في بحثه باختلاف الموضوع الذي يعالجه وكلما كان موضوع البحث شديد الصلة بعقائده في الدين والسياسة اصبح من المتعذر جدا عليه ان يبحثه بحثا علميا او قريبا من ذلك والعكس صحيح كذلك.

والاشارة الغاية في الاهمية ان تدريس التاريخ يختلف باختلاف البيئة الحاضنة للتدريس وهنا يشير نوري جعفر الى تدريس التاريخ القومي في العراق وبخاصة في مرحلة التعليم الثانوي فقد بقي محافظا على اسلوبه القديم من حيث مادته ومن حيث اهداف تدريسه وطريقة ذلك التدريس فما زالت مادته على وجه العموم محصورة في النواحي السياسية والعسكرية ولم تمسس نواحي التاريخ الاخرى (الاقتصادية والثقافية والعلمية) الا مسا خفيفا يجعلها ثانوية الاهمية بنظر الطالب والمدرس اما اهداف تدريس التاريخ فما زال يكتنفها الغموض والابهام وتكون درجة هذا الغموض اكثر عند الطالب منها عند المدرس ولا تخرج اهداف تدريس التاريخ عند كثير من المدرسين من ان تكون تكملة تدريس المادة المقررة في المنهج لغرض نجاح الطلاب في اخر الامتحان.

كما ان هناك مسالة اخرى غاية في الاهمية في تدريس التاريخ وهي خطورة الاعتقاد بان الغاية من تدريسه هي خلق الشعور بالعزة القومية والتغني بامجاد السلف غير ان طرائق تدريسهم مع مزيد الاسف كثيرا ما تعرقل تحقيق ذلك الهدف وتخلق الجو بشكل ينقسم فيه الطلاب على انفسهم يكون انقسامهم دينيا احيانا ومذهبيا ثانية وعنصرية احيانا ثالثة وسياسيا احيانا رابعه أي ان الطلاب في بعض دروس التاريخ يشعرون بفجوة كبيرة تباعد بينهم من الناحية الدينية كما يحدث بين المسلمين والمسيحيين في تدريس الحروب الصليبية مثلا او من الناحية المذهبية كما يحصل بين المسلمين انفسهم في قضايا السنة والشيعه او عنصرية كما يحصل بين الاكراد والعرب وهنا يجب الانتباه الى تدريس التاريخ ومحاولة مراجعة هذه المسالة المهمة وكم حري بالمسؤولين اليوم على العملية التربوية ان يدرسوا كيفية تدريس التاريخ وبصورة عاجلة أي ان يعيدوا النظر بالمناهج الدراسية المقررة وذلك للنهوض بالطالب وبوعيه وبشكل صحيح قادر على مواكبة التطور العالمي.

كذلك يشير العلامة نوري جعفر في قضية تدريس التأريخ الى خطورة المنطق الشفوي في عملية التدريس وذلك لكونه عرضة للتحوير والتزييف والزيادة والنقصان فقد كان كثيرا من تلك القصص مشوبا بالمبالغات والاكاذيب والخرافات ويشير كذلك الى ان الغاية من ادخال تدريس التاريخ الى المدارس الابتدائية لاجل تربية الاخلاق الفاضلة عند الناشئة وجعلهم يتزينون بزي من يدرسون تاريخهم من اعاظم الرجال واكابر المصلحين ، بالاضافة الى ذلك ان التاريخ يدرس في العراق بشكل يتناقض تمام التناقض مع حدوثه ، اي ان الطفل يبدأ بدراسة التأريخ من الحاضر الى الماضي ولا عكس فيقرأ في العراق مثلا ، حياة الملك فيصل الثاني قبل حياة ابيه

الملـــك غـــازي وحيـــاة الملـــك فيصـــل الاول وهكـــذا الى ان يصـــل الى حمورابي[1] كما ان هنالك اشارة مهمة من قبل نوري جعفر تمثلت في ان الحركات العلمية والاقتصادية والتقدم الفكري والاجتماعي لم يعط نصيبا كبيرا من عناية المؤرخ واهتمام مدرس التاريخ ذلك لان اهتمام المؤرخ ومدرس التاريخ كان موجها نحو الاطناب في بحث ما كان رائعا بنظره من اعمال الملوك والقادة والزعماء ، كما يسلط الضوء على جانب تنويري اخر من جوانب تدريس التاريخ الا وهو تمسك مدرس التاريخ حرفيا بكتاب واحد (هو الكتاب المدرسي المقرر) فلا عجب ان كان ما يلقيه المدرس في الصف لا يخرج عن كونه اعادة حرفية لما هو مسطور في الكتاب من حيث معناه ولفظه. اي ان نوري جعفر يطالب بمسالة التمحيص التاريخي وعدم ترديد ما ورد من التاريخ على ما هو عليه وكان الناس الذين تلقوه ببغاوات.

كذلك اننا في دراستنا للتاريخ لا توجد اهداف واضحة ومتفق عليها اي لماذا ندرس التاريخ؟ فالتاريخ في بعض جوانبه ساهم في تخلفنا الفكري لاننا لم ننظر بتمحيص لكل ما ورد في التاريخ بل اخذنا الامور على عواهنها حتى غدت الامور التاريخية الواردة مساهمة اسهامة كبيرة في عملية التخلف الفكري وعملية انفجار الافكار في الشارع بسبب الضغط التاريخي ومن الملاحظ ان نوري جعفر عندما اختار دراسة التاريخ كعلم وطرق تدريسه كان يرجو من خلال هذه الدراسة الى تحرير التاريخ والنظرة الحداثوية له وبالنتيجة ادرك نوري جعفر وبوقت مبكر ماهية دور التاريخ في تطور وتاخر المجتمعات.

---

١ - المرجع السابق، ص١٦٠- ١٦١

وبالنتيجة فان قضية تحرير المجتمعات من الافكار التاريخية المزيفة ينطلق بالدرجة الاساس من تنمية روح النقد عند الطالب في كثير من القضايا المتصلة بتاريخ امته. كما ان الجفاء الذي يقع بين الامم منشأه دراسة التاريخ فعوامل الجفاء بين العرب والفرس والاتراك مثلا راجع في بعض صوره الى اساليب تدريس التاريخ ومناهجه واهدافه في مدارس تلك الامم ، كما ان نوري جعفر يريد من مناهج التاريخ ان تهتم بالحركات العلمية والاقتصادية وبالتقدم الفكري والاجتماعي وضؤول الاهتمام بالحروب والانقلابات العسكرية والسياسية كما يجب الاهتمام بنظره بمعالجة مشكلات المجتمع الراهنة لا مجرد الانشغال بدراسة ماضيه فقط واخذ الماضي نفسه كما يجب ان يدرس التاريخ بالقدر الذي يؤثر فيه في الحاضر ويساعد على تفسير بعض مظاهره هذا الى جانب ان كثير من الاعمال التي حدثت في الماضي (والتي كانت موضع اعجاب بعض المؤرخين ومدرسي التاريخ الاقدمين )اخذت تناقش وتقدر قيمتها الاجتماعية في ضوء صلتها بالحاضر الذي تعيش الامة فيه مدى اهميتها في تقدمه من الناحيتين المادية والفكرية[1] والمستقرأ لافكار العلامة نوري جعفر التي تخص الجانب التاريخي يتبين لديه رؤية نوري جعفر الحداثوية الكبيرة لتقدم المجتمع وكيف انه سبق الكثير من المفكرين المصريين والعرب والمسلمين ممن نحن اليوم نكن لهم اشد الاعجاب ولافكارهم وكنصر حامد ابو زيد واركون ومحمد عابد الجابري متناسين نوري جعفر الذي يطالب عام ١٩٥٥ سنة تاليفه لكتابه«التاريخ مجاله وفلسفته» بضرورة ان تكون دراسة التاريخ منطلقة من الحاضر اي ان ندرس التاريخ بما يضمن تنوير الحاضر ولا نهتم

---

١ - نوري جعفر، التاريخ مجاله وفلسفته، ص١٦٥

بالجوانب المظلمة التي وردت في التاريخ والتي يسبب انبثاقها في المجتمع حالة من التخلف الفكري والتراجع في عملية النهضة المرجوة ، وبالتالي فالرؤى التطويرية للمجتمع تنطلق من دراسة التاريخ والنقد الذي يجب ان يسلط على مضامينه والا فالاخذ من التاريخ بما ينفع ولا ينفع سوف يقود اجيالا كاملة نحو الظلمات لا التنوير الذي نبغيه.

كما يركز نوري جعفر على مسالة في غاية الاهمية من حيث ان الغرب بدأ يدرس التاريخ بطريقة النقد لما ورد فيه ومناقشة المسائل وهذا بسبب التغييرات الاساس التي طرأت على موضوع التربية بشكل عام من حيث فلسفتها وسكلجتها ، وما تبع ذلك من تبدل في مناهج التدريس وأصوله في الموضوعات المختلفة وبضمنها موضوع التاريخ. بالتالي هو يزاوج بين التاريخ والتربية ، كذلك يبين نوري جعفر ان التاريخ في اغلب البلاد كتب برغبة سياسية يسير عليها من بيدهم مقاليد الحكم من الناحية السياسية: ويضرب امثلة تاريخية منها فرنسا قبل نشوب ثورتها الكبرى عام ١٧٨٩ كان التاريخ يختلف بعد نشوب الثورة ويتكلم نوري جعفر كثيرا عن التاريخ في روسيا وذلك لقربه من دراسة هذه الدولة بتشكيلاتها النفسية والتاريخية ويتكلم نوري جعفر عن طرق تدريس التاريخ في العراق وكيف ان مادته مازالت على وجه العموم محصورة في النواحي السياسية والعسكرية ولم تمسس نواحي التاريخ الاخرى (الاقتصادية والثقافية والعلمية) الا مسا خفيفا يجعلها ثانوية الاهمية بنظر الطالب والمدرس[١] وهذه ما زالت الى يومنا هذا مظهرا اساسيا من مظاهر تدريس التاريخ في العراق تكلم عنه نوري جعفر قبل اكثر من ستين سنة ولكنه ما زال ماثلا

---

١ - المصدر السابق، ص١٧٠.

امامنا الى اليوم ، والمشكلة في المدرسين ايضا في ان بعضهم يعتقد ان الغاية من تدريس التاريخ هي خلق الشعور بالعزة القومية والتغني بامجاد السلف وطرائق تدريسهم تخلق جوا بشكل ينقسم فيه الطلاب على انفسهم (حيث يكون انقسامهم دينيا احيانا ومذهبيا ثانية وعنصريا احيانا ثالثة وسياسيا احيانا رابعة) اي ان الطلاب في بعض دروس التاريخ يشعرون بفجوة كبيرة تباعد بينهم من الناحية الدينية (كما يحدث بين المسلمين والمسيحيين في تدريس الحروب الصليبية مثلا) او من الناحية المذهبية (كما يحصل بين المسلمين انفسهم في قضايا السنة والشيعة) او عنصرية (كما بين الاكراد والعرب) وهذه دعوة حداثوية لالغاء كل ما من شانه الضرر بالقضية الحداثوية التي يجب ان يتم تبنيها في عملية تدريس التاريخ.

كم نحن بحاجة الى اعادة بث فكر العلامة نوري جعفر والاستفادة منه في عملية تحديث الرؤى المجتمعية الفكرية وخصوصا ما ذهب اليه من علاقة التاريخ وتدريسه بقضية وحدة المجتمع العراقي حيث يقول ما نصه: «ان المؤرخ والمدرس المنصف لا يتخذ من حوادث وقعت في زمانها وتمت في ظروفها المعينة وسيلة لتصديع الوحدة العراقية في الوقت الحاضر ، اننا عراقيون بغض النظر عن خلافاتنا في الدين او المذهب او اللغة فينبغي ان يكون هدفنا بث الوحدة العراقية لا تصديعها عن طريق التكتل الديني او العنصري او الاقليمي او المذهبي»[1]

والمتتبع لكلام نوري جعفر يتبين مدى حرصه على عملية نهوض المجتمع من خلال وحدته الكبيرة التي يطمح لها وكذلك فهو يبين حرصه على نهوض المجتمع من خلال درساة التاريخ فهو يربط دراسته للتاريخ

---

١ - المصدر السابق، ص١٧٢

ببناء المجتمع من خلال وحدته والحرص عليها كذلك فهو يشير اشارات ضمنية الى ضرورة رفع كل ما من شانه ان يثير الضغينة من الحوادث التاريخية بين ابناء المجتمع ، بين السنة والشعية بالخصوص ضمن المجتمع العراقي ، كما انه دعا من خلال دراسته للتاريخ مدرسي التاريخ والمؤرخين الى ضرورة التريث في اصدار احكامهم التاريخية وان يعودوا طلابهم على الاناة في جمع كل النقاط المتعلقة بقضية ما من القضايا قبل البدء بمناقشتها.

نستشف مما ورد اعلاه ان نوري جعفر بين ان الغاية الاساس من دراسة التاريخ ليست حشو ادمغة الطلاب باسماء وتواريخ واراء جامدة لا تقبل المناقشة ، ان الهدف الاسمى لتدريس التاريخ هو تعويد الطلاب على التفكير السليم حين بحثهم في اعز معتقداتهم واكثرهم سيطرة عليهم.

# الفصل الخامس

# الدكتور نوري جعفر
# والجانب التنويري من التراث

## اولا : كيف استذكر العلامة نوري جعفر الجاحظ في سيكولوجيا أدبه....؟

تناول الدكتور نوري جعفر الأدب العربي القديم بقراءة مغايرة لما تناوله اغلب المفكرين العرب وبذلك نال شرف ريادة قراءته للآداب القديمة بصورة خاصة لم يدانيه بها احد ، فقد قرأ الآداب القديمة من وجهة نظر علم النفس (السيكولوجي) فقرا رسائل إخوان الصفاء سيكولوجيا وهذا ما تحدثنا عنه في احد بحوثنا المنشورة وقرا أدب الجاحظ من وجهة نظر سيكولوجية حتى غدت قراءته منهجية وذات منحى خاص فنوري جعفر قرأ التاريخ بنظرة حداثوية وسلط الضوء على الجانب التنويري فيه ، وهكذا فهو رائد في مجالات التنوير الأساسية والهامة وهو بذلك سبق مفكرين عرب ومسلمين طالبوا بقراءة التراث قراءة أخرى فهو سبقهم من عدة جوانب سبقهم في قراءة التاريخ قراءة حديثة وكذلك في قراءة التاريخ وفق آليات علم النفس والأهمية الاجتماعية والايدولوجية للتاريخ وهذا ما جعل كتاباته رائدة في مجالها ووحيدة عصرها ، إذن صور الأدب القديم بصورة

جديدة ورائدة فهو ينظر باتجاه إن هناك ارتباطا عضويا وأثرا متبادلا بين الأدب وعلم النفس على نسق ما هو موجود بين الأدب والسياسة وبين الأدب والاقتصاد والتاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع بل إن نوري جعفر يذهب إلى أن يقول إن هناك ارتباطا بين الآداب والعلوم الطبيعية لاسيما الفيزياء وهو يستند إلى مقولة لاينشتاين أبداها قبيل وفاته عام ١٩٥٥م عندما قال:/ إن الفكر العلمي ينطوي دائما على عنصر شعري ، وانه تعلم من دوستوفسكي الأديب الروسي الذي عاش في القرن التاسع عشر أكثر مما تعلمه من نيوتن عالم الفيزياء البريطاني الذي عاش في القرن السابع عشر والعلاقة بين الخيال المجنح للأديب الأصيل وبين الفكر العلمي الأصيل تتجلى في الوقت الحاضر في القصص العلمية الخيالية sciencefietion ، وقد نظر نوري جعفر إلى الجاحظ آخذا بنظر الاعتبار عوامل ثلاثة كبرى متلاحمة ومتبادلة الأثر يعتبرها هو مهمة لدراسة أي أديب وليس فقط الجاحظ وهي:

دراسة طبيعة الفترة الزمنية التي يعيش فيها الأديب موضوع البحث من حيث خصائصها التاريخية البارزة المتميزة ومن ناحية التناقضات الاجتماعية الكبرى الشائعة أثناء تلك الفترة للكشف عن مدى تغلغل الأديب في أعماقها ومدى انعكاس ذلك التغلغل في أدبه بشكل واضح صريح أو ضمني.

إماطة اللثام عن نزعة الأديب الاجتماعية العامة وخصائصه السيكولوجية وروابطه الايدولوجية وانتماءاته السياسية والاقتصادية ومدى نضجه الفكري وحرارة مشاعره ومهارته الأدبية وأصالته الفنية الجمالية وسعة الأحكام التي يطلقها على الأحداث والأشخاص والظواهر المحيطة به وسلامة تلك الأحكام وعمق الاستنباطات الاجتماعية التي يتوصل إليها

كما يبدو ذلك كله في نتاجه الأدبي.

النظر إلى فنه اللغوي وبراعته في التعبير عن آرائه في ضوء الأسلوب الأمثل الشائع في مجتمعه مع ملاحظة دقة ألفاظه وغزارتها وأناقتها وانسجامها في العبارات والفقرات[١].

كذلك ينظر الدكتور نوري جعفر إلى ممارسات الأديب وبان الأديب يتخذ موقفا خاصا به سلبيا أو ايجابيا إزاء الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه ، والذي ينعكس بشكل أو بآخر في أدبه بالتلميح أو عن طريق الرموز والألغاز أحيانا وبشكل ساخر صريح أحيانا أخرى ، كما يعتبر نوري جعفر إن الأديب كثيرا ما يحمل آراء مغلوطة حينا إلى جنب آرائه الصحيحة ، ومقياس مكانة الأديب وأصالته ليس بنظره مجرد وجود الآراء المغلوطة في حد ذاتها حتى وان كانت كثيرة ومتأصلة بل هو موقعها ومكانتها في مجمل نزعته العامة إزاء قضايا عصره ومجتمعه الكبرى الملحة من جهة وتاريخ نشوء تلك الآراء المغلوطة عنده ، فإذا كان اتجاهه العام سليما في ملامحه الكبرى في مرحلة نضجه الأدبي فان أخطاءه لا تقلل بنظرنا من مكانته الأدبية المرموقة[٢] من هذه الزاوية ينطلق الدكتور نوري جعفر واصفا الجاحظ بقوله «يبرز الجاحظ أمامنا كاتبا أصيلا لامعا وأديبا ممتازا تقدميا بمقاييس عصره ومجتمعه وبمقاييسنا الراهنة»[٣] ، وهنا نتوقف مع الدكتور نوري جعفر بنقطة مهمة إذا كان الجاحظ كاتبا أصيلا لامعا وأديبا ممتازا وهذا مما لا شك فيه حسب مقاييس عصره ومجتمعه ، أما حسب

---

١ - نوري جعفر، مع الحريري في مقاماته.

٢ - المصدر السابق.

٣ - نوري جعفر، سيكولوجيا أدب الجاحظ، بغداد، ١٩٨١م، ص٨

مقاييس عصرنا فقد يكون الجاحظ ليس كذلك نعم مع اعتزازنا بأدبه وأصالته في الكتابة ولكن مقاييس عصرنا من الناحية الأدبية تختلف اختلافا جذريا عن مقاييس ذلك العصر ، فقد يكون الجاحظ حسب مقاييسنا كاتبا بارعا ، ولكنه ليس متفردا في عالم الكتابة ، ولكن قد يكون المعنى السيكولوجي الذي طرحه الجاحظ ضمن كتاباته هي التي تجعله كاتبا متفردا ضمن مقاييس عصرنا وليس الأسلوب الكتابي الذي اتبعه ، كما يجعل نوري جعفر للمكان الأثر البارز في تكوين شخصية الجاحظ الذي ولد في البصرة عام ١٦٣هـ وقضى فترة من حياته في بغداد وأخرى في سامراء عواصم الدولة العباسية ، والذي يهم في الدرجة الأساس السؤال التالي :كيف قرأ نوري جعفر أدب الجاحظ من ناحية سيكولوجية؟بداية هو يعطي تعريف لمصطلح الجوانب السيكولوجية لأدب الجاحظ بأنها النواحي النفسية الذاتية الخاصة بالمشاعر أو الانفعالات التي أبداها الجاحظ بشكل صريح أو ضمني مباشر أو غير مباشر إزاء الشخصيات المعروفة والوهمية المفترضة التي تحدث عنها الجاحظ وعن الظروف والملابسات التي أحاطت بها من جهة وقدرته العجيبة على التغلغل في أعماقها والكشف عن الخلجات النفسية عند كل منها وببراعته في تقمص شخصياتها والنطق باسمها سواء كان ذلك بلسان الحال أم بلسان المقال من جهة أخرى ، ويعتبر نوري جعفر إن الجوانب السيكولوجية في أدب الجاحظ تمثلت في أشهر كتبه وعلى رأسها البخلاء وفي رسالة التربيع والتدوير ، وفي رسالة القيان ، وكتاب اللصوص ، وكذلك فان من أهم الجوانب السيكولوجية في أدبه هو تمتعه بخيال أدبي واسع مكنه من ابتداع كثير من الأحداث والشخصيات ، كما لا ننسى الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي الذي عاشه وعايشه الجاحظ باعتبار معيشته في اكبر الحواضر الإسلامية آنذاك

البصرة ومما لا يخفى الامتزاج الثقافي الذي حوته هذه المدينة وشيوع المذاهب الفكرية فيها وعلى رأسها الاعتزال ، كل هذه القضايا كونت تأثيرا على الجاحظ وأدبه وسيكولوجيا تعامله مع الوقائع ومبدأ الكتابة ، هذا مما يخص البصرة لوحدها فكيف إذا عرفنا وكما أسلفنا معيشة الجاحظ ، في الحواضر الأخرى وعلى رأسها بغداد وعلاقاته الكبيرة مع المأمون كما توثقت الصلة بين الجاحظ والأديب الشاعر إبراهيم بن العباس ألصولي أثناء توليه ديوان الرسائل في عهد المأمون ، وينقل نوري جعفر نماذج شعرية من ألصولي وهو شاعر مقل وأشعاره قصار ثلاثة أبيات فيقول في الغزل:

**دنت من أناس عن ثناء زيارة**

**وشطّ بليلي عن دنو مزارها**

**وان مقيمات بمنعرج اللوى**

**لأقرب من ليلى وهاتيك دارها**

وفي الرثاء يقول:/

**كنت السواد لمقلتي**

**فبكى عليك الناظر**

**من شاء بعدك فليمت**

**فعليك كنت أحاذر**

وفي الصبر والتحمل يقول:/

**ولـرب نازلـة يضـن بهـا الفتـى**

**ذرعـــا وعنـــد الله منهـــا المخـــرج**

**ضاقت فلما استحكمت حلقاتها**

**فرجــت وكـــان يظنهـــا لا تفــرج**

وفي التنقل يقول:/

**لا يمنعنك خفض العيش في دعة**

**نـــزوع نفـــس إلى أهـــل وأوطـــان**

**تلقـــى بكـــل بـــلاد إن حللـــت بهـــا**

**أهـــلا بأهـــل وأوطانـــا بأوطـــان**[1]

وكان الجاحظ يخلف ألصولي أثناء تغيبه في شان من شؤونه.

حتى لقب الجاحظ بخليفة ألصولي في ديوان الرسائل ولكي نتعرف أكثر على سيكولوجية أدب الجاحظ علينا أن تعرف أكثر على الصفات التي باتت تكون شخصيته السلوكية وهيأت له كل هذا الحضور التاريخي مع الخلفاء والعلماء ومتشرعة أهل زمانه وأدبائهم ، وهذه التفاته جميلة من نوري جعفر ومهمة أن يعمل على قراءة سيكولوجية شخصية الجاحظ

---

١ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد السابع، دار بيروت، ١٩٦٥، ص١٠.

كمـدخل لقـراءة أدبـه وتعـد فـرادة مـن نوعهـا في قـراءة التـاريخ حيـث إن سيكولوجية الشخصية مدخل أساسي لسيكولوجية أدب الشخصية.

عرف الجاحظ بسعة الاطلاع ومحبة الكتب وقراءتها واقتناءها حتى قيل انه لم يقع بيده كتاب إلا استوفى قراءته كائنا ما كان ، وقيل انه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر في الكتب وقد توفي في أحضانها ، عندما سقت عليه وهو شيخ مفلوج ويبدو إن سعة اطلاع الجاحظ وتعدد جوانبها وعمقها هي التي هيأت له منزلة مرموقة لدى المفكرين انفرد بها ، قال أبو القاسم السير في /حضرنا مجلس الأستاذ أبي الفضل ابن العميد الوزير ، فجرى ذكر الجاحظ ففض بعض الحاضرين من منزلته وسكت الوزير عنه ، فلما خرج الرجل قلت له: سكت –ايها الأستاذ- عن الرجل في قوله مع عادتك في الرد على أمثاله فقال:لم أجد في مقابلته ابلغ من تركه على جهله يا أبا القاسم ، فكتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا.

وقيل لابن هفان :لم لا تهجو الجاحظ وقد ندد بك واخذ بمخنقك؟ فقال:امثلي يخدع عن عقله !!! والله لو وضع رسالة في أرنبة لما أمست إلا بالعين شهرة.وهنا نلاحظ تركيز الدكتور نوري جعفر على الجانب التاريخي كثيرا في تعرضه لسايكولوجيا أدب الجاحظ وذلك بسبب دور التاريخ في تبيان المسائل الاجتماعية وقراءتها والفهم النفسي وتحليله أي بعبارة أخرى بدون السرد التاريخي كيف يتسنى للباحث ابحث في الدور الذي يريد الباحث أن يبينه لجمهور المتلقين.

كما عرف الجاحظ أيضا بالظرف والدعابة وخفة الروح والتهكم والسخرية ويمزج الجد بالهزل إلى جانب اتصافه بالصراحة والحزم الفكري والعنف ، كما عرف بالانغماس في المفارقات ، والتناقضات والمبالغات

والتهويل والقدرة العجيبة على تصغير الشيء العظيم حتى يراه المرء ضئيلا متخاذلا وعلى تعظيم الشيء الصغير حتى يراه المرء عظيما عملاقا مع قدرة منطقية ، وبالتالي يستطيع الجاحظ من خلال كتاباته أن يؤسس لمنطقية في الكتابة ويجعل المرء يغوص سيكولوجيا من خلال أدبه وقد ظهر ذلك بوضوح في كتاب البخلاء وفي رسالة التربيع والتدوير أما خفة روحه فتبدو في جميع مؤلفاته وفي تصرفاته أيضا كما ينقل الدكتور نوري جعفر القصة التالية عنه:

قال أبو العيناء «كان لي صديق. فجاءني يوما فقال لي: أريد الخروج إلى فلان العامل وأحببت أن يكون معي إليه وسيلة.وقد سالت من صديقه فقيل لي أبو عثمان الجاحظ وهو صديقك وأحب أن تأخذ لي كتابه إليه بالعناية بي.» قال أبو العيناء «فصرت إلى الجاحظ فقلت له جئتك مسلما وقاضيا للحق ولي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا. فقال لا تشغلنا الساعة عن المحادثة... إذا كان في غد وجهت إليك بالكتاب إلى فلان ففيه حاجته. فلما كان في غد وجه إلي بالكتاب.فقلت لابني وجه هذا الكتاب إلى فلان ففيه حاجته.فقال لي: إن أبا عثمان بعيد الغور ينبغي أن نفض الكتاب وننظر ما فيه.ففعل فإذا في الكتاب: «هذا الكتاب مع من لا اعرفه.وقد كلمني فيه من اوجب حقه.فان قضيت حاجته لم أحمدك.وان رددته لم أذمك» فمضيت إلى الجاحظ من فوري.

فقال: «يا أبا عبد الله قد علمت انك أنكرت ما في الكتاب». فقلت: أو ليس هو موضع نكر!!! قال لا. هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتني به. فقلت: لا اله إلا الله !! ما رأيت أحدا بطبعك ولا ما جبلت عليه.» وحادثة طريفة أخرى يذكرها نوري جعفر. تدل على خفة روح الجاحظ – وهذا كلام الدكتور يصب كله في تحليل شخصية الجاحظ سيكولوجيا قبل

البدء بدراسة أدبه سيكولوجيا- مفادها: إن الجاحظ استأذن على احد الأمراء ومعه الشكّاك وهو احد المتكلمين،فقال الخادم لمولاه: الجاحد والشكاك في الباب،فقال الأمير: «هذان من الزنادقة لا محالة» فصاح الجاحظ ويحك!!! ارجع وقل لسيدك : الحداقي في الباب –والحداقي من ألقاب الجاحظ المعروفة – فقال الخادم لسيده : «الحلقي في الباب». فصاح الجاحظ: ويلك!!! ارجع إلى الجاحد[1]

وعرف الجاحظ أيضا ببراعته في انتقاء الشعر وتعاطيه فقد قال يوما: طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه،فرجعت إلى الاخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه. فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالإخبار وتعلق بالأيام والأنساب،فلم اظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات،وقد أورد ياقوت في معجم الأدباء نماذج من شعر الجاحظ منها في مدح احمد بن أبي داؤد:

**وعويص من الأمور بهيم**

**غامض الشخص مظلم مستور**

**قد تسنمت ما توعر منه**

**بلسان يزينه التحبير**

**مثل وشي البرود حلله النس**

**ج وعند الحجاج در نثير**

---

١ - نوري جعفر، مرجع سابق، ص٢٢

حسـن الصـمت والمقـاطع إمـا

نصــت القــوم والحــديث يــدور

ثم من بعد لحظة قدرت اليسر

وعــــرض مهــــذب موفــــور

لا ترانــي وان تطاولــت عمــدا

بــين صــفيهم وأنــت تســير

كلــهم فاضــل علــي بمــال

ولســاني يزينـــه التحـــبير

فــإذا ضـمنا الحـديث وبيـت

وكــأني علــى الجميــع أمــير

رب خصــم ارق مــن كــل روح

ولفــرط الــذكاء يكــاد يطــير

فــإذا رام غــايتي فهــو كــاب

وعلــى البعــد كوكــب مبهـور[1]

---

١ ياقوت، معجم الأدباء، الجزء٣، (٧٤- ١١٤)

وقال في أبي الفرج نجاح بن سلمة يسأله إطلاق رزقه:

**أقــام بــدار انخفــض راض بخفضــه**

**وذو الحـزم يسـري حـين لا احـد يسـري**

**جزعــت فلــم اعتــب فلــو كنــت ذا**

**لقنعــت نفســي بالقليــل مــن الــوفر**

**ســواء علــى الأيــام صــاحب حنكــة**

**وآخـــر كـــاب لا يـــريش ولا يـــبري**

**يظــن الرضــى شــيئا يســيرا مهونــا**

**ودون الرضــى كــاس أمــر مــن الصــبر**

**خضــعت لــبعض القــوم أرجــو نوالــه**

**وقــد كنــت لا أعطــي الدنيــة بالقســر**

**فلمـــا رأيـــت المـــرء يبـــذل بشـــره**

**ويجعــل حســـن البشــر وافيــة الــوفر**

**ربعــت علــى ظلعــي وراجعــت منزلــي**

**فصـــرت حليفـــا للدراســـة والفكـــر**

**وشـــاورت إخـــواني فقـــال حلـــيمهم**

**عليــك الفتــى المــري ذا الخلــق الغمــر**

فتى لم يقف في الدهر موقف ظنة

فيحتاج فيه للتنصل والعذر

اعيذك بالرحمن من قول شامت

أبو الفرج المامول بزهد في عمرو

ولو كان فيه راغبا لرايته

كما كان دهرا في الرخاء وفي اليسر

أخاف عليك العين من كل حاسد

وذو الود فخور الفؤاد من الذعر

فان ترع ودي بالقبول فأهله

ولا يعرف الأقدار غير ذوي القدر

ألا يا فتى الكتاب والعسكر الذي

تآزر بالحسنى وأيد بالنصر

وعهدي به والله يرشد أمره

ويحفظه في القاطنين وفي السفر

مطلا على التحديد ما يستفزه

مكايد محتال عقاربه تسري

برأيي يزيل الطوء عن مستقره

وأوضح عند الخصم في واضح الفجر

**وعـزم كـغـرب المشـريـ في مصـمـم**

**وقلـب ربـيـط الجـأش منـثلج الصـدر**

**فيا ابن نجاح انجح الله سعيكم**

**وأيـــدكم بالنصـــر والعـــود الـــدثر**

**قعـدت فلـم اطلـب وجلـت فلـم**

**خلـــيلا يواســـيني ورغـــب في شـــكري**

**وان أخفقت كفي وقد علقتكم**

**فقـد صـاب رأيـي واسـتنمت إلى شـعري**

**اعيـــذك بـــالرحمن إن تشـــمت**

**فللفقـر خـير مـن شماتـة ذي الغمـر**

وذكر أبو العيناء :قال حدثني إبراهيم بن رباح قال أنشدني الجاحظ يمدحني:

**بـــدا حـــين أزرى بإخوانـــه**

**فقلـــل عـــنهم شـــباة القـــدم**

**وذكـره الحـزم ريـب الزمـان**

**فبـــادر بـــالعرف قبـــل النـــدم**

ثـم اسـتطرد إبـراهيم فقـال فـذاكرت بهمـا احمـد بـن أبـي داؤد فقـال انشدنيهما الجاحظ في مدحي. ثم لقيت محمد بـن الجهـم فقال انشـدنيهما الجاحظ يمدحني بهما[1].

كما ويذكر نوري جعفر القضية التالية عن شعر الجاحظ لكي يعطي للصورة النفسية في أدب الجاحظ بعدا اجتماعيا جاعلا من القضـية ضـمن رؤية علمية ممتدة امتداد البصر.

«إن احـد أولاد البرامكـة انحـدر إلى البصـرة مـن السـند وعلـم بمـرض الجاحظ وأحب أن يراه قبل وفاته ، قال البر مكي:فأفضيت إلى باب لطيف فقرعته فخرجت إلي جارية فقالت من أنت؟ قلت رجل غريب وأحب أن اسر بالنظر إلى الشيخ.فبلغته ما قلت. فسمعته يقول قولي له:وما يصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل.فقلت للجارية لا بد من الوصول إليه.فلما بلغته قال: هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعلتي فقال أحب أن أراه قبل موته فأقول قد رأيت الجاحظ.ثم أذن لي فدخلت وسلمت فرد ردا جميلا. وقال من تكون أعزك الله؟ فانتسبت له فقال رحم الله تعالى أسلافك وآباءك السمحاء الأجواء. فلقد كانت أيامهم رياض الأزمنة ولقد أنجبر بهم خلق كثير فسقيا لهم ورعيا... فدعوت له وقلت أسالك أن تنشدني شيئا من شعرك فأنشدني:

**لـئن قـدمت قبلـي رجـال فطـالما**

**مشـيت علـى رسـلي فكنـت المقـدما**

---

١ المصدر السابق.

**ولكـن هـذا الـدهر تـأبى صـروفه**

**فتبرم منقوضا وتنقـــض مبرمـا**[1]

كمـا يشـير نـوري جعفـر إلى أن بـديع الزمـان الهمـذاني وضـع مقامـة خاصة سماها المقامة الجاحظية بين فيها موقفه من شعر الجاحظ.قال البديع: «حدثنا عيسى بن هشام قال جمعتني مع رفقة وليمة... عكفنا على خوان قد ملئت حياضه ونورت رياضه واصطفت جفانه واختلفت الوانه... ومعنا على الطعام رجل تسافر يده على الخوان وتسفر بين الألوان وتأخذ وجوه الرغفان وتفقأ عين الجفاذ وترعى ارض الجيران...يزحم اللقمة باللقمة ويهزم المضغة بالمضغة.وهو مع ذلك ساكت لا ينبس... ونحن في الحديث نجري معه حتى وقف بنا على الجاحظ وخطابته.. ووافق أول الحديث آخر الخوان.وزلنا عن ذلك المكان. فقال الرجل أين انتم من الحديث الذي كنتم فيه !- فأخذنا في وصف الجاحظ ولسنه وحسن سننه في الفصاحة وسنته فيما عرفناه. فقال: ياقوم لكل عمل –رجال ولكل مقام مقال ولكل دار زمان ولكل زمان جاحظ... ان الجاحظ في احد شقي البلاغة يقطف وفي الآخر يقف. والبليغ من لم يقصر نظمه عن نثره.فهل ترون للجاحظ شعرا رائعا ؟قلنا:لا.فقال:فهلموا إلى كلامه فهو بعيد الإشارات قريب العبارات قليل الاستعارات...فهل سمعتم له بكلمة غير مسموعة؟أو لفظة غير مصنوعة؟»[2]

---

١ - ابن خلكان، وفيات الأعيان، دار الثقافة، بيروت، المجلد الثالث، ص٤٧٣- ٤٧٤.

٢ - نوري جعفر، مصدر سابق، ص٢٥- ٢٦

نستشف مما مر ذكره ان الدكتور نوري جعفر أعطى تحليلا دقيقا للجوانب السيكولوجية والاجتماعية لشخصية الجاحظ كمدخل استخدمه للدخول إلى الجوانب السيكولوجية في أدبه كما لم ينس الدكتور أن يشير إلى ملاحظات تربوية وعلمية أبداها الجاحظ استطرادا في سياق تناوله موضوعات أخر وهذا طبعا يدلل بشكل لا يقبل الشك بتمسك الدكتور نوري جعفر بالجوانب التربوية كانطلاقات يستخدمها في اغلب المجالات التي يتناولها ولاعتقاده الجازم ان الجانب التربوي هو الذي يمثل الانطلاقات والأسس لأغلب العلوم والملاحظات التربوية التي ذكرها الجاحظ تتناول التالي:

**أولا:** التمييز بين المهم وغير المهم –يعلق عليه نوري جعفر –بأنه مبدأ مهم من الناحية التاريخية.

**ثانيا:** الإشارة من قبل الجاحظ إلى العلاقة بين النظرية والتطبيق وأهمية الاستنباط والاستدلال.

وكلا المبدأين أشار إليهما الجاحظ بما نصه: «ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى.كما انه لولا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى والإنسان الحساس –إذا كانت الأمور مميزة عنده-اخذ ما يحتاج إليه وترك ما يستغني عنه»[(١)].

وأشار الجاحظ إلى المعنى نفسه بشيء من الإيضاح أيضا فقال: «ومن الناس من يقول ان العيش كله في كثرة المال وصحة البدن وخمول الذكر.وقال من يخالفه: لا يخلو صاحب البدن الصحيح والمال الكثير من أن يكون بالأمور عالما أو يكون بها جاهلا ، فان كان بها عالما فعلمه بها لا

---

١ - البيان والتبيين، الجاحظ، مكتبة الجانجي، ١٩٦٠، ج٥، ص١٢٥

يتركه حتى يكون له بالقول والعمل حسب علمه لان المعرفة لا تكون كعدمها لأنها لو كانت موجودة غير عاملة لكانت المعرفة كعدمها.وفي القول والعمل ما اوجب النباهة.وأدنى حالاته أن تخرجه من حد الخمول. ومتى أخرجته من حد الخمول فقد صار معرضا لمن يعدل سبيله.وكما إن المعرفة لا بد لها من عمل ولا بد للعمل من أن يكون قولا وفعلا. والقول لا يكون قولا إلا وهناك مقول له. وفي ذلك ما اخرج من الخمول وعرف به الفاعل.» وكتب الجاحظ بصدد موقف الأم الجاهلة من الطفل العبارات الطريفة التالية «إن الصبي يبكي بكاء شديدا متعبا موجعا.فإذا كانت الأم جاهلة حركته في المهد حركة ثورته الدوار. او تنومه بان تضرب يدها على جبينه.ومتى نام الصبي وتلك الفزعة أو اللوعة او المكروه قائم في جوفه ولم يعلل ببعض ما يلهيه ويضحكه ويسره حتى يكون نومه على سرور فيسري فيه ويعمل في طباعه ولا يكون نومه على غم أو فزع أو غيظ فان ذلك يعمل الفساد.»[1] وقال الجاحظ أيضا «والعقل -جعلت فداك- أطول رقدة من العين وأحوج إلى الشحذ من السيف وأفقر إلى التعهد وأسرع إلى التغير. وأدواؤه وأطباؤه اقل.وعلاجه أعضل فمن تداركه قبل التفاقم أدرك أكثر حاجته. ومن رامه بعد التفاقم لم يدرك شيئا من حاجته.ومن اكبر أسباب العلم كثرة الخواطر ثم معرفته وجوه المطالب.ثم في الخواطر الغث والسمين والفاسد والصحيح والمسرع إليك والبطيء عنك والدقيق الذي لا يكاد يفهم والجليل الذي لا يلغي الفهم.»

أما الملاحظات العلمية التي ذكرها الجاحظ والتي استخرجها نوري جعفر وقارنها بما وصل إليه العلم الحديث حيث ذكر الجاحظ إن الصمم

---

١ - المصدر نفسه، ج٢، ص٩٦- ٩٧.

الذي يعتري الطفل لا يحصل بالضرورة بفعل نقص في النطق لشيء في لسانه ولكنه أُتي في ذلك لأنه حين لم يسمع صوتا قط مؤلفا أو غير مؤلف لم يعرف كيفيته فيقصد إليه.»[1] وقال الجاحظ :يصدر تخلف سماع صوت الرعد عن رؤية البرق[2] —بالتالي فنوري جعفر يحاول من خلال هذه القراءات أن يستخرج الجانب التنويري من التاريخ ويقارن بما وصلت اليه العلوم الحديثة فيقول «ومتى رأيت البرق سمعت الرعد بعده والرعد يكون في الأصل قبله ولكن الصوت لا يصل إليك في سرعة البرق»وذكر الجاحظ في تعليل اختلاف لون بشرة الزنوج النص التالي المرتبط بأثر البيئة الطبيعية في ذلك «ان الله تعالى لم يجعلهم سودا..ولكن البلد فعل ذلك والحجة في ذلك ان في العرب سودا كبني سلين بن منصور وكل من نزل الحرة من غير بني سليم كلهم سود...ولقد بلغ من أمر تلك الحرة إن ظباءها وخيلها وهوامها ونعامها وذبابها وثعالبها وشاءها وحميرها وخيلها وطيرها كلها سود» ويستمر نوري جعفر في استعراض ما ذكره الجاحظ في ظل الملاحظات العلمية التي أبداها ومنها أمور طريفة ساقته إليها ملاحظاته الدقيقة وهنا يعلق المرحوم نوري جعفر إن الجاحظ أخطا في تفسيرها لعوامل موضوعية لاسيطرة له عليها بالنسبة لظروفه العلمية آنذاك وهذا من باب نقد التاريخ لان نوري جعفر لا يأخذ التاريخ كما ورد وإنما يعمل على نقده كما اشرنا ليبين الجانب التنويري منه و.منها مثلا: «لا ننكر ان يفسد الهواء في ناحية من النواحي فيفسد ماؤها وتفسد

---

١ - الجاحظ، الحيوان، مكتبة مصطفى ألبابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨م. ج٤ص٤٠٤

٢ - المصدر نفسه، ص٤٠٨.

تربتهم.فيعمل ذلك في طباع الزنج وطباع الصقالبة وطباع بلاد يأجوج ومأجوج. وترى القملة في رأس الشباب الأسود الشعر سوداء.وتراها في رأس الشيخ الأبيض الشعر بيضاء. وتراها في رأس الاشمط شمطاء. وهي في لون الجمل الاورق ، فإذا كانت في رأس الخضيب بالحمرة تراها حمراء فان نصل خضابه صار فيها شكله من بين بيض وحمر.»[1] وكتب الجاحظ الجاحظ أيضا «أنا جعلت فداك –اعلم إني اسمع ولا أعقل كيفية السمع. واعلم إني أبصر ولا أعقل كيفية البصر. ولا ادري أمعدن العقل الدِماغ – كما يسميه نوري جعفر وقد أكد الأستاذ محمد صالح عبد الرضا إن نوري جعفر يسمي الدماغ بكسر الدال- أم معدن العقل القلب دون الدماغ...ولعلهما موصولان غير مقطوعين.» ، وكتب الجاحظ أيضا «ولعمري إن العيون لتخطيء وان الحواس لتكذب وما الحكم القاطع إلا للذهن والاستبانة الصحيحة إلا للعقل»[2].

وابدى الجاحظ ملاحظات في غاية الأهمية ترتبط بظاهرة النشوء والارتقاء «فالأنس لما قدر ان يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات في البناء والنجارة والحياكة والجزارة وما أشبه ذلك –خلقت لهم اكف كبار ذات أصابع غلاظ تتمكن من القبض على الأشياء ومزاولة هذه الصناعات. واكلات اللحم لما قدر أن يكون معاشها من الصيد-خلقت لها اكف لطاف مدمجة ذات براثن و مخالب تصلح لأخذ الصيد ولا تصلح للصناعات. واكلات النبات لما قدر ان تكون لا ذات صنعة ولا ذات صيد

---

١ - المصدر السابق، ج٤ ص٧١٧

٢ - رسالة التربيع والتدوير، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٩م. ص٨٦

—خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا جالت في طلب المرعى ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم يطبق على الأرض ويتهيأ للركوب والحمولة.تأمل التدبير في خلقة أكلة اللحم من الحيوان حين جعلت ذوات أسنان حراء وبراثن شداء وأفواه واسعة فانه لما قدر أن يكون طعامها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك وأعينت بسلاح وأدوات تصلح للصيد.فكذلك نجد سباع الطير ذوات مناقير و مخالب مهيأة لفعلها. ولو كانت ذوات مخالب لكانت قد أعطيت ما لا تحتاج إليه لأنها لا تصيد ولا تأكل اللحم. ولو كان السباع ذات أظلاف لكانت قد منعت ما تحتاج اليه. اعني السلاح الذي به تصيد وتتعيش.الا ترى كيف اعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنعته وطبيعته بل ما فيه بقاؤه وصلاحه. انظر إلى أولاد ذات الأربع كيف تتبع أمهاتها مستقلة بأنفسها لا تحتاج الى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الإنس.فمن اجل انه ليس عند امهاتها ما عند امهات البشر من الترفق والعلم والتربية والقوة. أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها.»[1] ثم يقول الجاحظ «انظر الى هذه البهائم كيف كسيت أجسامها هذه ، الكسوة من الشعر والوبر لتقيها من البرد وكثير من الآفات. وألبست قوائمها الأظلاف والحوافر لتقيها من الحفا. فإنها لما كانت بهائم ولا أذهان لها ولا اكف ولا اصابع مهيأة للغزل والنسج كفيت ذلك بان جعلت كسوتها في خلقها باقية عليها ما بقيت ولا تحتاج الى تجديدها ولا استبدالها. فأما الإنسان فهو ذو حيلة وكف مهيأة للعمل فهو يغزل

---

١ - كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير ص٢٦- ٢٧

وينسج ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالا بعد حال.»[1].

تلك قضايا فكرية عامة ليس كلها مرتبط بالجوانب السيكولوجية لأدب الجاحظ ولكن بعضها مرتبط ارتباط غير مباشر بموضوع البحث.وهنا يعلق نوري جعفر إن الغرض الأساسي من ذكرها ليس هو في الأصل تفسير جوانبها السيكولوجية بقدر ما هو إعطاء صورة متكاملة للجاحظ الأديب والمفكر الفذ.

وبعد أن أعطى نوري جعفر رؤى حول سيكولوجية شخصية الجاحظ والتي جعل منها انطلاقة إلى سيكولوجية أدبه بدأ نوري جعفر بقراءة سيكولوجية أدب الجاحظ من خلال أربعة جوانب تطرق إليها وقسمها وهي:/

## أولا: الناحية الديالكتيكية في تفكير الجاحظ:

وفيها شرح تفكير الجاحظ ونظرته المستوعبة إلى الشيء أو الشخص أو الظاهرة من زاويتين متنافرتين وتجسيد مجمل النواحي السلبية والايجابية ومحاولة التوفيق بينها باعتبارها أجزاء مترابطة في وحدة متماسكة ««وحدة النقيضين» كما عبر عن ذلك.

وقد أشار نوري جعفر إلى الناحية الديالكتيكية في أدب الجاحظ حتى على مستوى عناوين كتبه ومنها (الجد والهزل) و(العداوة والحسد) «التربيع والتدوير» (البيضان والسودان) وهنا يعلق نوري جعفر «وفي هذا التفكير الديالكتيكي يكمن جوهر نظرة الجاحظ السيكولوجية العميقة الى كثير من قضايا الفرد والمجتمع. (في مجتمعه وعصره) وفي هذا العصر الذي

---

١ - المصدر نفسه ص٢٩- ٣٠

نعيش فيه» حيث نرى تركيزه رحمه الله على العصر الذي نعيشه إذن نوري جعفر يريد أن يستخلص من التاريخ ما ينفع الوقت الحاضر وهذه مسالة صعبة للغاية ولكنه نجح فيها غاية النجاح كما سنرى ، وهنا يورد نوري جعفر عبارات للجاحظ يفسر من خلالها طبيعة الإنسان المتناقضة «الا ترى فيه ان طبائع الغضب والرضا دالة اليقين والشك وفيه طبائع الفطنة والغباوة والسلامة والمكر والنصيحة والغش والوفاء والغدر والرياء والإخلاص والحب والبغض والجد والهزل والبخل والجود والاقتصاد والسرف والتواضع والكبر والإنس والوحشة والتمييز والخبط والجبن والشجاعة والحزم والإضاعة والتبذل والتعزز والسخط والرضا والصبر والجزع والذكر والنسيان والكتمان والإشاعة والإقرار والأفكار والعلم والجهل والظلم والإنصاف والتغافل والتغاضي وملا يمكن عده»[1] وقال الجاحظ أيضا (إنما سحر الإنسان العالم الصغير سلل العالم الكبير لما وجدوا فيه من جميع أشكال العالم الكبير.. ووجدنا فيه الحواس الخمس ووجدوا فيه المحسوسات الخمس ووجدوه بأكل اللحم والحب ويجمع بين ما تقتاته البهيمة والسبع ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد وغدر الذئب وروغان الثعلب!!![2] وقال أيضا «وقد يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام وتكون له طبيعة في النجارة وليست له طبيعة في الفلاحة.وتكون له طبيعته في الحداء أو التعبير أو القراءة بالإلحان وليست له طبيعة في الغناء»[3].

---

١ - كتاب الحيوان، مصدر سابق، ج٦، ص٢١٤

٢ - المصدر نفسه ج٦ص٢١٣

٣ - كتاب البيان والتبيين ج١ ص٢١٨

وقال أيضا «فمن الأمور التي توجب بعضها بعضا :المنفعة توجب المحبة والمضـرة توجـب البغضـاء..والصـدق يوجـب الثقـة والكـذب يـورث التهمـة,والأمانـة توجب الطمأنينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة,وحسن الخلق يوجب المودة, وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت, والتواضع يوجب المقة, ولكل شيء من هذه إفراط وتقصير وإنما تصبح نتائجها إذا أنميت على حدودها,فالإفراط في الجود يوجب التبذير والإفراط في التواضع يـورث المذلـة,والإفـراط في الكـبر يـدعو إلى مقـت الخاصـة, والإفـراط في المؤانسـة يـدعو إلى خلطـاء السـوء, والإفـراط في الانقبـاض يوحش النصيحة,واعلم ان الصمت في موضعه ربما كان انفع من الإبلاغ بـالمنطق في موضـعه وعنـد إصـابة غرضـه, واعلـم إن كثـرة العتـاب سـبب للقطيعة, واطّراحه كله دليل على قلة الاكتراث, واقتصد في مزاحك فان الإفـراط فيـه يـذهب بالمهابـة ويجرئ عليـك أهـل الـدناءة, وان التقصـير فيـه يقبض عنك المؤانسة, واجعل صمتك أكثر من كلامك فانه أدل على حكمتك, واجعل عفوك أكثر من عقوبتك فان ذلك أدل على كرمك, ولا تفرطن فيه كل الإفراط حتى تطرح الكلام في موضعه والتأديب في أداته... واعلم إن نشر محاسنك لا يليق بك ولا يقبل منك.. فأما ثناء المادحين لـك في وجهـك فإنما ذلـك أسـواق أقاموهـا للأربـاح وساهلوك في المبايعـة... وعنـدما تـأتي محفـلا فيـه جمـع مـن النـاس فـاجلس دون الموضـع الـذي تستحقه حتى يكون أهله الذين يرفعونك فتظهر جلالتك وعظم قدرك, وعنـدما يفـيض القـوم في حـديث عنـدك فيـه مثـل مـا عنـدهم او أفضـل فيتنافسون في إظهار ما عندهم فان ناقشتهم كنت واحدا منهم وان أمسكت افتضـوك في ذلـك فصـرت كأنـك ممتن عليـهم بحـديثك وأنصـتوا لـك مـالم

ينصتوا لغيرك.»[1] فالملاحظ على هذه المبادئ الاجتماعية والأخلاق هي ذات أبعاد سيكولوجية عميقة الغور في النفس الإنسانية فالجاحظ وفق حديثه هذا كان عالما سيكولوجيا بامتياز بحيث يعطي دلالات أساسية ومهمة للنفس الإنسانية تجعل من هذه الدلالات واجبة الحضور في أحايين كثيرة وان الدكتور نوري جعفر كان دقيقا كل الدقة في استخراج هذه الجوانب الأساسية في أدب الجاحظ.

ايضا من المهم ان يشار الى الجانب الديالكتيكي انه ظهر في موقف المفكرين من الجاحظ ، فقد قال بعضهم فيه: كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا.

وذهب آخرون الى الجهة المعاكسة كما هو في مقامة البديع الجاحظية وفي قول الباقلاني (في إعجاز القران ص٣٧٧) «وكذلك يزعم زاعمون ان كلام الجاحظ من السمن الذي لا يؤخذ فيه والباب الذي لا يُذهب عنه. وانت تجد قوما يرون كلامه من بيت سائر ومثل نادر وحكمة ممهدة منقولة وقصة عجيبة مأثورة. واما كلامه في اثناء ذلك فسطور قليلة وألفاظ يسيرة.فإذا أُحوجِ الى تطويل الكلام خاليا من شيء يستعين به فيخلط بقوله قولغيره... ومن ذكر من كلامه سطرا اتبعه من كلام غيره أوراقا...» واتضح الجانب الديالكتيكي في تفكير الجاحظ في جمعه بين الرقة والصرامة وبين الهزل والجد وبين تضخيم الشيء وتصغيره.وما يجري هذا المجرى ويشير د.نوري جعفر اشارة هامة الى التحليل النفسي الذي كتبه الجاحظ في السياسات العامة للحكام في عصره «وبعد فأي رئيس كان خيره محضا؟ومن لم يعمل بإقامة جزاء السيئة والحسنة ؟وقتل في موضع

---

١ - فلسفة الجد والهزل، بيروت، منشورات حمد، بلا تاريخ، ص١٢- ١٤

القتل واحيا في موضع الإحياء؟ وعفا في موضع العفو وعاقب في موضع العقوبة ومنع ساعة المنع وأعطى ساعة الإعطاء ؟وقد قالوا :بعض القتل إحياء للجميع،وبعض العفو إغراء كما ان بعض المنع إعطاء، ولا خير بمن كان خيره محضا،وشر منه من كان شره صرفا ، ولكن اخلط الوعد بالوعيد ، والبشر بالعبوس،والإعطاء بالمنع والحلم بالإيقاع، فان الناس لا يهابون ولا يصلحون الا على الثواب والعقاب والأطماع والمنع، ومن أخاف ولم يوقع وعرف بذلك كان كمن اطمع ولم ينجز وعرف بذلك»[١] وهنا يعلق نوري جعفر انه لولا الاستطراد لاقتبسنا فقرات مماثلة من كتاب الأمير الذي وضعه مكيافيللي (١٤٦٩-١٥٢٧) الذي جاء بعد الجاحظ بأكثر من ستة قرون ويتبين مما ورد في أعلاه كيف ان الدكتور نوري جعفر يستلهم التاريخ مشيرا بذلك إلى الجوانب التنويرية فيه بان يقارن بين ما ورد لدى مكيافيللي وما ورد لدى الجاحظ الذي سبقه ب٦ قرون ولكن الدكتور نوري جعفر لم يذكر ما جاء لدى مكيافيللي بسبب خوفه من الاستطراد ولكنني سأكمل ما أراده الدكتور نوري جعفر بان استخرج ما ورد في رسالة الأمير لمكيافيللي والتي تشابه ما ورد لدى الجاحظ في صفات السياسيين وكما يلي : يقول ماكيافيلي ناصحا الامراء:/ «من الافضل لمن يواجه صعابا جمة في قيادة اعماله ويجد كل الصعاب على دربه..ان يتغلب عليها بالفضيلة»[٢] ويقول في موضع اخر« على الامير ان يعيش مع رعيته

---

١ - «كتاب الحيوان، مصدر سابق، ج٢ ص٨٧»

٢ - ميكيافيللي، الامير، ت:لمياء اديب منذر، مؤسسة علاء الدين للطباعة والتجارة، دمشق، ٢٠٠٦، ط١، ص٦٢

فوق كل اعتبار والا يغير سلوكه اي حادث خيرا كان ام شر»[1] ويقول «من الضروري للامير ان يكسب الشعب كصديق»[2] فالملاحظ لكلام الجاحظ يراه منصبا في توجيه نصائح للساسة وكذلك ميكيافيللي هكذا فعل فعندما يريد من الامير ان يكون صديقا للشعب بمعنى اخر يدعو الى ما يدعو اليه الجاحظ من ان يعفو في موضع العفو ويحي في موضع الاحياء وهي تشابهات عامة بين ميكيافيللي والجاحظ.

وكتب الجاحظ ايضا في معنى مماثل: اعلم ان الله –جل ثناؤه- خلق خلقه ثم طبعهم على اجتذاب المنافع ودفع المضار وبغض ما كان في خلاف ذلك هذا فيهم طبع مركب وجبلة مفطورة لا خلاف بين الخلق فيه : موجود في الإنس والحيوان... وبقدر زيادة ذلك ونقصانه تزيد المحبة والبغضاء ، فالرغبة والرهبة أصلا كل تدبير وعليهما مدار كل سياسة عظمت أو صغرت ، فاجعلها مثالك الذي تحتذي به وركنك الذي تستند اليه... واعرف لأهل البلاء –ممن جرت بينك وبينه مودة او حرمة ممن فوقك او دونك او نظرائك –أقدارهم ومنازلهم.ثم لتكن أمورك معهم على قدر البلاء والاستحقاق.ولا تؤثر في ذلك أحدا لهوى فان الأثرة على الهوى توجب السخط. إما من آثرت فانه يعلم انك لم تؤثره باستحقاق بل لهوى فهو يترقب ان ينتقل هواك الى غيره فتتحول أثرتك حيث مال هواك. فهو مدخول القلب في مودتك غير أمن لتغيرك... واما من آثرت عليه بعد الاستحقاق منه فقد جعلتَ له السبيل الى الطعن عليك واعطيته الحجة على نفسك... فاجعل العدل والنصف في الثواب والعقاب حاكما بينك

---

١ - المصدر السابق، ص٧٥

٢ - المصدر السابق، ص٧٩

وبين اخوانك،فمن قدَّمت منهم فقدِّمه على الاستحقاق[1].

كما ويذكر الدكتور نوري جعفر جانب ديالكتيكي آخر من جوانب تفكير الجاحظ وهو فيما يتعلق في موقفه من الكتّاب الذين ذم أخلاقهم بما لا يحتمل المزيد وأطرى عليهم بما لا يحتمل المزيد.

ثم يتكلم الدكتور نوري جعفر بصدد الرابطة الديالكتيكية رابطا بين الصمت والكلام وهما ظاهرتان متنافرتان حيث كتب الجاحظ «قيل: لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب». وإنما حثوا على الصمت لان العامة إلى معرفة خطأ القول أسرع منهم إلى معرفة خطأ الصمت، ومعنى الصامت في صمته أخفى من معنى العاقل في قوله. وإلا فان السكوت عن قول الحق في معنى النطق بالباطل. ولعمري ان الناس إلى الكلام لأسرع لان أصل التركيب إن الحاجة إلى القول والعمل أكثر من الحاجة الى ترك العمل والسكوت عن جميع القول. وليس الصمت كله افضل من الكلام كله،ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله... بل قد علمنا ان عامة الكلام أفضل من عامة السكوت وكيف يكون الصمت انفع ونفعه لا يكاد يجوز رأس صاحبه. ونفع الكلام يعم ويخص،والرواة لم ترو سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين،وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت، ومواضع الصمت المحمودة قليلة،ومواضع الكلام المحمودة كثيرة، وطول الصمت يفسد اللسان... وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره

---

١ - (رسالة المعاش والمعاد والأخلاق المحدودة والمذمومة التي بعث بها الى ابي الوليد محمد بن احمد بن ابي داؤد : رسائل الجاحظ/م. الخانجي /١٩٦٢، ج١، ص١٠٢- ١٠٥).

وتبلدت نفسه وفسد حسه... وأية جارحة منعتها الحركة ولم تمرِّنها على الاعتماد أصابها التعقيد على حسب ذلك المنع»[1] وبصدد العلاقة الديالكتيكية بين المنطقين المتنافرين من الكلام كتب الجاحظ: «الهذر والإسهاب –أي كثرة الكلام على غير طائل –هو نقيض العي والتقصير عن البيان. ومثلما ان العي مذموم لأنه يقصر عن بلوغ الغاية كذلك فان الخطل مذموم لأنه يتعدى الحاجة ويفيض عن الغاية...وللكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية. وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال فذلك هو الهذر وهو الخطل وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه.»[2] وقال الجاحظ أيضا «وانما وقع النهي على كل شيء جاوز المقدار. ووقع اسم العي على كل شيء قصّر عن المقدار.فالعِيُّ مذموم والخطل مذموم.»[3] وقد اعتبر العلامة نوري جعفر إن كلام الجاحظ تتضح من خلاله النظرة الديالكتيكية الأصيلة في تفكير الجاحظ.النظرة التحليلية للأمور والكشف عن جوهرها والبعد عن التعميمات الجارفة والنظر الى الشيء في ضوء قرينته أو سياقه وفي حدود المناسبة الزمانية والمكانية. وتلك صفة تتحدى الزمان والمكان ويحتاج إليها كل إنسان في عهد الجاحظ.وفي زماننا هذا بصورة خاصة حيث كثر التلفيق وانتشر التضليل والدس والافتراء وقديما قال الشريف الرضي: «وما آفة الأخبار إلا رواتها».

وبالتالي فان هكذا قراءة سيكولوجية لأدب قديم مثله الجاحظ إنما هي

---

١ - البيان والتبيين، مصدر سابق، ص٢٧٢- ٢٧٣.

٢ - المصدر السابق، ج١، ص٩٩

٣ - المصدر السابق، ص٢٠٢.

قراءة حداثوية لأدب قديم وإعادة بعثه من جديد للاستفادة منه بشكل واسع.

ويسلط نوري جعفر الضوء على جانب ديالكتيكي آخر يتضح عند الجاحظ في موقفه من المعلمين حين يقول «والمعلمون عندي على ضربين: منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة ومنهم رجال ارتفعوا من تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة.فكيف نستطيع أن نزعم إن علي بن حمزة ألكسائي ومحمد بن المستنير الذي يقال له قطرب وأشباه هؤلاء يقال لهم حمقى ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم فان ذهبوا إلى معلمي القرى فان لكل قوم حاشية وسفلة فما هم في ذلك إلا كغيرهم.وكيف نقول مثل ذلك في هؤلاء وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء مثل الكميت بن زيد وعبد الحميد الكاتب وقيس بن سعد وعطاء بن أبي رباح ومثل عبد الكريم بن أمية وحسين المعلم وأبي سعيد المعلم ومن المعلمين الضحاك بن إبراهيم. وإما محمد الجهني وعامر الشعبي فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان ومنهم أبو سعيد المؤدب وعبد الصمد بن عبد الأعلى وكان معهم ولد عتبة بن أبي سفيان ومنهم محمد بن السكن وأبو بكر عبد الله بن كيسان وما كان عندنا بالبصرة رجلان أروى لصنوف العلم ولا أحسن بيانا من أبي الوزير وأبي عدنان المعلمين»[1] والملاحظ للنص ألجاحظي هذا هو كثرة ذكر أسماء المعلمين وفي الاعتقاد إن نوري جعفر ركز على هذا النص وطرحه وذلك لأنه يود التركيز على

---

١ - كتاب البيان والتبيين، ج١، ص٢٥٠- ٢٥٢

أسماء المعلمين آنذاك والذين ذكرهم الجاحظ لكي يعرف المتلقي من هم ولا يدثر ذكرهم. ويذكر نوري جعفر ما يورده الجاحظ من تحليلات سيكولوجية عميقة في معرض حديثه عن الشك واليقين«وبعد هذا فاعرف مواضع الشك وحالاته الموجبة له لتعرف بها مواضع اليقين... ثم اعلم ان الشك في طبقات عند المتكلمين... وكما قال أبو الجهم للمكي «أنا لا اشك» قال المكي«وأنا أكاد لا أوقن» وقال أبو اسحق«الشاك اقرب إليك من الجاحد» وإذا أردت أن تعرف مقدار الرجل العالم وفي أي طبقة هو.. فكن عالما في صورة متعلم.ثم اسأله سؤال من يطمع بلوغ حاجته منه... والعوام اقل شكوكا من الخواص لأنهم لا يقعون بين التصديق والتكذيب ولا يرتابون بأنفسهم فليس عندهم إلا الإقدام على التصديق المجرد أو على التكذيب المجرد»[1].

اما في الجد والهزل حيث يتضح الجانب الديالكتيكي في تفكير الجاحظ وعمقه السيكولوجي عند مقابلته الجد بالهزل (وقد ذهب الناس في المزاح إلى معان متضادة وسلكوا منه في طرق مختلفة. فزعم بعضهم ان جميع المزاح خير من جميع الجد. وزعم آخرون إن الخير والشر عليهما يستويان ونحن نعوذ بالله أن نجعل المزح في الجملة.بل نزعم ان بعض المزح خير من بعض الجد وعامة الجد خير من عامة المزح وان الناس وان تسموا بعابس وعباس وكالح ومرة وصخر وحنظله... فقد تسموا بالضحاك والبسام»[2] كذلك يتضح من هذا كله العمق السيكولوجي الذي يتمتع

١ - الحيوان، ج٦، ص٣٥- ٣٧

٢ - التربيع والتدوير، مصدر سابق، ص٦٥- ٦٨.

بـه د. نـوري جعفـر عنـدما يغـوص في التـاريخ مسـتخرجا هـذه الـرؤى والتحليلات النفسية والديالكتيكية في ادب الجاحظ.

اما قضية اللفظ والمعنى من الناحية الديالكتيكية يقول الجاحظ «ومن أراد معنى كريما فلينتقن له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف...فكن في ثلاث منازل :فان أولى الثلاث ان يكون لفظك رشيقا عذبا ويكون معناك ظاهرا مكشوفا... إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت واما عند العامة ان كنت للعامة قصدت والمعنى ليس يشرف بان يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضح بان يكون من معاني العامة»[1].

كذلك يتكلم نوري جعفر عن تفكير الجاحظ وموقفه من البخلاء فقد ورد مثلا: «ذكرت حفظك الله انك قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل وذكرت ان قدر نفعه عظيم وان التقدم في درسه واجب ، وقلت اذكر لي نوادر البخلاء واحتجاج الاشحاء وما يجوز في ذلك من باب الهزل وما يجوز منه في باب الجد لأجعل الهزل مستراحا والراحة حجاما.... وقلت وليس عجبي ممن خلع عذاره في البخل وأبدى صفحته للذم...كعجبي ممن قد فطن لبخله وعرف إفراط شحه وهو في ذلك يجاهد نفسه ويغالب طبعه.ولربما فطن انه قد فطن إليه وعُرِف ما عنده فموه شيئا لا يقبل التمويه ورقع خرقا لا يقبل الرقع فلو انه قد فطن لعيبه وفطن لمن فطن لعيبه فطن لضعفه عن علاج نفسه... لترك تكلف ما لا يستطيعه ولاستراح من كد الكلفة ودخل في غمار

---

١ - البيان والتبيين، ج١، ص١٣٦.

الأمة... وبعد فما باله يفطن لعيوب الناس إذا أطعموه ولا يفطن لعيب نفسه إذا أطعمهم وان كان عيبه مكشوفا وعيب من أطعمه مستورا»[1]

وجريا مع المنطق الديالكتيكي للجاحظ فقد وازن بين السخاء الذي عرف به العرب وبين البخل الذي تحدث عنه لدى أهل خراسان وبخاصة أهل مرو فكتب في معرض التحدث عن الكرم عند العرب وموقفهم من الضيف واستقبالهم إياه بالبشاشة واللطف: ولان العرب تجعل الحديث والبسط والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القرى ومن تمام الإكرام وقالوا: تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المواكلة... وقال الشاعر:

**أضاحك ضيفي قبل انزال رحله**

**ويُخصِبُ عندي والمحلُّ جُديبُ**

**وما الخِصبُ للاضياف ان تُكثِر القِرى**

**ولكنما وجه الكريم خصيبُ**

ويستشهد الجاحظ بأبيات مترفة –كما يعبر نوري جعفر وهذا دلالة تعلق العلامة نوري بالشعر وحبه اليه- من قصيدة أنيقة للحسين بن مطير في رثاء معن بن زائدة الشيباني:

**الِمَّا على معن وقولا لقبره**

**سقتك الغوادي مُرْبِعا ثم مربعا**

---

١ - البخلاء القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢، ص١- ٥.

**فيــا قــبر معــن كنــت أول حفــرة**

**من الأرض خطّت للسماح وموضعا**

**ويــا قــبر معــن كيــف واريــت جــوده**

**وقـد كـان منـه الـبرُّ والبحـر مُتْرعـا**

**بلــى قــد وســعت الجــود والجــود ميــت**

**ولـو كـان حيـا ضـقت حتـى تصـدعا**

**فتــى عــيش في معروفــه بعــد موتــه**

**كما كان بعد السيل مجراه مـرفعا**

**تمنـــى أنـــاس شـــأوه مـــن ضـــلالهم**

**فأضحوا على الأذقان صـرعة وظُلَّعـا**

ومن جيد الشعر في مدح معن هذا قول الشاعر:

**ومـــن جـــوده يرمـــي الكـــراة يأسُـــهم**

**مـن الـذهب الاريـز صـيغت نصـولها**

**لينفقهـــا المجـــروح عنـــد انقطاعـــه**

**ويشـــتري الأكفـــان منهـــا قتيلـــها**

وتظهر السماحة عند العرب في ظاهرة الاستنباح الطريفة المشهورة: وهي إذ المُدّلجِين في الليل البهيم يضطرون أحيانا إن يستنبحوا كلاب الحي عن طريق تقليدهم نباحها ليلفتوا نظر أهل الحي نحوهم لغرض الإيواء.

وفي الشعر العربي أبيات ممتعة تصف هذه الظاهرة منها /

**ومستنبح بات الصدى يستجيبه**

**إلى كل صوت فهو في الرحل جانح**

**فقلت لأهلي: ما بغام مطيّةٍ**

**وسار اضافتْه الكلاب النوابح**

**فقالوا غريب طارق طوّحت به**

**متون الفيافي والخطوب الطوارحُ**

**فقمت ولم اجثم مكاني ولم يقم**

**مع النفس غلاتُ النفوس الفواضحُ**[1]

وتحضرنا في هذه المناسبة – قصة طريفة رواها المبرد –في معرض الحديث عن الجود عند العرب مفادها ان يزيد بن المهلب مر بإعرابية وهو في طريقه إلى البصرة بعد خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز.فنحرت الإعرابية له عنزا فقال لولده –الذي كان يرافقه «ما معك من النفقة ؟قال ثلاثمائة دينار.قال فادفعها لها.قال ابنه: انك تريد الرجاء ولا يكون الرجال إلا

---

١ - البيان والتبيين، ج١، ص١٠- ١١.

بالمال. وهذه يرضيها اليسير وهي بعد لا تعرفك.فقال :ان كانت ترضى باليسير فانا لا أرضى إلا بالكثير. وان كانت لا تعرفني فانا اعرف نفسي.ادفعها إليها.» ويستمر د.نوري مستعرضا حالة البخل والبخلاء التي وصفها الجاحظ وينتقل إلى عرض نماذج ظريفة من بخلاء الجاحظ الظرفاء الآخرين من غير أهل خراسان أظرفها بنظر الدكتور نوري جعفر ذكر النماذج التالية التي تنطوي على تحليل دقيق للجوانب السيكولوجية للبخلاء فأورد عن الحزامي أبي محمد عبد الله بن كاسب العبارات الظريفة التالية قال الجاحظ: «كنا عند داود بن أبي داود بواسط فأتته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس.فقسمها بيننا فكل منا اخذ منها. ولكن الحزامي أعطى غيره.فأنكرت ذلك من مذهبه ولم اعرف جهة تدبيره.فقلت للمكي قد علمت إن الحزامي يجزع من الإعطاء وهو عدوه فإما الأخذ فهو ضالته وأمنيته وانه لو أعطي أفاعي سجستان وثعابين مصر وحيات الاحواز لأخذها إذا كان اسم الأخذ واقعا عليها فعساه أراد التفضيل في القسمة ؟قال :أنا كاتبه وصداقتي أقدم.وما ذلك من مذهبه فلم نلبث أن دخل علينا فسألته عن ذلك ففكر قليلا ثم باح بسره وقال: صنيعته أضعاف ربحه. وأخذه عندي من أسباب الإدبار قلت فهات إذن ما عندك.قال أول ذلك كراء الحمَّال. ثم هو علي خطر حتى يصير إلى المنزل.فإذا صار المنزل صار سببا لطلب العصيدة والأرز فذهب في العصائد وجلب ذلك شراء السمن ثم جلب السمن غيره. وصار هذا اضر علينا من العيال... وان أنا جعلته نبيذا احتجت إلى كراء القدور والى شراء الحِب والى شراء الماء والى كراء من قد يوقد تحته والى التفرغ له. فان وكلت ذلك لجارية اسودَّ ثوبها وغرمنا نحن الاشنان والصابون.فان فسد النبيذ ذهبت النفقة باطلا وان سلم وأعوذ بالله –وجاء صافيا لم نجد بدا من شربه. على إني إن جلست في البيت لم

يكن لي بد من واحد وذلك الواحد لا بد له من دريهم لحم وطسوج نقل وقِراط ريحان ومن ابزار للقدر ومن حطب للوقود.وهذا كله غرم وهو بعد هذا شؤم وحرقة وخروج عن العادة الحسنة»[1].

وقال الجاحظ أيضا «زعموا أن رجلا قد بلغ في البخل غايته وصار إماما وانه كان إذا صار في يده الدرهم خاطبه وناجاه وفداه واستبطنه,وكان يقول له :كم من ارض قطعت ومن كيس فارقت وكم من خامل رفعت ومن رفيع قد أخملت لك عندي ألا تعرى ، ثم يلقيه في كيسه ويقول له: اسكن على اسم الله في مكان لا تُهان ولا تُذل ولا تُزعج منه,وانه لم يدخل في كيسه درهم قط فأخرجه,فكان أهله منه في بلاء وكانوا يتمنون موته والخلاص منه... فلما مات.... وظنوا أنهم استراحوا منه قدم ابنه فاستولى على ماله وداره ثم قال ما كان أدام أبي ؟فان أكثر الفساد إنما يكون من الادام قالوا كان يتأدم بجبنة عنده,قال أرونيها,فإذا فيها حز كالجدول من أثر مسح اللقمة,قال ما هذه الحفرة؟ قالوا كان لا يقطع الجبن وإنما يمسح على ظهره فيحفر كما ترى, قال بهذا أهلكني وبهذا أقعدني هذا المقعد لو علمت ذلك ما صليت عليه, قالوا فأنت كيف تصنع؟قال أضعها من بعيد فأشير إليها باللقمة.»[2] وفي ختام الجانب الديالكتيكي من جوانب البحث يعلق نوري جعفر على إن الناحية الديالكتيكية متأصلة في كيان الجاحظ من الناحية السيكولوجية ويلوح إن هذه الناحية طغت على حياة الجاحظ الفكرية أثناء حياته ولازمته حتى الموت وتبدو الناحية الديالكتيكية عند الجاحظ في التباين بين فجره ومنظره :فجر يتسم بالفكر

---

١ - البخلاء، مصدر سابق، ص٤٨- ٤٩

٢ - البخلاء مصدر سابق، ، ص١٠٦- ١٠٧.

الثاقب ومنظر يتسم بالبشاعة ، كما يتضح الجانب الديالكتيكي أيضا في حياة الجاحظ المعاشية :فقره المدقع أيام طفولته وثرائه وهو كهل وشيخ.

### ثانيا: الإحاطة:/

في هذا الجانب يبرز نوري جعفر مفهوم الإحاطة كمفهوم سيكولوجي لتفكير الجاحظ وتحليلاته السيكولوجية من حيث قدرته على الإحاطة أو الإلمام بالموضوع الذي يعالجه بشمول وعمق وبراعته الفائقة في الإفاضة فيه من جميع جوانبه واستيفائه إياه حقه في التفصيل مع خلطه الجد بالهزل بأسلوب ساخر ممتع وناحية الإحاطة لها ارتباط بالجانب الديالكتيكي في تفكير الجاحظ.

ومن جوانب الإحاطة كتب الجاحظ بصدد الاحتجاج لقصة القامة وذم طولها:

وزعمت إن الإنسان إذا طال جسمه وامتد شخصه أسرع الانهدام إلى بدنه والانحناء إلى ظهره وان القصير لا يتقوس ظهره ولا يميل عنقه ولا يضطرب شخصه ولا تعوج عظامه.ويسعه كل باب ويقطعه كل ثوب ولا تخرج رجلاه من النعش ولا يفضل من الفراش ، وهو بعد اخف على القلوب واخلط بالنفوس وابعد من السماجة وادخل في كل باب ملاحة[1] ، وكتب أيضا بصدد الاحتجاج للعرض –الذي يتضمن بالطبع معنى القصر: وتزعم إن الأرض لم توصف بالعرض-دون الطول- إلا لأفضلية العرض على الطول...وذلك كقول الشاعر:

---

١ - رسالة التربيع والتدوير، مصدر سابق، ص٢٢- ٢٣

كـأن بـلاد الله وهـي عريضـة

علـى الخـائف المطلـوب كفّـض حابـلِ

ولم يقل كان بلاد الله وهي طويلة. وقلت لولا أفضلية العرض على الطول لما وصف الله الجنة بالعرض دون الطول حيث يقول جل ثناؤه«وجنة عرضها كعرض السماء والأرض[1] وكتب الجاحظ في المعنى نفسه «ورايتك «ورايتك تقول وان كان الفضل في النكاية والشدة والصلابة فقصار كل شيء اشد ضررا وأدق مدخلا واظهر قوة وجلدا ، كالحجارة اصلبها الحصى وكالحيات اقتلها الأفعى...وكذلك أحرار الطير وبغاثها... واحتججت بان الحسن والفضل لصغار ما في الإنسان كالناظرين والأنثيين وحبة القلب وأم الدماغ»[2].

كما يقول نوري جعفر ان ناحية الإحاطة بتفاصيل الموضوع الذي يتناوله الجاحظ بالبحث في وصفه الكتاب وأهميته في حياة الإنسان حيث يقول الجاحظ: الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم الأنيس لساعة الوحدة.ونعم المعرفة ببلاء الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل.. إن شئت كان أعيا من بأقل وابلغ من سحبان وائل وان شئت سرّتك نوادره وشجتك مواعضه ، وبعد فما رأيت بستانا يحمل في ردن ولا روضة تنقل من حجرة الى حجرة... وهو ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء.ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا اعلم جارا امن وخليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما

---

١- م. سابق ص٢٣

٢ - م. سابق ص١٧- ١٨

اخضع ولا صاحبا اظهر كفاية وعناية ولا اقل إحلالا وإبراما ولا ابعد من مراء ولا اترك لشغب ولا ازهد في جدال ولا انف عن قتال من كتاب... ولا اعم بيانا ولا أحسن موافاة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا اقرب مجتنى وأسرع إدراكا ولا اوجد في كل مكان من كتاب. ولا اعلم نتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة واثار العقول الصحيحة ومحمود الأذهان اللطيفة من الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والأخبار عن القرون الماضية والبلاد النائية والأمثال السائدة والأمم البائدة ما يجمعه كتاب. ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبا ورده ضمنا وان شئت لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك.والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يقلبك والرفيق الذي لا يملك والمستمع الذي لا يستزيدك والجار الذي لا يستبطأك والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق.والكتاب هو الذي ان نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم ألفاظك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك ، يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفي السفر طاعته في الحضر ، وهو المعلم ان افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عزلت لم يدع طاعتك وان هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقا منه بأدنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء. وان امثل ما يقطع به القراء ساعات نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر في كتاب. ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك إلا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر

وملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الردية وجهالتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة والغنيمة[1].

حيث يتبين من كلام الجاحظ سعة ثقافته باهتمامه بالكتاب ودوره في تنوير المجتمعات وإضفاء صفة الديمومة الى جليس المحبة والاستزادة المتمثلة بالكتاب ، كما يلاحظ إن الجاحظ قد أعطى لهذا الجانب أهمية من خلال وصفه للكتاب وهو وصف نفسي سيكولوجي بحت يبين العلاقة بين الكتاب والإنسان ولم يتطرق الدكتور نوري جعفر إلى التفاصيل حول ما ذكره الجاحظ حول الكتاب وإنما ذكر ما قاله الجاحظ بهذا الخصوص فقط ، والجوانب السيكولوجية التي من الممكن استخلاصها من علاقتنا بالكتاب من خلال حديث الجاحظ والتي لم يتطرق إليها العلامة نوري جعفر هي:

التأكيد على جانب الرفقة مع الكتاب وانه خير أنيس وجليس وهنا نستذكر ما قاله المتنبي حول الكتاب:

**وخير مكان في الدنا سرج راكب**

**وخير جليس في الزمان كتاب**

التأكيد على الجانب المعرفي الذي يقدمه الكتاب إلى جليسه حيث إن احد أهم جوانب المعرفة الإنسانية يتم استخلاصها من خلال عملية القراءة التي تتم من خلال الكتاب وهذا جانب سيكولوجي معرفي أراد نوري جعفر من المتلقي استخلاصه ولكن لم يشر إليه في كتابه فألينا من خلال هذا البحث استكمال ما أراده نوري جعفر.

---

١ - الحيوان، مصدر سابق، ج١، ص٣٨- ٤٢)

قضية الخلود الذي يقدمه الكتاب لمؤلفه وقد أشار الجاحظ إلى هذا الجانب من خلال قوله:

**«وهو ينطق عن الموتى ويترجم عن الإحياء»**

وهذه خصلة يريد الجاحظ أن يقدمها لمؤلفي الكتب بالقول إن كتبكم وآراءكم التي حوتها الكتب لن تموت بموت أجسادكم وإنما ما يخطه القلم يبقى حيا خالدا بعد فناء صاحب القلم وهذا ما أراد الجاحظ إن يبينه إلى المتلقي.

إن الكتاب لن تموت مادته مهما تقادم عليها الدهر لان ما فيه من معرفة تعتبر روحا يستلهمها الإنسان أثناء حياته.

حضور الكتاب حضورا في حياة الإنسان يمنعه من مخالطة أهل السوء ويلزم المتلقي بيته جاعلا من الإنسان في حصن حصين من أخلاق السوء.

مزج الجاحظ بين أخلاقيات المجتمع السائدة من ترك الصديق لصديقه والخل لخليله والنفاق والمكر والحسد والاحتقار وغيرها من الأخلاق الذميمة ، وان الكتاب لا يمتلك كل تلك الأخلاق ، فالنتيجة إن مصاحبة الكتاب تجعل من الإنسان مبتعدا عن هذه الأجواء وملتزما بأجواء بعيدة عن هذه الأخلاق حيث لا توجد كل هذه الأخلاق في الكتاب.

**ثالثا: الاستطراد**: وهو الجانب السيكولوجي الثالث الذي يتميز به الجاحظ وتفكيره ونظرته العميقة للأمور والتي يتناولها بالتحليل وهنا يعلق نوري جعفر قائلا: استطراداته الممتعة ومداعباته وملحه التي ينثرها في ثنايا أبحاثه هنا وهناك والاستطرادات قد تجلت بأوضح صورها وأشكالها في كتاب الحيوان :وهو الكتاب الذي ألفه وهو مفلوج ويتضمن خلاصة علمه وتجاربه بالإضافة بالطبع على تناوله فيه حياة الحيوانات. كما تتجلى

استطراداته في كتاب البيان والتبيين الذي يبدو انه وضعه قبل كتاب الحيوان وفي كتاب البخلاء ورسالة التربيع والتدوير ، وقد برز الجاحظ في استطراداته عالم نفس بارع من حيث قدرته على استخدام ظاهرة الاستطراد نفسها ومن ناحية محتوى الاستطرادات الممتع والمتنوع. كما برز الجاحظ أيضا عالم نفس لبق يلاحظ القارئ الذي يعتريه الفتور أو الضجر عند مواصلته قراءة بحث طويل يتصف بالجدية وربما بالجحود أيضا. وظاهرة الملل هذه هي ظاهرة سيكولوجية متأصلة ومنتشرة لدى عموم القراء إلا في حالات نادرة تحصل في بعض الأحيان. حينما ينغمر القارئ في موضوع معين يستهويه أو يتعلق بقضية بالغة الأهمية بالنسبة له. عندئذ لا يحصل السام في مثل هذه الحالة بل يحل محله أحيانا تعب نسبي يستلزم التوقف مؤقتا عن مواصلة القراءة لغرض الاستجمام لمواصلتها بعد ذلك.

ويعتبر العلامة نوري جعفر إن استطرادات الجاحظ طريفة وممتعة ومهمة أيضا استمدها في الأصل من قراءاته المستفيضة ومن تجاربه الغزيرة وملاحظاته الدقيقة للأشخاص والأحداث في زمانه. وهي تجمع بين الجد والهزل والتهكم. وفيها راحة نفسية له ولقرائه على اختلاف مشاربهم وتباين مستويات ثقافتهم ومنازلهم الاجتماعية. على أنها- مع ذلك وربما بسببه- تتركز جميعا ضمنيا وبشكل صريح أحيانا حول موضوع واحد هو موقفه من قضايا مجتمعه الأساسية آنذاك :العلمية والسياسية والاقتصادية. وهذه طائفة ذكرها العلامة نوري جعفر على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر وسوف نشير إليها فقط:

باب المفارقات

باب الفراسة

باب التسامح والترفع :نذكر ما ورد فيها لدى الجاحظ رحمه الله

لأهميتها: إن رجلا وقف على عامر الشعبي فلم يدع قبيحا الا رماه به فقال له عامر: إن كنت كاذبا يغفر الله لك.وان كنت صادقا يغفر الله لي.[1]

باب أهمية المهن الحرة

تمتع الأغبياء بخيرات بغداد

باب قول الحق

باب اختلاف الرأي لا يفسد للمرء قضية : حيث كتب الجاحظ فيه: «ولم ير الناس أعجب من الكميت والطرماح :وكان الكميت شعبيا من الغالية وكان الطرماح خارجيا من الصُفريّة.وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة. وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام. وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة مالم يكن بين نفسين قط. ثم لم يجر بينهما صرم ولا جفوة ولا إعراض ولا شيء مما تدعو هذه الخصال إليه. ولم ير الناس مثلهما إلا ما ذكروا في حال عبد الله بن يزيد الاباطي وهشام بن الحكم الرافضي. فأنهما صارا إلى المشاركة بعد الخلطة والمصاحبة[2].

باب عدالة الإسلام.

العوامل الخفية التي تدعو الخلفاء إلى البطش بوزرائهم.

تباين مواقف الفرد عند تباين الضروف.

استطرادات طريفة كثيرة منشورة في كتب الجاحظ في معرض الإجابة الحسنة واستطرادات في التهذيب منها قول اكثم بن صيفي (مقتل الرجل بين فكيه» يعني لسانه. ومنها قول المهلب لبنيه (اتقوا اللسان فاني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته.ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه.

---

١ - البيان والتبيين، مصدر سابق، ج٢، ص٧٨

٢ المصدر نفسه، ، ص٧٠

طرائف لغوية.

من باب التسلية.

حيث نلاحظ من هذا كله ان العلامة نوري جعفر ركز على الجوانب السيكولوجية التي تهم الناس والتي هي بمساس بنفوس الناس وحالاتهم الاجتماعية فيما يخص ما ورد في أدب الجاحظ وهذا من باب ان يستفيد الناس من التراث ويعملوا على إن يكون زينة لهم في أخلاقهم واجتماعاتهم ومجالسهم.

كما إن نوري جعفر ركز على جوانب نهضوية لأبناء المجتمع منها التركيز على الرأي وانه لا يفسد من الود قضية ومنها تباين المواقف عند تباين الضروف ومنها قول الحق والتسامح وكلها مما تدعو إليه اليوم الشرائع الدولية ولكن العلامة نوري جعفر انتبه إليها واستخلصها من أدب الجاحظ كجانب تنويري له الأثر البارز في نهضة المجتمعات.

**رابعا:** عنف الجاحظ وتجنيه: وفي هذا الباب يعتبر نوري جعفر إن تفكير الجاحظ اتصف بالعنف اللامشروع أحيانا وبالتجني. ولعنفه مضامين سيكولوجية عميقة من ناحية الجاحظ نفسه ومن ناحية من يوجه الجاحظ إليه ذلك العنف المشرب بالتأنيب. وقد تجلى ذلك بأوضح صورةحيث قال: عمرو بن بحر الجاحظ :كان احمد بن عبد الوهاب مربعا وتحسبه –لسعة جفرته واستفاضة خاصرته- وكان جعد الأطراف قصير الأصابع وهو في ذلك يدعي البساطة والرشاقة. وكان كبير السن متقاوم الميلاد وهو يدعي انه معتدل الشباب حديث الميلاد. وكان ادّعاؤه لأصناف العلم على قدر جهله بها. وتكلفه للإبانة عنها على قدر غباوته عنها.وكان كثير الاعتراض لهجا بالمراء شديد الخلاف كلفا بالمجاذبة متتابعا في العنود... وكان قليل

السماع غمرا وصحفيا غفلا لا ينطق عن فكر ويثق بأول خاطر ولا يفصل بين اعتزام الغمر واستبصار المحق... يعد أسماء الكتب ولا يفهم معانيها ويحسد العلماء من غير أن يتعلق منهم بسبب وليس في يده من جميع الآداب إلا الانتحال لاسم الأدب»[1].

وقد اعتبر العلامة نوري جعفر إن أدب الجاحظ ككل اصطبغ بالجوانب السيكولوجية واتضح باجلى الصور في رسالة التربيع والتدوير وفي كتاب البخلاء وفي رسالة القيان وفي الأقسام غير المفقودة من كتاب اللصوص ويعتبر نوري جعفر إن موضوع القيان واللصوص موضوعان ممتعان وللجاحظ رأي في كل منهما يعتبره رأي طريف وجريء وغير مألوف (بمقاييس مجتمعه وعصره وبمقاييسنا الاجتماعية الراهنة) ، ويقول إننا آثرنا أن نعالج كلا منهما على انفراد وان نترك الجاحظ نفسه يتحدث بصورة مباشرة في موضوع القيان بالذات وان يتحدث بشكل غير مباشر عن اللصوص المفقود عن طريق الذين احتفظوا بأجزاء منه. ويذكر نوري جعفر ما ذكره الجاحظ في موضوع القيان في رسائل الجاحظ. وهنا نؤاخذ المرحوم نوري جعفر على مسالة هامة حيث ذكر انه سيعالج الموضوعين كلا على انفراد في حين هو لم يعلق على أي منهما سوى اكتفى بنقل ما ذكره الجاحظ عنهما دون أن يتدخل في موضوع المعالجة كما أسلفت.سوى التعليق أيضا حيث علق على القينة بعد ويقول: «ثم يستطرد الجاحظ فيصف القينة ويحلل سلوكها وعلاقاتها الاجتماعية بالذين يقعون فريسة في شراكها ويكشف عن جوانبها السيكولوجية العميقة بشكل يثير الإعجاب

---

١ - رسالة التربيع والتدوير وبخاصة ديباجتها ص٥- ٦

والاستغراب»[1]. بالتالي يستكمل ما يذكره الجاحظ في هذا الموضوع إذن نوري جعفر اكتفى فقط بوصف المنقول عن الجاحظ ولم يعالجه كما ذكر.كذلك يفعل نفس الشيء مع ذكره عما كتبه الجاحظ في كتاب اللصوص ويكتفي بالتعليق والنقل دون المعالجة.

كما إن الدكتور نوري جعفر يركز على مفهوم الطرافة في أدب الجاحظ في أكثر من موضع كما مر والتسلية كجوانب مهمة سيكولوجية تؤثر في الإنسان ومنها ماذكره حول البخلاء وغيرها ومنها ما ذكره حول أطرف حيل السُّراق في الليل حيث ينقل عن الجاحظ: « عن رجل قال كنت نافذا بالأُبُلَّة لرجل تاجر فاقتضيت له من البصرة نحو الخمسمائة دينار عينا وورقا ولفقتها في فوطة وأردت السفر مساء إلى الابلة فما زلت اطلب ملاحا مجتازا في خيطية خفيفة فارغة فسألته أن يحملني فسهل علي الأجرة... وجعلت الفوطة بين يدي... وسرنا... فإذا رجل ضرير على الشط يقرا أحسن قراءة تكون...فصاح بالملاح احملني...فشتمه الملاح... فقلت يا هذا احمله فدخل إلى الشط وحمله..فلما حصل معنا رجع إلى قراءته فخلب عقلي بطيبها.فلما قربنا من الابلة.قطع القراءة وقام ليخرج في بعض الشارع إلى الابلة فلم أر الفوطة. فقمت واقفا فاستغاث الملاح وقال الساعة تقلب الخيطية وخاطبني بخطاب من لا يعلم بحالي.فقلت يا هذا كانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار.فلما سمع بكى وقال لم ادخل الشط بعد ولا لي مواضع اخبيء فيها شيئا فتتهمني بالسرقة ولي أطفال وأنا ضعيف فاتق الله. وفعل الضرير مثل ذلك فرجحت وقلت هذه محنة واخذ كل منا طريقه.. وأنا امشي وأتعثر إذا اعترضني رجل فأخبرته فقال امض إلى

---

١ - سايكولوجيا ادب الجاحظ، مرجع سابق، ص٦٢.

السجن وسل عن رجل محبوس يقال له أبو بكر البغاش فجئته فقال امض الساعة إلى بني هلال فانك تشاهد بابا شعثا فافتحه وادخله بلا استئذان وقل لمن فيه خالي أبو بكر البغاش يقول ردوا على ابن أختي الفوطة... فخرجت.. فرُدت الفوطة عليٍّ بعينها.. ورأيت الملاح وصاحبه فقلت كيف فعلتما؟ فقال الملاح أنا أدور في الشارع في أول أوقات المساء وقد سُبِقّتُ بهذا المتعامي فأجلسته حيث رأيت. فإذا رأيت من معه شيئا له قدر ناديته وارخصت عليه وحملته. فإذا بلغت القارئ المتعامي وصاح شتمته حتى لا يشك الراكب في براءة ساحتي. فان حمله الراكب فذاك. وان لم يحمله رقّقتُ عليه حتى يحمله. فإذا بلغنا الموضع الفلاني فان فيه رجلا متوقِّعا لنا يسبح حتى يلاصق السفينة وعلى رأسه قوصرة.والراكب لا يفطن له فيأخذ المتعامي الشيء الذي مع الراكب بحيلة خفية ويلقيه في القوصرة.فيأخذه هذا ويسبح إلى الشط.فإذا أراد الراكب النزول وافتقد ما معه عملنا كما رأيت فلا يتهمنا ونتفرق. فإذا كان في الغد اجتمعنا فاقتسمنا ما أخذناه.واليوم كان يوم الفسحة-فلما جئت برسالة أستاذنا سلمنا إليك الفوطة.[1] ويعلق نوري جعفر بعد نقله لهذه المسالة ولا شك في إن الجوانب السيكولوجية العميقة التي تنطوي عليها هذه الحيلة الطريفة واضحة للعيان. وفي رأينا إن هذا التعليق لا يكفي فكان من الأولى أن يوضح الجوانب السيكولوجية حول موضوع هذه الحادثة.

ويختتم نوري جعفر كتابه (الجوانب السيكولوجية في ادب الجاحظ) باقتطاف فقرات ممتعة –على حد تعبيره- ذات محتوى سايكولوجي وردت في عدد من كتابات الجاحظ ولم يعلق نور يجعفر على ماهية هذا المحتوى

---

١ - كتاب الفرج بعد الشدة، التنوخي، ص١٢٣- ١٢٥.

السايكولوجي بل اكتفى بذكر وجوده وترك للقارئ الحصيف ان يتبينه.واخر ما يذكره نوري جعفر هو رسالة في صناعات القُوَّاد: نذكرها كما وردت لدى الجاحظ: قال ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: « دخلت على أمير المؤمنين المعتصم فقلت له: يا أمير المؤمنين في اللسان عشر خصال فهو أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل بين الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به الأشياء وواعظ يعرف به القبيح ومعز يرد به الاحزان وخاصة يزهى بالصنيعة وملة الأسماع.. فخذ يا امير المؤمنين اولادك بان يتعلموا من كل ادب فانك ان افردتهم بشيء واحد ثم سئلوا عن غيره لم يحسنوه...وذلك اني لقيت حزاما حين قدم امير المؤمنين من بلاد الروم فسألته عن الحرب كيف كانت هناك.وهو صاحب خيالك. فقال-لقيناهم من مقدار صحن الاصطبل فما كان الا بمقدار ما يحس الرجل دابته حتى تركناهم في أضيق من ممرغة...

وعمل ابياتا في الغزل:

**ان يهدم الصدُّ من جسمي معالفه**

**فأن قلبي بقَتٍّ الوجدِ معمورُ**

**اني امرؤٌ في وثاق الحب يكبحه**

**لجام هجر على الاسقام معذور**

....قال سالت بختيشوع-الطبيب- عن مثل ذلك فقال :لقيناهم في مقدار البيمارستان.فما كان بقدر ما يختلف الرجل مقعدين حتى تركناهم في أضيق من محقنة.فقتلناهم فلو طرحت مبضعا ما سقط إلا على رجل.وعمل أبياتا في الغزل:

**شـــرب الوصـــل دســـبح الهجـــرِ**

**فاســتطلقَ بطــنُ الوصــالِ بالإســهال**

**ورمـــاني حـــبي بقـــولنجَ بـــينٍ**

**مُــــذهل عـــن ملامــــة العُـــذَّالِ**

قال وسالت جعفر الخياط فقال: لقيناهم في مقدار سوق الخلقان. فما كان بقدر ما يخيط الرجل درزاء حتى قتلناهم في أضيق من جُرِّبان جيب القميص.

فلو طرحت إبرة فأسقطت إلا على رأس رجل... وعمل أبياتا في الغزل...

**فتقــت بــالهجر دروز الهــوى**

**إذ وخـــزتني إبـــرة الصـــد**

**فالقلــب مــن ضــيق ســراويله**

**يعتــــبر في بابكــــة الجهــــد**

**خشـــمتني طلســـان الهـــوى**

**منك على شوزكتي وجدي ...**

الخ. الأبيات.

قال وسالت اسحق بن إبراهيم عن مثل ذلك –وكان زرَّاعا فقال: لقيناهم في مقدار جريبين من الأرض حتى قتلناهم فتركناهم في أضيق من باب وكأنهم انابير سنبل. فلو طرح فدان ما سقط إلا على ظهر جل... وعمل أبياتا في الغزل:

**زرعت هواه في كراب من الصفا**

**واسقيته ماء الدوام على العهد**

**فلما تعالى النبت واخضر يانعا**

**جرى يزفان البين في سنبل الود**

قال وسالت فرجا الراجحي عن مثل ذلك —وكان خبازا- فقال لقيناهم في مقدار بيت التنور،فما كان بقدر ما يخبز الرجل خمسة أرغفة حتى تركناهم في أضيق من حجر تنور فلو سقطت حجرة ما وقعت إلا في حفنة خباز وعمل أبياتا في الغزل:

**قد عجن الهجر دقيق الهوى**

**في جفنة من خشب الصد**

**واختمر البين فنار الهوى**

**تُذلى بسرجين من البعد**

**واقبل الهجر بمحراثه**

**يفحص عن أرغفة الوجد**

ويستمر الجاحظ بمحادثة المعتصم العباسي :قال وسالت...قال وسالت....الخ.المحادثة إلى أن يقول :

قال وسالت —أطال الله بقاءك- محمد بن داوود الطوسي عن مثل ذلك وكان فراشا فقال لقيناهم في مقدار صحن بساط مما كان إلا بمقدار ما يفرش الرجل بيتا حتى تركناهم في أضيق من منصّة فقتلناهم فلو سقطت

فخذة ما وقعت الا على رأس رجل...ثم عمل أبياتا في الغزل:

**نســج الهجــر ســاحة الوصــل لمــا**

**غــير الــيمين في وجــوه الصــفاء**

**فـــرش الهجـــر في بيـــوت همـــوم**

**نحـــــت رأس وســـــادة البرجـــــاء**

...قال فضحك المعتصم متى استلقى ثم دعا مؤدب ولده فأمره أن يأخذهم بتعليم جميع العلوم[1].

هذه بنظر العلامة نوري جعفر المعالم الكبرى للجوانب السيكولوجية في أدب الجاحظ التي هي تعبير دقيق عن الملامح العامة لسلوكه وعلاقاته الاجتماعية بالآخرين التي هي بدورها نتاج عصره ومجتمعه بعد التحليل الدقيق. والعلاقات الاجتماعية التي أشار إليها نوري جعفر لا تخلو كما يقول من الموارية والمداجاة التي تصبغ سلوك غالبية الناس في كل زمان ومكان مع اختلاف في الدرجة وذلك بفعل ضروف اجتماعية قاهرة لا سيطرة لهم عليها.وهذا يذكرنا ان الأمين قال مرة لأبي نؤاس: إذا قلت في الخصيب:

**إذا لم تزارض الخصيب ركابنا**

**فـأيُّ فتـى بعـد الخصـيب تـزورُ**

---

١ - رسائل الجاحظ، رسالة في صناعات القواد، مكتبة الخانجي، ١٩٦٢، ج١، ص٣٧٩- ٣٩٣

فماذا أبقيت لي؟ قال قولي يا أمير المؤمنين:

**إذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ**

**فأنت كما نثني وفوق الذي نثني**

**وان جرت الألفاظ يوما بمدحةٍ**

**لغـير إنسـان فأنـت الـذي نعـني**

هنالك ملاحظات ينبغي الإشارة إليها فيما يخص رؤية الدكتور نوري جعفر للجوانب السيكولوجية لأدب الجاحظ وهي كالتالي:

١-كثرة ما ذكر عن الجاحظ مما ورد في كتبه من إشارات ولكن نوري جعفر لم يدخل في تفاصيل وشرح ما ورد وإنما أشار إليه فقط مثلا :ذكر في ص٢٨ من كتابه سيكولوجيا أدب الجاحظ ما ذكره الجاحظ حول ظاهرة النشوء والارتقاء وذكر كلام الجاحظ دون التعليق عليه.

٢- إننا ذكرنا النصوص التي وردت في كتب الجاحظ والتي أوردها نوري جعفر ظنا منا ان تكون ذات فائدة للمتلقي ، لان الدكتور كان قد انتخب أهم ما كتبه الجاحظ من الناحية السيكولوجية لكي يستفيد منها المتلقي لذلك ارتأينا تثبيتها دعما للفائدة.

٣- استخراج النصوص الجاحظية وتسليط الجوانب السيكولوجية عليها وترك القارئ استنباط ماهية شرح بعض الجوانب هو جزء من جانب تشغيل الفكر الذي أراده العلامة جعفر للمتلقي أي انه انار له الطريق فيما يخص مثلا مسالة الفراسة لدى الجاحظ كجانب سيكولوجي وذكر النص ولكن ترك المتلقي فلسفة الفراسة فيما

جاء ذكره عند الجاحظ ولم يعلق عليه نوري جعفر.

٤- التركيز على الجانب التنويري من التراث وهذا هو الملاحظ حيث نرى استخراج النصوص التي تخص اهتمام الجاحظ كعربي ومسلم بالكتب وأهميتها التنويرية ، كذلك اهتمامه بذكر السياسة وكيفية استخدامها من قبل الحكام كذلك البلاغة في كلام العرب ، التعليم والجوانب التنويرية التي يقدمها التعليم للمجتمعات ، الصمت والكلام كجوانب ديالكتيكية ركز على مفاهيمها الجاحظ وعرض لها نوري جعفر كجوانب نهضوية من التراث ، سعة الاطلاع ومحبة الكتب وقراءتها ، جوانب ذكرها الجاحظ وسلط عليها الضوء نوري جعفر بالإضافة إلى جوانب وصف الكتاب التي تطرقنا إليها ، إحاطة الجاحظ بالأسس العلمية للمفاهيم النفسية (السيكولوجية) إذن يتبين إن رؤية نوري جعفر لم تقتصر فقط على الجوانب السيكولوجية في أدب الجاحظ بل استطيع تسميتها (الجوانب السيكولوجية التنويرية في أدب الجاحظ).

حيث إن هذه الجوانب كان فيها قدر من التنوير وبعثه وإمكانية الاستفادة منه واستخدامه في نهضة المجتمعات سيما :

* الكتب ووصفها.
* اقتناء الكتاب وسعة الاطلاع أي الثقافة بما تشمل من مفاهيم.
* الإحاطة بالأمور
* التعليم وأثره في تقدم المجتمعات
* اهتمامه بالسياسة وكيفية إدارة البلاد ووصف للسياسيين بما يشبه ما وصفه المفكر الايطالي مكيافيللي وكما فصلنا الموضوع في البحث.

٥- اختيار الجاحظ من قبل د.نوري جعفر لقراءة سيكولوجية كهذه

يجعلنا نتساءل لماذا تم اختيار الجاحظ دون غيره والإجابة ضمنية عبر عنها نوري جعفر من خلال وصفه لفكر الجاحظ وسايكلوجية فكره وشخصيته مما يدلل على إن الجاحظ ثاقب التفكير، نافذ البصيرة ومفكر من طراز خاص ويؤكد نوري جعفر على أهمية الجاحظ ليس فقط من خلال كتابه/ سيكولوجيا أدب الجاحظ بل من خلال كتاب أخر كتب بهذا الصدد بعنوان/ كتابان بين الجاحظ وجورج برنارد شو وجائزة نوبل، مما يدلل على جمالية فلسفة وفكر الجاحظ.

٦- رؤية نوري جعفر للتاريخ تكاد تنطلق من النقاط التالية والتي من خلالها برهن نوري جعفر على أهمية فكر الجاحظ وقدرته على مواكبة حتى العصر الحديث وهذه النقاط نستطيع إيجازها بالشكل التالي/

## أولا/ تقسيمه لتفسير التاريخ إلى أربعة تقسيمات[١] :

التفسير الجغرافي للتاريخ.

التفسير الروحي للتاريخ.

التفسير المادي للتاريخ.

التفسير الدوري للتاريخ.

ويكاد يكون تفسير نوري جعفر لأدب الجاحظ تفسيرا غير خاضع لما تطرق إليه من تفاسير وهو التفسير العقلي للتاريخ والأقرب من المفاهيم

---

١- وردت في كتاب التاريخ مجاله وفلسفته، نوري جعفر، الطبعة الثانية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٧، ص

أعلاه لما ذهب إليه نوري جعفر من تفسير لأدب الجاحظ هو التفسير الروحي للتاريخ الذي اتضح بأوضح أشكاله عند هيغل الفيلسوف الألماني حيث إن لتفسير التاريخ لدى هيغل صلة وثقى بفلسفته العامة ونظرته للكون والمجتمع والإنسان.وهكذا فلسف أدب الجاحظ انطلاقا من تفسير للتاريخ يشمل نظرة للكون والمجتمع أي نظرة روحية.

**ثانيا/ إن كتاب سيكولوجيا أدب الجاحظ هو بحث تاريخي يناقش أدب الجاحظ سيكولوجيا اعتمادا على مجالات ثلاث هي/**

طبيعة العصر الذي عاش الجاحظ فيه.

طبيعة المجتمع الذي انتمى إليه الجاحظ.

عوامل شخصية مزاجية تتصل بالجاحظ.

وقد ناقش نوري جعفر المجالين الأول والثاني قليلا جدا أما الجانب الثالث فقد ناقشه بإسهاب كبير وواضح لكي يعكس الجوانب السيكولوجية في أدب الجاحظ.فالجاحظ خضع للعوامل التي تتصل بعصره ومجتمعه وشخصه والعوامل المتصلة بشخصه وان كانت دون شك آتية من العصر والمجتمع ، ألا أنها تتفاوت في أثرها حسب تفاوت الأشخاص في تكوينهم (الوراثي والبيئي) ونعني بالعوامل التي تتصل بشخص الجاحظ نوع الثقافة التي حصل عليها ودرجتها وظروفها الاجتماعية ومركزه الاجتماعي وجميع العوامل النفسية التي تميزه عن غيره.

كما ان نوري جعفر يصنع مقارنات مهمة بين الجاحظ والكاتب البريطاني الساخر جورج برناردشو الذي عاش في القرن العشرين ويعتبر ان

بينهما تشابه وفق المستوى الاجتماعي اي صفات المجتمع الذي نشا فيه كل منهما ومواقفهما المتماثلة حيث يعتبر نوري جعفر ان الفترة التي عاش بها الجاحظ الواقعه بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين هي فترة تحول اجتماعية كبيرة وكذلك الفترة الزمنية التي عاش بها جورج برناردشو والتي هي نهاية القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين الميلادي والقضيايا الاجتماعية الكبرى الملحة المشتركة بين المجتمعين في الفترتين التاريخيتين المتباعدتين فهي نابعة بنظر الجاحظ وبرناردشو من قضية الانسان من حيث موقعه الفعلي بالمجتمع ومدى تمتعه بحرياته الاساسية وشعوره بالامن والطمانينة[1] واما ابرز المقارنات التي يوجدها بينهما فيمكن تلخيصها بالشكل التالي:

١- الاسلوب التهكمي الساخر الذي يعتمده كل منهما.
٢- تفسير حقائق التاريخ الاجتماعي المرة تفسيرا واقعيا يتصف بالطرافة والاناقة الفنية لدى كل منهما.
٣- عاش الجاحظ في الفترة التاريخية المسماة بالعصور الاوربية الوسطى التي كان يطغى بها الحكم الفردي المطلق اي الذي يجمع السلطتين الدنيوية والدينية «حق الملوك الالهي المقدس» The Divine Right of Kings حيث شهد منذ ميلاده وحتى وفاته جميع احداث الدولة العباسية منذ عهد المهدي حتى عصر المعتز والفترة هذه مفعمة بالتناقضات السياسية والصراعات بين جهات متعددة. منها بين العباسيين والعلويين.

---

١ - نوري جعفر، كتابان بين الجاحظ وجورج برناردشو وجائزة نوبل، دار الشؤون الثقافية العامة، الموسوعة الصغيرة، بغداد، ١٩٩٠، ص٨.

اما فترة عصر برناردشو فقد امتازت بفظائع الاستعمار البريطاني لايرلندا وللهند ومصر وغيرها من الدول ، كما شهد جورج برناردشو الصراع المرير بين كبار الساسة البريطانيين للاستئثار بالسلطة بين حزب الاحرار والمحافظين وشهد تزوير انتخابات اعضاء مجلس العموم والتفاوت المريع بين المواطنين بالثروة والجاه والنفوذوشهد كذلك ماسي الحربين العالميتين الاولى والثانية وشهد انهيار الامبراطورية البريطانية وقيام الحركات التحررية وساند تلك الحركات بقلبه ولسانه وقلمهوشهد التطور التكنلوجي والعلمي[1].

٤- اعتنق الجاحظ مذهب الاعتزال في مقتبل عمره وتلقى تعاليمه من خلال النظّام وثمامة بن اشرس واشاد بمبدا العدالة الاجتماعية في المجال السياسي كما اشاد بقواعد الحكم الصالح الذي يحول دون ظهور خليفة مستبد طائش ، اما جورج برناردشو فقد انتمى وهو في مقتبل حياته الى طائفة من رجال الفكر البريطانيين منذ عام ١٨٨٠م واشترك معهم في الجمعية الفابية وبعد ١٦ عام اندمجت بحزب العمال البريطاني واصبحت الجمعية تمد الحزب بمعطياته الايولوجية ولكن برناردشو سرعان ما اكتشف التناقض بين الاقوال والافعال لدى قادة الجمعية فاستقال منها عام ١٩٢٢م وندد بها وبحزب العمال.

٥- اتصفت كتابات الجاحظ بالمفارقات والتناقضات وبالتهويل والقدرة على تصغير الشيء العظيم بحيث يراه المرء ضئيلا متهافتا وعلى تعظيم الشيئ الضئيل بحيث يبدو عظيما عملاقا وله القدرة ايضا

---

١ - المصدر السابق نفسه، ص٢٦

على ابتكار شخصيات وهمية وخيالية يخلع عليها اسماء مضحكة ووضع على لسانها معالجة قضايا اجتماعية خطيرة ليدرأ عن نفسه العتاب وهذا واضح في رسالته الموسومة «في صناعات القواد» والتي تناولناها فيما سبق وتناول فيها وفي عدد من الرسائل امور اجتماعية على جانب كبير من الاهمية وعبر فيها بلغة تجمع بين الجد والهزل والتهكم عن مواقف غريبة غير مستساغة بنظر غيره ليتفادى تحمل تبعة ما تنطوي عليه تلك الرسائل من استهانة بالالتزامات الاجتماعية المتاصلة ، فعزاها الى غيره ، وعند العلامة نوري جعفر ان الجاحظ كان يريد ان يحقق غرض اجتماعي واحد هو تجسيد جوانب التردي في المجتمع الذي عاش فيه.اما جورج برناردشو فقد كرس اكثر من ٧٠ عاما من حياته في الكتابة في اهم قضايا عصره ومجتمعه السياسية والاقتصادية والايدولوجية كما ناوأ في كتاباته جميع مظاهر التفاوت الاجتماعي بين المواطنين في الداخل وكان شديد الوطاة على الاوساط الحاكمة وطواغيت الاحتكارات واعتبر الساسة البريطانيين من مختلف الاحزاب «تجار شعارات ايدولوجية يتلاعبون بمشاعر الناس عن طريق الدجل والتمويه بعبارات فارغة طنانة. ايضا امتاز باسلوبه الساخر وخلطه الجد بالهزل الى درجة الانصهار –كسلفه الجاحظ- ومن الملاحظ ايضا ان الشخصيات التي يتحدث عنها شخصيات سلبية قلقة تتصف بالخبث والرذيلة والبلادة والتعصب الذميم وضيق الافق وبالافتقار الى المشاعر الانسانية وغرضه من ذلك على ما يبدو –كغرض سلفه الجاحظ-

ان يستثير مشاعر المقت والاشمئزاز لدى القارئ تمهيدا لتهيئة ذهنه لقبول المبادئ الاخلاقية الساميه والعمل وفق مستلزماتها.[1] ولقد اثار الاسلوب التهكمي الساخر الذي استخدمه جورج برناردشو عند معالجته قضايا اجتماعية محلية ودولية مهمة استغراب فئة من الكتاب البارزين الذين عاصروه وفي مقدمتهم تولستوي الذي عاتبه برسالة عبر فيها عن دهشته من هذا الاسلوب الادبي غير المالوف وغير المتوقع فقال :على المرء الا يتحدث عن قضايا اجتماعية جدية باسلوب هزلي مضحك ساخر كما تفعل انت يا جورج برناردشو وعليك ان تكف عن ذلك لتتبوأ مكانتك الادبية المرموقة. وهنا يعلق العلامة جعفر قائلا: « وقد فات تولستوي ان استخدام جورج برناردشو هذا الاسلوب هو الذي بؤأه مكانته الادبية المرموقة على الصعيدين المحلي والعالمي على حد سواء»[2]

٦- واستمر جورج برناردشو كسلفه الجاحظ حتى الرمق الاخير من حياته التي امتدت القرن محتفظا بفكره الثاقب الاصيل وبقدرته العجيبة على السخرية اللاذعة واالتهكم الملحوظ وعلى خلط الجد بالهزل الى درجة الانصهار وعلى اهتمامه المنقطع النظير بقضية الانسان والرنو نحو تحقيق مبدا العدالة الاجتماعية بين الناس في كل زمان ومكان وعلى مقارعة الاستبداد والظلم والتعصب بجميع اشكاله و مختلف الدرجات.

٧- كلا التراثين للجاحظ وبرناردشو هي باقية ببقاء البشرية والانسانية

---

١ - المصدر السابق نفسه، ص ٥٦

٢ - المصدر السابق، ص٥٩

اي حقق كلاهما مبدا الخلود.

٨- كل منهما امن بقضية الانسان ودافع عنها بحرارة ولجاجة بشكل مباشر مكشوف وبشكل غير مباشر وضمني.

٩- وكل منهما واصل الكتابة والتاليف حتى الرمق الاخير من حياته التي تجاوزت القرن.

١٠- كل منهما تحدى الزمان والمكان في اصالته الفكرية وفي مواقفه الجرئية الرامية الى تحقيق العدالة الاجتماعية التي تكلمنا عنها.

١١- كل منهما احب الكتب واقتناها وقرأها حتى وهو على فراش الموت.

**ثم انقضت تلك السنون واهلها**

**فكأنهـــا وكـــأنهم احـــلام**

بالنتيجة فان العلامة الدكتور نوري جعفر قد أنتج فلسفة فيها من الرؤى السيكولوجية الشيء الكثير حول شخص وأدب الجاحظ مما سيساهم بقراءته أكثر للمهتمين في جوانب تنوير التاريخ ، إن العلامة نوري جعفر هو شخصية موسوعية امتزجت فيها من الرؤى الإنسانية والفلسفية والسيكولوجية الشيء الكثير حتى استطاع ان يبرهن على أهمية التراث من خلال هكذا قراءات تنويرية نهضوية رائدة.

## ثانيا/ سايكولوجية رسائل اخوان الصفاء /

ان ما ورد لدى المفكر نوري جعفر فيما يخص الاراء النفسية والسايكولوجية بمعناها الادق والاكثر تخصصا ، الذي ينصب في تفسير طبيعة الحياة العقلية المرتبطة بالدماغ التي وردت في رسائل أخوان الصفا وقد لخص

الدكتور نوري جعفر الآراء التربوية النفسية المتوخاة من تلك الرسائل بما يلي:-

١- رأي إخوان الصفا بأهمية نشاط الإنسان العقلي في مغالبة الطبيعة وجهوده في المحافظة على وجوده البايولوجي والاجتماعي والدور الذي تطلبه الأدوات المصنوعة في تقدم الحياة الاجتماعية وقد ذكر أخوان الصفا هذه الأمور بما نصه« واعلم يا أخي بأن من هذه الصنائع ماهي بالقصد الاول دعت الضرورة إليها ومنها ماهي ضرورة تابعة لها وخادمة.... إلى أن يقولوا وذلك أن الإنسان لما خلق رقيق الجلد عريانا من الشعر والصوف والوبر والريش وما هو موجود لسائر الحيوانات دعته الضرورة إلى اتخاذ اللباس بصناعة الحياكة»[1].

٢- رأيهم في دماغ الإنسان ووظائفه السيكولوجية

«واعلم يا أخي أن للنفس قوى كثيرة وأن لها بكل قوة في كل عضو من أعضاء الجسد فعلاً بخلاف عضو آخر... إلى أن يقولوا.. وذكرنا فيها – أي في النفس- إن لها خمس قوى نسبتهن إليها كنسبة الندماء الى الملك وهي القوى المفكرة والمتخيلة والحافظة والناطقة والصانعه»[2] وقد اعتبر نوري جعفر انه لو استبدل أخوان الصفا كلمة "النفس" بكلمة "الدماغ" وبمصطلح "القوى الحساسة" بمصطلح "أعضاء الحس" أوالمحللات بتعبير بافلوف وبمصطلح "القوى المفكرة والمتخيلة والحافظة والناطقة" بمصطلح "الوظائف والعمليات العقلية أوالمخية العليا" لما اختلفت وجهة نظرهم عن

---

١ - الجزء الثاني، رسائل اخوان الصفاء.

٢ - رسائل أخوان الصفا، ج ٣، ص٢٤١ – ٢٤٢.

وجهة النظر العلمية الحديثة[1] ، هذه المقاربة الفكرية التي يستلها الدكتور نوري جعفر كان سباقا بها على مستوى قراءته للتراث قراءة فكرية متجذرة وحداثوية فهو يقرأ رسائل إخوان الصفا قراءة إنسانية ويترجم هذه الرسائل بما ورد فيها من مصطلحات قديمة بما يلائمها من مصطلحات جديدة ويعطي رأيا واضحا فيها لا غبار عليه وبالنتيجة يعطيها حقها الأكيد في عظمة هذا التراث الإنساني الذي عبر عنه برسائل إخوان الصفا.

٣- ما حملته رسائل إخوان الصفا من نشوء المدركات العقلية من ناحية محتواها الاجتماعي ومن ناحية أساسها الفسلجي عبارات في منتهى الدقة العلمية بالمقاييس العلمية الحديثة وقد وردت بشأن تكوين تلك المدركات من الناحية الاجتماعية العبارات التالية:

(وأعلم يا أخي بان الحكماء لما نظروا إلى الموجودات فأول ماراوا الأشخاص مثل زيد وعمر وخالد ثم تفكروا فيمن لم يروه من الناس الماضين والغابرين جميعا فعلموا أن كلهم تشملهم الصورة الإنسانية وإنما اختلفوا في صفاتهم من الطول والقصر)[2]. كما كتب إخوان الصفا في رسائلهم بصدد الأسس الفسلجية لنشوء المدركات الحسية والأفكار والصور الراهنة الحية والمجردة مايلي:و اعلم يا أخي أنه إذا أوصلت القوة المتخيلة

---

١ - أ - الفكر – طبيعته وتطوره فص ٣ ص ١٢٣- ١٩٩- الوظائف العقلية العليا / منشورات الجامعة الليبية / ١٩٧٠»

ب- اللغة والفكر – نوري جعفر – الرباط – مطبعة التومي – ١٩٧١ فص١، ص٣٩.

٢- ج١ رسائل إخوان الصفا ص ٤٠٥- ٤٠٨

رسوم المحسوسات الى القوة المفكرة بعد تناولها من القوى الحساسة وغابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها بقيت الرسوم في فكر النفس المصورة صورة روحانية ، ولمثال في ذلك إن الإنسان إذا دخل مدنية من البلدان وطاف في أسواقها ومحالها وعاين طرقاتها ثم خرج منها وغابت مشاهدة حواسه لها فأنه كلما فكر في تلك المدينة و ما شاهد فيها تخيلها كأنه يراها معاينة على مثل ما كان شاهد في وقت كونه فيها وعلى هذا القياس حكم سائر المحسوسات واعلم يا اخي انه اذا حصلت رسوم المحسوسات في جوهر النفس فان اول فعل القوة المفكرة فيها تاملها واحدة بعد واحدة لتعرف معانيها وكيانها وكيفياتها وخواصها ومنافعها ومضارها ولهذه القوة المفكرة في معلوماتها المحفوظة افعال اخرى ذكرنا طرفا منها في رسالة المنطق وطرفا اخر في رسالة الموسيقى وطرفا اخر في رسالة الانسان عالم صغير وان جوهر النفس لا تتزاحم فيها الصور بل تجمع في واحدة كما تلتقي الخطوط في مركز الدائرة في نقطة واحدة وكما تلتقي صور المرئيات كلها مع اختلاف اجناسها في المراة وفي الحدقة التي هي نقطة من العين»[١] وهذه ملاحظات قيمة بما يُسميه علماء النفس المعاصرون "الإدراك الحسي" Perception والادرااك العقلي Conception أي نشوء الانطباعات في ذهب الإنسان على هيئة صور ذهنية حسية Images ومدركات عقلية Concepts،

وهنا تأتي المقاربة الفكرية فيما يخص مسألة الإدراك الحسي لدى إخوان الصفا الذي تناولوه في رسائلهم حيث أن ملاحظات إخوان الصفا لا

---

١- نقلا عن نوري جعفر، الابداع واليات الدماغ في التراث السايكولوجي عند العرب كما ورد في رسائل اخوان الصفا، مقال منشور في مجلة افاق عربية، العدد٦، السنة الثالثة، شباط١٩٧٨م، ص٥٣

تختلف من حيث المبدأ الآراء التي توصل إليها بياجيه عالم النفس السويسري المشهور كما إن الملاحظات أنفة الذكر وثيقة الارتباط بمبدأ الترابط المعروف في علم النفسِ Association ولها صلة بوحدة عمل الدماغ باعتباره عضواً واحداً يمارس عمليات عقلية متعددة رغم تخصص مناطقه كما أن ملاحظات أخوان الصفا في هذا المجال لا تختلف من حيث الأساس عن الآراء الحديثة بصدد تطور المعرفة عند الفرد في مجرى حياته منذ الطفولة حتى سن الرشد هذا التعاطي الجميل مع التراث استخدمه المفكر نوري جعفر ويكاد إن يكون هو السباق فيه وهذا تعاطيه يذكرنا بسؤال اقترحه المفكر علي حرب قائلاً: كيف أتعاطى مع تراثي الإسلامي بطريقة حديثة بحيث أقراه قراءة منتجة تتيح لي تحديث معرفتي بالعالم بقدر ما تتيح لي الانخراط في المشكلات الفكرية لعصري؟ وهذا ما اعتقده في قراءة الدكتور نوري جعفر للتراث فهو يأتي بالتراث ليقرا قراءة جديدة وفي ضوء مفاهيم العصر وهذا ما يفعله في تتبعه لرسائل أخوان الصفا فالاعتقاد الصحيح أن الإنتاجية الثقافية التي عليها أن تنطلق من التراث الإسلامي للتفاعل مع الحداثة عليها إن تكون منفتحة متحررة من اسرالتفاسير المنغلقة وتتعاطى مع حركة الثقافات وتموجاتها المتحركة بعقلية أنفتاحية عصرية وهذا ما فعله الدكتور نوري جعفر حيث انه استلهم التراث لاعادة قراءته في كتابات جديدة يستفيد منها الجيل الصاعد.كما أهتم العلامة نوري جعفر بملاحظات أخوان الصفا المرتبطة بالتربية – محور اختصاصه ومنها:-

١- ما ورد بصدد رعاية الحامل حفظاً لصحتها و صحة الجنين ومنشا الطفل للاستعداد للتربية العبارات التالية :-وقد تبين مما ذكرنا إن مكث الجنين في الرحم تسعة أشهر أنما لكي تتم البنية وتستكمل

الصور وقد أوصى الأطباء الحوامل من النساء بالرفق بأنفسهن في حركتهن وتصرفاتهن باعتدال وبوسائط بلا إفراط و لا تقصير كي يسلم الجنين من الآفات العارضة هناك ويخرج الطفل سالما إلى هذه الدنيا[1] وورد بشأن اثر البيئة في نشوء الحياة العقلية عند الفرد وحول أهمية التعليم المبكر مايلي:- «اعلم إن مثل أفكار النفوس قبل إن يحصل فيها علم من العلوم واعتقاد من ألآراء كمثل ورق ابيض نقي لم يكتب فيه شيء فإذا كتب فيه شيء حقاً أو باطلاً فقد شغل المكان ومنع إن يكتب فيه شيئاً آخر ويصعب حكه أو محوه فهذا حكم أفكار النفوس..إلى إن يقولوا..و لكن عليك بالشباب سالمي الصدور الراغبين بالأدب المبتدئين بالنظر في العلوم واعلم إن كل نبي بعثه الله فأول من كذبه مشايخ قومه»[2].

وهنا اعتبر الدكتور نوري جعفر ان هذه عبارات طريفة وبالغة الأهمية من الناحية التربوية وقد أشار إخوان الصفا إشارة صريحة عميقة إلى نشوء الأفكار عند الفرد باعتبارها انطباعات بيئية اجتماعية المحتوى والمنشأ ولو استعاضوا عن تعبيرهم «أفكار النفوس» بكلمة «الدماغ»لما أختلف رأيهم عن الرأي العلمي السائد في الوقت الحاضر وقد سبقوا جون لوك بتشبيههم الدماغ او العقل بتعبير لوك بورق ابيض نقي Tabulate Rasaسبعة قرون وافتراض لوك هذا علمي وتقدمي.

٢- كما اعتبر نوري جعفر إن رأي إخوان الصفا لا يختلف عن الرأي

---

١ - رسائل اخوان الصفا – ج٢، ص٤٤٢ – ٤٤٣.، نقلا عن المرجع السابق.

٢- وردت في ج٤ ص ٥١- ٥٢ من رسائل إخوان الصفا

العلمـي الحـديث الآ في كـونهم اعتبروا الـدماغ أداة سـلبية استسـلامية Passive تنطبع فيها الآثار البيئية كما ينطبع الشـمع السائل في أصابع الإنسان مثلاً في حين إن الدماغ أداة فسلجية نشطة Active .

٣- مـا ورد في القـدرة الحسـنة والأثـر العميـق الـذي يتركـه في سـلوك الطفل تصرف المشرفين على التربيـة في الأسـرة وخارجها و حـول أمعـان الفكـر في مـادة الدراسـة ومبـدأ الـتعلم بالعمـل الـذي قـال بـه جون ديوي يقول إخوان الصفا:-

«وأعلم بان العـادات الجارية بالمداومـة فيها تقوي الأخـلاق المشـاكلة لهـا كمـا إن النظـر يقـوي الحـذق والرسـوخ فيهـا..الى أن يقولـوا والمثـال في ذلـك أن كـثيرا مـن الصـبيان إذا نشـأوا مـع الشـجعان والفرسـان وأصحاب السلاح وتربوا معهم تطبعوا بـأخلاقهم وصـاروا مثلهم وعلـى هذا القياس يجري حكـم سـائر الأخـلاق والسـجايا التـي ينطبـع عليهـا الصبيان منذ الصغر بأخلاق الآباء والأمهات أو الأخوة والأخوات»[1].

٤- فيما يتصل بانفتاح الذهن والنقد الذاتي (بالتعبير الحديث) وهـو مـا تطمح التربية المعاصرة إلى تحقيقـه _علـى حـد تعبير العلامـة نـوري جعفر _ جاء لدى إخوان الصفا :- «فاعلم إن الحق في كـل ديـن موجـود وان الشـبهة دخولها علـى كـل لسـان جـائز ممكـن فـلا تمسـك بما أنـت عليـه مـن دينـك ومـذهبك واطلـب خـيرا منـه فـأن وجـدت فـلا يسـعك الوقـوف علـى الادون ولكـن عليـك الأخـذ بـالاخير الأفضـل والانتقـال إليـه ولا تنشـغلن بـذكر عيـوب مـذاهب النـاس ولكن أنظر هل لك مذهب بـلا عيـوب وأعلم إن الإنسـان العاقـل

---

١ - رسائل أخوان الصفا ، ج١ ، ص٣٠٧.

قد تخفى عليه عيوب مذهبه كما تخفى عليه مساوئ أخلاقه»[1]
هذه العبارات تذكرنا بالمبدأ الذي اختطه الدكتور علي الوردي بصدد تفريقه بين المثقف و المتعلم حيث يعتبر الوردي إن المثقف هو القادر على تغير أفكاره إذا ورد له عدم جدواها إما المتعلم فهو متمسك بما ورثه من علم غير قادر على تغير أفكار و أن صح له إنها غير صحيحة وهذه العبارات التي وردت لدى إخوان الصفا يقول عنها المفكر نوري جعفر بأنها أكثر دقة وجراءة من العبارات المماثلة التي كتبها جون لوك –الفيلسوف البريطاني – (١٦٣٢-١٧٠٤) في رسالته الرائعة " التسامح " وللأفكار التي تحملها مضامين اجتماعية واسعة المدى وعميقة الغور كما إن عبارات الأخوان قد تم ذكرها في رسائلهم بمواضع أخرى ومنها :-

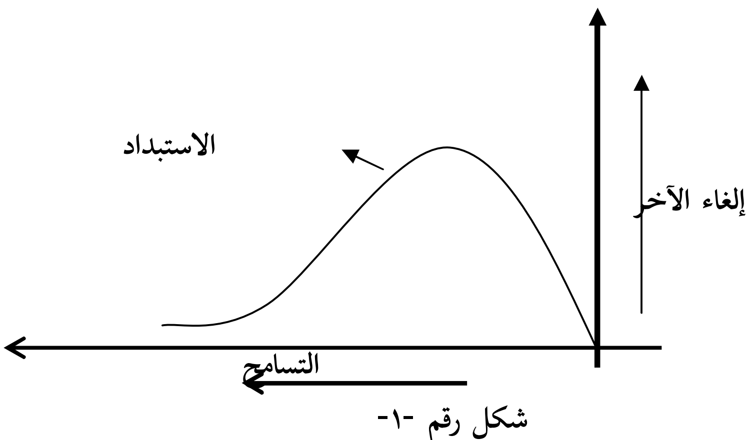
«وبالجملة ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى إن لا يعادوا علماً من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتب ولايتعصبوا على مذهب من المذاهب»[2].

أي إنهم ضد التعصب الاعمى لا ضد اعتناق الآراء والمبادئ المعقولة والإنسانية. وهذه المسألة تقودنا إلى فهم معاني التسامح التي تعتبر من المسائل المهمة لمكافحة الاستبداد وأجدر الركائز الأساسية للوقوف بوجه الاستبداد والشكل التالي يوضح كيف ان الاستبداد يزداد بازدياد مفهوم إلغاء أللآخر ويتناقص بزيادة مفهوم التسامح:-

---

١ - نقلا عن نوري جعفر، الابداع واليات الدماغ في التراث السايكولوجي عند العرب كما ورد في رسائل اخوان الصفا، مرجع سابق.

٢ رسائل اخوان الصفا.




شكل رقم -١-

كما بين الدكتور نوري جعفر مزية خاصة أخرى من مزايا أخوان الصفا ألا وهي دعوتهم إلى الوقوف بحزم ضد الآراء الفاسدة بما نصه «واعلم يا أخي إن الآراء الفاسدة كثيرة وان أهلها جم غفير وان اضرهم على العلماء من إذا سئلوا عن أشياء هي موجودة مقدرة بين الناس معروفة ومشهورة عند الحكماء لايحسنون إن يجيبوا عليها بل يخوضون في طغيانهم وجها لاتهم ويكتبون في إبطالها المقالات المزخرفة ويعارضون بها الحكماء والعلماء ويشنعون عليهم»[1].

وقد اعتبر نوري جعفر ان هناك جهات متنفذة تمد اصحاب الخرافات بالمال وهي ما تفعله أيضا في الوقت الذي عاش فيه نوري جعفر الجهات الإمبريالية والرجعية الضالعة في ركابها لنشر الخرافات والحيلولة دون انتشار العلم والثقافة التقدمية.

١- المصدر السابق.

كما أن الدكتور نوري جعفر برهن على موضوعيته الجامحة والقوية في صدد ما ذكرهُ عن إخوان الصفا حيث يقول إن الملاحظات التي أبديتها بصدد آراء إخوان الصفا في مجال التربية وعلم النفس هي جوهرها ملاحظات عابرة رأيت إن أثبتها في موضوعها ولهذا أعدها مباحث قابلة للتجريح والتعديل على يدي أو يد غيري من رجال التربية وطلابها كذلك بين الدكتور نوري جعفر بأن العلاقة بين الحاضر والماضي يجب أن تكون إيجابية وإن الاهتمام بالماضي يجب أن لا يكون مفرطاً أو منصباً على جوانبه السلبية وتجسيدها تجسيدا عاطفيا جامحاً باعتبار أن الحاضر هو نتاج الماضي ، فالحاضر ليس مجرد الزمن الذي يأتي في أعقاب الماضي ولا هو وليدهُ بل هو الحياة في حركتها الصاعدة المتدفقة إذ تترك الماضي وراءها أي الحاضر ليس مرده إلى الماضي بل إلى الحياة التي يعتبر الماضي بعض تعبيراتها فلابُد أن يكون الحاضر وحدة منطلق التربية وعلم النفس ، الحاضر بمشكلاته وإمكانياته وأن يصار إلى الماضي بمقدار تعلقه بالحاضر وان يكون الاهتمام مركزاً على الجوانب الايجابية من التراث وتطويرها وإثرائها وفق مستلزمات المرحلة التاريخية الراهنة والمستقبل أيضاً أذن الدكتور نوري جعفر ساهم إلى حد بعيد في وضع علاقة تناسب ايجابية بين الماضي والحاضر ان يكن فيها اهتمامٍ بالماضي بالقدر الذي يسهم في تطوير الحاضر كما نرى اليوم حيث ان الماضي الذي يسهم في تدمير الحاضر وإرجاعه كي يكون بمستوى الماضي على الرغم من اختلاف البيئة والأزمنة أنا في تصوري أن تركيز الدكتور نوري جعفر على الجوانب المشرقة في الماضي هو محاولة منهُ لقراءة جديدة لفحوى ما ورثناه وبالنتيجة أثراء الساحة الحاضرة للمقتنيات الثمينة وهذه النظرة الى الماضي على ان الحاضر هو نتاجه هي نظرة كورنيليوس كاستيورياديس حول ضرورة تحسين صورة الماضي من خلال العمل الجيد في الحاضر لان الحاضر سيكون في يوم

ما ماضيا وبالنتيجة سيكون ماض عظيم وزاد كورنيليوس على ذلك من خلال النظرة الى المستقبل حيث لم يرد في المصدر الذي يتكلم فيه نوري جعفر حول علاقات الماضي بالحاضر اي رؤية لعلم استشراف المستقبل ونحن نتسائل حول هذه المسالة حيث يذكر الدكتور نوري جعفر في مقال له بعنوان «التربية والمجتمع المنشود» حول هذه المسالة: فلا بد اذن من ان يكون الحاضر بمشكلاته وامكانياته ومطامحه منطلق التربية وان يصار الى الماضي بمقدار تعلقه بالحاضر وان يكون الاهتمام منصبا على جوانبه الايجابية وتطويرها وفق مستلزمات الضروف المحلية والدولية الراهنه)[1] وانا اقول لو كان قد قال المفكر نوري جعفر وتطويرها وفق علم استشراف المستقبل والنظرة الى المستقبل ولكن نوري جعفر لم يتطرق اصلا الى اية كلمة تدل على علم استشراف المستقبل وهنا في الاعتقاد ان الدكتور نوري جعفر قد ركز على جوانب الماضي والحاضر في كتاباته واهمل المستقبل والعمل على التحضر له وهذا ما تناوله في نتاجه تاسيس المجتمع تخيلياوالدليل واضح فيما ذكر من مقارنات بين ما ورد في رسائل أخوان الصفا وما ورد على علماء النهضة الأوربيين ، وبصدد تعذر تكلم الحيوانات بلغة الانسان وافتقارها الى الفكر والابداع وكون لغة الحيوانات لا تخرج عن دائرة الاصوات المبهمة التي تعبر عن حالات انفعالية انية ذكر نوري جعفر النص التالي:

وقد ورد في رسائل الاخوان ، الجزء الثالث ، ص١١٤-١١٥.«اعلم يا اخي ان الكلام هو صوت بحروف مقطعة دالة على معان مفهومة من مخارج مختلفة... ثم اعلم ان الكلام الدال على المعاني مخصوص به عالم الانسان ،

---

١ - نوري جعفر، مقال التربية والمجتمع المنشود، مجلة افاق عربية، العدد ٧، اذار، ١٩٧٦م

والحيوان لا يشرك الانسان فيه من الجهات المنطقية والعبارات اللفظية لكن من جهة الحركة الحيوانية والالة الجسمانية والحاجة فيها الى ذلك لانك تجد كثيرا من الحيوانات تريد باصواتها دفع المضار وجلب المنافع تارة لانفسها وتارة لاولادها». وحول تدرج الطفل في فهم اللغة المنطوق بها ثم المدونة وحول النمو المتدرج لاعضاء الحس كتب اخوان الصفا النص التالي «واعلم ان فهم القراءة والكتابة ومعرفتها متاخرة عن فهم الكلام والاقاويل كما ان فهم الكلام والاقاويل ومعرفتها متاخرة عن فهم المحسوسات... وذلك ان الطفل اذا خرج من الرحم فانه في الوقت نفسه والساعة تدرك حواسه محسوساتها فيحس بالقوة الملامسة الخشونة واللين وبالقوة الباصرة النور والضياء وبالقوة الذائقة طعم اللبن وبالقوة السامعة الاصوات وبالقوة الشامة الروائح ولكنه لا يعلم معاني الكلام والاصوات الا بعد حين ، فاول شيء يحس باللمس فيتالم لان حاسة اللمس اعم الحواس.ثم يحس بالطعم فيميز لبن امه من غيره ثم يميز بين الروائح ثم بين الصوت الشديد الجهير وبين الصوت الضعيف الخفيف ثم يفرق بين الصور ، ثم شيئ بعد شيئ على التدريج وعلى هذا المثال فهمه ومعرفته بسائر الحواس الى ان تتم سن التربية ويغلق باب الرضاع ويفتح الكلام والنطق ثم بعد ذلك تجيء ايام الكتابة والقراءة والاداب والصنائع والرياضيات»[1] اما المقارنة التي اجراها نوري جعفر مع النص السابق في ضوء العلوم الحديث هي ان ابحاث عالم الفسلجة بروكا (١٨٢٤-١٨٨٠) والعالم الالماني فيزنكا(١٨٤٨-١٩٠٥) وعلماء النفس والاعصاب السوفييت وجود ثلاثة مراكز مخية لغوية في القسم الامامي الاعلى من المخ.يختص احدها بالنطق بالكلمات ويسمى المركز المخي الحركي للكلام المتحدث به: المركز المخي

---

١ - نقلا عن نوري جعفر، الابداع واليات الدماغ، مصدر سابق، ص ٥٧

الحركي المرتبط بجهاز النطق المؤلف من اللسان والشفتين والحبال الصوتية. اما المركز المخي اللغوي الثاني فيختص بسماع الكلمات ويرتبط بالاذنين ويسمى المركز المخي للكلام المسموع. وثالثها المركز المخي للكلام المرئي او المقروء الذي يرتبط بحاسة البصر ، ودلت الدراسات الحديثة كما اشار نوري جعفر على ان المراكز المخية اللغوية الثلاثة المشار اليها لا تنمو جميعا بشكل متناسق ودفعة واحدة عند الطفل بعد الميلاد ، ففي الاشهر الاولى يبدا المركز المخي للكلام المسموع الذي يمهد بدوره بعد ذلك وعلى اساسه الى نمو الكلام المتحدث به تدريجيا منذ النصف الثاني من السنة الاولى ثم يبدا الكلام المقروء بشكله البدائي منذ بداية السنة الثالثة وهذا يعني ان الاسس الممخية اللغوية تنمو بالتدريج وان الاقدم منها يمهد السبيل الى نمو الاحداث وان الطفل لا يستطيع ان يمارس اي شكل من اشكال الكلام ، الذي ياتيه من البيئة الاجتماعية بالطبع دون نضج مركزه المخي المعين وهو ما ذكره اخوان الصفاء في النص المشار اليه[1] وفي ضوء ما ذكر يتضح أن الابداع بنظر اخوان الصفاء وبالنسبة ايضا لعلم الدماغ الحديث وظيفة الدماغ من ناحية اساسه المادي الجسمي واما محتواه او مضمونه فهو بيئي اجتماعي ثقافي ، معنى هذا بعبارة اخرى ان الامكانيات الدماغية المتماثلة يختلف استثمارها لدى الافراد باختلاف ظروفهم الاجتماعية وانه كلما ازيلت الفوارق الاجتماعية بين المواطنين وتماثلت فرص التعليم كلما استطاع المواطنون استثمار امكانياتهم المخية الى حدها الاقصى في هذا الفرع او ذاك من فروع المعرفة الانسانية الامر الذي يؤدي في اخر المطاف الى رفع مستوى المجتمع من الناحيتين المادية والثقافية.

---

١ - نوري جعفر، الابداع واليات الدماغ، مصدر سابق، ص٥٧

## ٣ـ الرؤية النقدية الاجتماعية لمقامات الحريري

ولو نأخذ تناول الدكتور لتراث آخر من التراث الإسلامي ألا وهو مقامات الحريري حيث كما قلنا يسلط الأضواء على الجوانب الحاضرة من هذا التراث فيصف الدكتور نوري جعفر الحريري بانه كان اديبا تقدميا ملتزما من الناحيتين الاجتماعية والايدولوجية ومن الناحية الفنية الجمالية اللغوية ، كما كان ايضا اديبا ملتزما من ناحية محتوى ادبه ومن ناحية اسلوب التعبير فقد كان ملتزما من حيث المحتوى الاجتماعي بمبدا العدالة الاجتماعية وملتزما ايضا باستهجان الظلم والاضطهاد.[1] فنرى العلامة نوري جعفر يسلط الضوء على الجوانب المضيئة من التاريخ بان يذكر بشخصية مهمة كشخصية الحريري من ناحية التزامها الاجتماعي ومبدا العدالة الاجتماعية ويريد ان يذكر كيف ان في تاريخنا من الشخوص من هم متقدمين من ناحية الفكر وقد سبقوا العالم كثيرا في ذلك لذلك يقول نوري جعفر ان الحريري في ضوء مبدا الالتزام الفني والادبي كاتبا تقدميا بارزا واصيلا بمقاييس عصره ومجتمعه وبمقاييسنا الراهنة على حد سواء[2]

---

١- مع الحرير في مقاماته، مقال منشور للدكتور نوري جعفر، مصدر سابق، ص٣٥

٢ - المصدر نفسه

وهذه العبارة تشبه الوصف الذي وصفه نوري جعفر الى الجاحظ وحسب ما مر مسبقا في المبحث السابق وقلنا في حينها اننا نتعارض مع العلامة نوري جعفر من حيث ان الجاحظ او الحريري يعتبران كاتبان تقدميان بمقاييس عصر نا الراهنة لاختلافها عن عصرهما. نعم اذا كان التقدم يعني انهما ككتاب لمعا وتخطيا حدود عصرهما ومجتمعهما وخاطبا الاجيال اللاحقة فهذا صحيح انهما كاتبان جيدان حتى بمقاييس هذا العصر ، فما زالت مقامات الحريري تتحدى الزمان والمكان ولا تقتصر اهميتها على ظروفها المحلية الزمانية والمكانية :اي ان الحريري لم يكتب لمعاصريه حسب وانما كتب ايضا لغير معاصريه :للقراء المحتملين عبر الاجيال وفي مختلف المجتمعات ، فقد التزم الحريري بما يلي مما يؤشر الرؤية الانسانية لديه:

مجّد كل ما هو نظيف وجميل في علاقات الناس الاجتماعية وتصرفاتهم من جهة.

شجب كل ما هو قبيح وناب في سلوك الافراد وفي ارتباطاتهم الاجتماعية من جهة اخرى.

وهنا نستطيع ان نستشف كيف ان العلامة نوري جعفر اختار الحريري لدراسته وذلك لان لديه جوانب سايكولوجية مهمة في شخصيته ومعالجات سايكولوجية ضمن ادبه كما مر في النقطتين في اعلاه.

كما ان نوري جعفر يمتاز بسمة اساسية في تناوله لشخصيات التراث فهو يدرس البيئة التي عاشت فيها الشخصية كمدخل لقراءة الشخصية ونقدها وهذا هو جانب سايكولوجي مهم لما للبيئة من دوراساسي ومهم في التاثير على الشخصية التاريخية المتناولة وهذا ما رايناه في قضية الجاحظ كما بينا وكما سنراه في هذا المبحث في تناوله للحريري حيث وصف عصره كمدخل لوصف ادبه وشخصيته.

اما الضروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عاش فيها الحريري والتي جعلت منه ملتزما بضروف مجتمعه –هذا ما اشرنا اليه سابقا في نقدنا لمبدأ الالتزام الذي تكلم عنه العلامة نوري جعفر في الفصل الثالث- فهي مترديه منذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) وبخاصة لجماهير الشعب ومراتبه الدنيا ، فلقد ساءت كثيرا الاوضاع الاقتصادية والادارية واصبح الاستقرار السياسي مفقودا والامن مزعزعا ، وبدا الناس يشعرون بالتمزق والضياع او عدم الانتماء ، اما العوامل الاساسية التي ادت الى ذلك فتعود في الاساس الى تدهور السلطة المركزية (الخلافة العباسية) الامر الذي ادى الى تمرد الامراء على المركز وانفصالهم في مقاطعاتهم عن جسم الدولة الواحد تلو الاخر وتكوينهم دويلات او امارات متعددة ومتنافرة وتفرقوا شيعا فكل مدينة: فيها امير المؤمنين ومنبر (بعضها غريب عن البيئة العربية) كما حصل اثناء فترة الحكم البويهي ٣٣٤-٤٤٧هـ واثناء فترة حكم السلاجقة الذي اعقب ذلك واستمر اكثر من قرن وهو العهد الذي نشأ فيه الحريري وترعرع وشهد ايضا مصرع الملك السلجوقي ملكشاه ووزيره نظام الملك ، كما ان الفترة التي عاش فيها الحريري شهدت بداية الحروب الصليبية واحتلال القدس وكان ذلك قبيل سقوط االخلافة العباسية بزهاء قرن ونصف.

وبالرغم من التردي السياسي المشار اليه في اعلاه فقد انتعش الادب (وان كانت سوقه كاسدة بتعبير الحريري نفسه: بمعنى ان مردوده المادي ضئيل للعوامل السياسية والاقتصادية المرتدية التي تمت الاشارة اليها)وقد برز الحريري في تلك الفترة بالذات –كما يقول الدكتور نوري جعفر- اديبا من الطراز الاول ويلوح ان ظاهرة انتعاش في ظروف سياسية واقتصادية فاسدة ظاهرة مالوفة في التاريخ. فقد شهدت فترة التدهور السياسي

والاقتصادي في اسبانيا في القرن السابع عشر مثلا انتعاش الادب وظهور فئة من ابرز الكتاب في تاريخها نذكر منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:فلاسكوز وزربران وربيرا وكالديرون وسيرفانتيز ولوب ديفاكا ، وشهدت روسيا القيصرية الاقطاعية المتدهورة سياسيا واقتصاديا في النصف الاول من القرن الماضي تقدما ادبيا مذهلا عندما برزت فئة من ابرز الكتاب ياتي في مقدمتهم بوشكين وكوكول ميرمونوف[1] وقد تجنب الحريري على القدر المستطاع الانغمار المباشر والعنيف في الملابسات السياسية والتيارات الاجتماعية الحادة المتضاربة كما وتحامى الصراع الدائر انذاك بين مختلف الفئات السياسية المتنافسة من اجل الاستئثار بالسلطة السياسية رغم روابطه بالمسترشد بالله (١٠٩٣-١١٣٢) الخليفة العباسي التاسع واالعشرين عبر وزيره جمال الدين عميد الدولة.

كما اتصف الحريري بثقافته اللغوية الواسعة وبمعرفته العميقة باسرار اللغة العربية وعبر عن ذلك في مقاماته والكتب الاخرى التي الفها وتلك علامات على انصرافه الى الادب وانغماره فيه كهواية. والعامل الرئيسي في ذلك هو حالته المادية الجيدة التي ساعدت كثيرا على الانصراف نحو دراسة الادب فقد كان والده تاجر حرير في مدينة البصرة ومن هنا اكتسب تسميته بالحريري ويذكر له نوري جعفر لقب اخر هو الحرامي لكونه عاش في منطقة بني حرام في البصرة وهم قبيلة عربية ، كما ان مقاماته الحرامية مشتقة من هذا الاسم[2] كما شهدت الفترة التي عاش فيها الحريري (والفترة التي سبقتها ايضا نشوء فئة من الادباء المتجولين المتحدرين من المراتب الاجتماعية الدنيا بمقاييس

---

١- نوري جعفر، مع الحريري في مقاماته، مصدر سابق، ص ٣٦

٢ - المصدر نفسه، ص٣٧

ذلك الزمان اخذوا يطوفون ارجاء البلاد العربية والاسلامية وينشدون الاشعار ويرددون الطرائف الادبية في مجالس الاثرياء والمتنفذين والامراء وفي الاماكن العامة لاكتساب الرزق ومسلكهم هذا شبيه من حيث الاساس بمسلك فئة اجتماعية مماثلة نشات في اوربا انذاك يطلق عليها اسم «المشردين الذين يتكسبون برواية الاشعار» Vagrant Versifiers وهم في حقيقتهم متسولون Mendicantsمتجولون اداتهم الوحيدة لكسب الرزق ما ينشدونه من اشعار وما يرتجلونه وما يروونه من قصص خيالية وحكايات خرافية في قصور الامراء وذوي المكانة الاجتماعية المرموقة لاغراض الترفيه وللحصول على المكافات.وكان بعضهم ينشئ ما يشبه المقامات عندنا (وبخاصة في اسبانيا) يصفون فيه حياة المتسولين المشردين المغامرين الشجعان الذين يتصفون ايضا بشيء من المكر او الدهاء او الاحتيال اطلقوا على مقاماتهم اسم Picaresque Novellas وهنا نرى كيف ان نوري جعفر يزاوج ويشابه بين ظاهرتين الاولى نشات في البلاد العربية وانتجت الادباء المتجولين واالثانية نشات في البلاد الاوربية وطبعا هي متاخرة عن نشوء الظاهرة الاولى في البلاد العربية وانتجت المشردين المتكسبين بالشعر وهو بالتالي يعطي صورة حتى لهكذا نوع من الادب يكون فيه العرب الاسبق حسب تراثهم ويزيل نوري جعفر الغبار عن هذا التاريخ ويكتشفه بالتالي فهو يستخدم اسلوب التنوير للتاريخ ويستلهم المفيد منه لبعثه من جديد.

غير ان ظاهرة الكدية[1] بشكلها الذليل المتلون كما ظهرت بصورة

---

١ - اسم اطلقه المفكر نوري جعفر على ظاهرة تكسب الادباء من خلال اشعارهم وادبهم وهنا يعتبر منطق تنويري ان تطلق اسماء غير موجودة مسبقا على ظواهر وجدت في التاريخ وتعمل على تسميتها بمنطق يساير الحديث من المصطلحات.

خاصة في المقامة الثانية: الحلوانية وكما ظهرت ايضا في المقامة التاسعة والاربعين: الساسانية ظاهرة اجتماعية غريبة عن المجتمع العربي بنظر الدكتور نوري لانها تتنافى والاباء او الشمم الذي يتصف به العربي بصرف النظر عن منزلته الاجتماعية الفعلية ، وهي ظاهرة اجتماعيةدخيلة او وافدة امتهنتها الفئات الاجتماعية الواطئة الفارسية الاصل التي زعمت انها منحدرة من الاسرة الساسانية التي ازرى بها الدهر.او ابتدعها شخص فارسي معين بالذات اسمه ساسان كما يبدو في مقامة الحريري التاسعة والاربعين المشار اليها.وهنا نتوقف كثيرا في كلام الدكتور نوري جعفر هذا فهو يحاول بشتى الامكان ان يبعد عن الشبهه حول مفهوم التكسب من خلال الادب او الشعر عن العرب ويعتبر ان العرب ادخلت عليهم هذه الظاهرة واناالادباء المتهنين امتهنوها فقط في حين ان التاريخ لا يوافق هذا الكلام بصورة اكيدة وهذا واضح لدى اكبر الشعراء العرب المعروفين كالمتنبي بمدحه لسيف الدولة الحمداني او الشريف الرضي لمدحه الطائع لله او ابو نواس لمدحه الامين العباسي وغيرهم كثير جدا من شعراء وادباء.وقد يختلف معنى مختلف ويقول ان نوري جعفر يقصد بكلامه مار الذكر فقط الادباء الذين يجوبون البلاد للتكسب ويبعد صلتهم بالعرب ويعتبرهم من اصول ادنى نعم صحيح ولكنه يبعد هذه المهنة الكدية كما يسميها عن العرب مطلقا ويقول لا شان لهم بذلك لانها تتنافى مع الاباء الذي تمتع به العربي واتصف به.نعم ان العربي تمتع بصفات عامة كالشمم والاباء ولكن السؤال للدكتور نوري جعفر هل كل العرب اتصفوا بها كثير من العرب وصفهم التاريخ لنا بانهم اتصفوا بصفات القتل والرعب للاخرين والذبح والعنف وغيرها من الاوصاف اللاانسانية كما اننا نستغرب على الدكتور نوري جعفر ان يصف فئات بالمجتمع ويسميها

«فئات اجتماعية واطئة فارسية الاصل» فهذا منطق غير انساني مطلقا فلا يوجد بالتقسيمات الحديثة لعلم الاجتماع فئات اجتماعية واطئة وانما الانسانية يتساوى فيها الجميع فلا توجد فئة واطئة وفئة عالية بسبب نسبها العربي فهذه نظرة غير انسانية انتجها التاريخ العربي كان من المفروض على الدكتور نوري جعفر نقد هذه المسالة لا ان يعيد التركيز عليها ، صحيح ان نوري جعفر اراد من خلال هذا الحديث ان ينقل ما كانت عليه تقسيمات المجتمع العربي من فئات واطئة الاصل وعالية الاصل ولكن كان من المحتم عليه ان يشير الى هذه الظواهر اللاانسانية بشيئ من التفصيل ويعمل على نقدها في ضوء المناهج الانسانية الجديدة او حتى التراثية الاصيلة التي يهتم بها نوري جعفر ، كما اخذت المقامات لدى نوري جعفر بعدا تاريخيا حين اعطى لها تفصيلا تمثل بشروحات حول شخوصها فمثلا تكلم حول المقمات عند بديع الزمان الهمداني(٩٦٩-١٠٠٧) حيث كان ابو الفتح الاسكندري بطلها وعيسى بن هشام راويتها: وهما معا شخصيتان اسطوريتان وهميتان ابتدعهما الهمذاني نفسه لا بالمعنى الميتافيزيقي بل بالمعنى الواقعي ، اول هذه الشخصيات اديب ماكر متلون يلبس لكل حالة لبوسها هو ابو الفتح الاسكندري ، والثاني عيسى بن هشام تاجر موسر يتنقل في ارجاء المملكة العربية الاسلامية لتعاطي البيع والشراء وجوهر شخصية ابي الفتح الاسكندري اورده ابو الفتح الاسكندري نفسه الذي وصف نفسه بالمكر والخداع او التضليل والاحتيال والذي اوصى ان يكون المرء دائما كالحرباء يتلون حسب الظروف ليكسب معركة الصراع من اجل البقاء ، ويعلق نوري جعفر تعليقا اساسيا عن مقامات بديع الزمان قائلا(ومقامات البديع احدى وخمسون مقامة طريفة تصدى لشرحها كثير من الادباء وهي معقدة التركيب نسبيا في فحواها

وذات اسلوب طريف مفعم بالسجع الشعري وبالتورية والجناس والكناية التي تلائم ذوق اهل ذلك الزمان وان كانت مستعصية الفهم من الناحية اللغوية الا على فئة قليلة جدا من الخبراء مكن اهل ذلك الزمان وفي الوقت الحاضر»[1] ويتبين من كلام العلامة نوري جعفر الرؤية الادبية لديه واعجابه باللغة العربية من الناحية البلاغية حيث يعتبر دائما ان لغة العرب التي انتجت ادب الجاحظ والمقامات وغيرها هي لغة صعبة من ناحية كما ورد في قوله ولغة رصينة كما ورد في اعلاه من اراء له خصوصا فيما يخص الجاحظ واراءه كذلك وصفه للمقامات بالطريفة يكسبها بعدا ايجابيا مبنيا على رؤى يريدها هو من خلال اراءه فنوري جعفر يتبين لنا انه يتناول الاداب القديمة بعد ان ينغمس ويتشبع فيها الى درجة كبيرة ، ويستمر نوري جعفر بوصف ما يروى عن الهمذاني من انه كان يحفظ القصيدة التي تتجاوز خمسين بيتا ويؤديها الى اخرها لا ينخرم منها بيت بمجرد سماعه انشادها مرة واحدة.وقد اختلف النقاد في المفاضلة بين مقامات البديع ومقامات الحريري ولكل حججه والزاوية التي ينظر منها اليها ويقال ان الذي سبب للبديع تاليف مقاماته هو انه راى ابا بكر بن الحسين بن دريد قد اغرب باربعين حديثا ذكر انه استنبطها من ينابيع صدره وانتخبها من معادن فكره على طبع العرب في الجاهلية بالفاظ بعيدة. وانشا الحريري خمسين مقامة مقتفيا فيها اثر البديع وقد جعل بطلها ابا زيد السروجي (كنظيره ابي الفتح الاسكندري عند الهمذاني) واسند روايتها الى الحارث بن همام على نسق عيسى بن هشام عند البديع وقد وضع الحريري اولى مقاماته على ما يقول الرواة عام ١١٠١وانجز اخرها عام

---

١ - نوري جعفر، مع الحريري في مقاماته، مصدر سابق، ص٣٧

١١١٠م واسند روايتها الى الحارث بن همام وهو شخصية رمزية من ذوي اليسار وممن يتذوقون الادب وكان الحارث بن همام يتنقل في ارجاء الخلافة العربية الاسلامية للتزود بالمعرفة وهو يتصف بنفس ابية ويترفع عن المسالك المشينة.اما بطل المقامات فهو ابو زيد السروجي وهو ايضا شخصية رمزية من الادباء الفقراء وله قدرة عجيبة على التلون وابتزاز الاموال عن طريق المكر بالوسائل الادبية المترفة. ومقامات الحريري مفعمة بالاحاجي اللغوية والالغاز الفقهية والنوادر الاجتماعية والامثال والحكم وهي بنظر نوري جعفر اكثر دقة ورقة وشعبية من مقامات الهمذاني كما ان الحريري في مقاماته كان مفتونا بالحركة الصاعدة الديناميكية وقد أحتل التنقل الزماني والمكاني مركزا مرموقا في مقاماته كما كان الحريري مولعا أيضاً بتوجيه تلك الحركة الصاعدة الحيوية المتطورة المتعددة الأشكال التي تظهر في سلوك الحارث بن همام وزميله أبي زيد السروجي والسيطرة عليها في تفاصيلها وفي مجراها العام وقد ظهر الإنسان أثناءها (ممثلا بالحارث بن همام تارة و بأبي زيد السروجي تارة أخرى) مع تناقض السلوك بين الشر والخير وبين الواقع الفاسد الذي يعبر عنه السروجي وبين ما ينبغي أن تكون الحياة عليه كما يبدو ذلك عند الحارث بن همام و هذا يعني بعبارة أخرى أن الحريري الذي تقمص شخصية الحارث بن همام كان يسعى لجعل الإنسان يحتل مكانته المرموقة اللائقة به ويسعى لاستئصال مفاسد المجتمع التي تبدو مجسدة في سلوك أبي زيد السروجي ــ وهنا يعلق الدكتور نوري جعفر بان الحريري كان منغمراً كل الانغمار في أبراز الرابطة العضوية (الديالكتيكية) غير القابلة للانفصام بين مطمح الفرد نحو التحرر والانعتاق والتقدم وبين الواقع الفاسد الذي يعيش فيه وهذا يعني إن الحريري كان مولعا إلى درجة الإفراط بالحركة الديناميكية الصاعدة للحياة

والمجتمع والفرد نحو المستقبل الافضل على حد تعبير الدكتور نوري جعفر ولكني أتسأل عن مسالة شديدة الأهمية ألا وهي أن الأفكار التي طرحت من خلال مقامات الحريري تعتبر من الفكر اليوتوبي الخالص باعتبار أن الشخصيات التي وصفت في المقامات هي شخصيات مفترضة والحوادث كذلك فهي أمور مفترضة غير واقعية أراد من خلالها الحريري معالجة الواقع في مقاماته لكن الدكتور نوري جعفر لم يشر إلى مسألة مهمة في هذا المجال ألا وهي أن مقامات الحريري تدخل في الفكر اليوتوبي ومثالها في ذلك جمهورية أفلاطون والمدينة الفاضلة للفارابي وأن اختلفت الرؤى والأفكار والزمكان في هذا المجال ولا نعرف لماذا لم يعتبر الدكتور نوري جعفر أن المقامات من الفكر اليوتوبي مع التاكيد ان الدكتور نوري جعفر لم يؤكد على مسالة الفكر اليوتوبي ليس فقط في تناوله لمسالة مقامات الحريري بل حتى لمسالة المجتمع المنشود من خلال اسس التربية حيث يذكر ما نصه في هذا المجال: «وبقدر ما يتعلق الامر بملامح المجتمع المنشود يمكننا ان نقول : انه مجتمع ديمقراطي ينتفي فيه الاستغلال والاضطهاد المادي والفكري وتزول عنه جميع الاثار السلبية التي تعوق نمو المواطنين جميعا نموا متكاملا فرديا واجتماعيا علميا وفنيا جماليا على حد سواء»[1] وانا اتساءل واقول هل هذا الكلام سوى مفاهيم تخيلية يطمح اي انسان ان يراها في المجتمع ولكن الدكتور نوري جعفر لم يذكر هذه المسالة ولم يبين ان ما يقوله ما هو الا فكر يوتوبي بحاجة الى تحقيق ولكن قد نستطيع ان نحمل المفكر نوري جعفر على محمل اخر الا وهو انه ضد الفكر التخيلي الحالم الى درجة انه يريد ان يجعل ما يعتبره الغير فكرا يوتوبيا

---

١ - نوري جعفر، مقال التربية والمجتمع المنشود، مصدر سابق.

يجعله واقعا ملموسا في المدى القريب او البعيد على الرغم من صعوبات التنفيذ حيث نستطيع تلمس هذا المعنى من خلال ما يقوله مكملا ما ورد عنده في الفقرة اعلاه: «ولتحقيق ذلك في مداه البعيد لا بد من العمل يوما بيوم بمثابرة وتصميم وبالعمل الجماعي البناء على استئصال النزعات الفردية السلبية وتشجيع كل ما من شانه ان يوصلنا الى تحقيق ما نصبو اليه باقصر طريق وباقل جهد وعلى افضل وجه»[1] ولكن نرى ان هذه المجالات ايضا لا تكفي لاخراج ما يطمح ان يراه نوري جعفر في مجتمعه من دائرة التخيلية واليوتوبية ، كذلك فان استخدام الديالكتيك في عملية تفصيل الرؤى التاريخية حول المقامات من قبل الدكتور نوري جعفر له صلة بتسليطه الجوانب الديالكتيكية على التاريخ كما لاحظنا بتناوله لشخصية الجاحظ فكان نوري جعفر بذلك يسلط الديالكتيك على الشخصيات الماخوذة من التاريخ ليعطي صورة اخرى مغايرة للمالوف ، كذلك يبين نوري جعفر أن في مقامات الحريري تتجلى النزعة الإنسانية متمثلة بالبطل الحارث بن همام الذي كان يسعى دائما الى التغلب على مفاسد المجتمع المتجسدة في سلوك أبي زيد السروجي ثم يضع الدكتور نوري جعفر صور المقارنة بين الحريري وبين أدباء عصر النهضة الأوربية وفنانيها في ايطاليا بصورة خاصة وبالدرجة الأولى أثناء القرون الوسطى مع مراعاة اختلاف المميزات المحلية الخاصة ويشابه الدكتور نوري جعفر ما ورد في مقامات الحريري بما ورد في كتاب الأمير لماكيافيللي بصدد الأوضاع المحلية في الولايات الإيطالية وبخاصة في ناحية الصراع بين دعاة الحق والعدالة الاجتماعية وبين الغارقين في الرذيلة وقد رفع الحريري بطله

---

١ - المصدر نفسه.

الحارث بـن همـام الى ارفع مسـتويات الفضـيلة ورفع ادباء عصـر النهضـة الاوربية وفنانوها ابطالهم الى اعلى المستويات المثالية الخيالية واضفوا عليهم صفات البسالة والاريحية والشهامة والتضحية وجعلوهم كانهم فوق البشـر واعتـبروهم رمـزا للحـق والعدالـة والاجتماعيـة والانتصـار لكرامـة الانسـان المهدورة ، وبدا اولئك الابطال في تنافر مع اسس المجتمع الاقطاعي الذي عاشوا فيه.وهذا التنافر هو في جوهره تعبير دقيق وامين عن طبيعة الظروف الاجتماعية السائدة. وقد ظهر البطل وكانه يكافح من اجل اشاعة مثله الانسانية العليا بين الناس وتجسيدها بالفعل وهو بمعزل عن غيره وحيدا في الميدان يحارب في جبهتين احداهما على الصعيد الحكومي الرسمي ممثلا بالقضاة والامراء والوعاظ والاخرى متمثلة بالاشرار من عامة الناس. وكثيرا ما يلقي البطل مصرعه بفعل اعتداءات قوى الشر العاتية ولهذا فان البطل مع اتصافه بالشجاعة النادرة ينهار في اخر المطاف ويعجز عن تحقيق الظفر المؤازر اثناء صراعه الشريف العادل وغير المتكافئ مع قوى الشر.وهنا يقارن نوري جعفر مرة اخرى بالادب الغربي ويقول كما ظهر ذلك عند شكسبير في هاملت وعطيل[1] وهذه ليست المرة الاولى التي يربط بها مفكرنا بين الادب العربي القديم وبين ما ورد عند الغرب لكي يبرز وبصورة غير مباشرة كيف ان العرب كانوا سباقين في رسم الصور الانسانية واشاعة المثل العليا التي ينبغي اعتمادها انطلاقا من تراثنا وادبنا وليس من تراث وادب الغير الذي نهل منا كثيرا.وقد يسال سائل ويقول لماذا اختار نوري جعفر دراسة المقامات في طرحه التاريخي هذا وللاجابة يتبين لنا ان تطواف ابي زيد السروجي كان لغاية تمثلت بضرب السلوك النابي عن الذوق

---

١ - المصدر نفسه.

السليم وغير المنسجم مع المبادئ الاخلاقية السامية التي نادى بها الدين الحنيف ثم نبذه في اخر الامر جميع تلك التصرفات وتمسكه بالاخلاق من هنا نعرف لماذا اختار نوري جعفر هذا الصنف من الادب لدراسته وذلك لاحتواءه على عنصر اخلاقي انساني سامي اراد نوري جعفر ان يستخرجه من بطون التاريخ ويبينه للناس ، وهذا معناه اننا بامكاننا اعتبار المقامات المتناثرة من حيث المحتوى او المضمون قصة او رواية بفصول متعددة تجمعها وحدة الموضوع ووحدة الهدف وانها تتسم بالطابع الرمزي الذي استلزمته ظروف اجتماعية قاهرة شريطة ان تاخذ بعين الاعتبار ان الجانب الرمزي هنا لا يعني الجانب التجريدي المألوف فالسروجي شخص رمزي مع تعدد حالاته وكذا الحال في الحارث بن همام مع وحدة سلوكه والتزامه الاجتماعي :جمع الاول منهما – بشكل رومانتيكي- جميع الصفات غير المستساغة التي يتصف بها اشخاص متعددون في مختلف مشارب الحياة وجمع الحارث بين نقيضها.

ثم يبين نوري جعفر تعلقه بعلمي الاجتماع والنفس كانطلاقات لتفسير روح المعاني المستقاة من المقامات بقوله «ان ولع الحريري باسلوب التعبير وبراعته اللغوية الفائقة وقدرته العجيبة على التلاعب بالالفاظ وغزارة مفرداته اللغوية قد طغت جميعها على محتوى ارائه الاجتماعية البالغة الاهمية وحجبت ذلك المحتوى (الاجتماعي والسايكولوجي العميق )عن انظار القراء وعن انظار شارحي المقامات وهم ادباء بالاصل على حد سواء فاسدلت على ذلك المضمون الذي هو في الاصل الغرض الذي يسعى الحريري نحو تحقيقه غطاء كثيفا من التعابير الرقيقة المترفة الانيقة بحيث اصبح ذلك الغطاء اللغوي الكثيف يبدو للسطحيين كانه الذي يرمز

الحريري اليه»[1] يتبين من كلام العلامة نوري جعفر تركيزه على الجوانب الاجتماعية والسايكولوجية في الادب المتمثل في المقامات وعدم تمسكه بالجانب اللغوي الادبي على الرغم من حبه وتعلقه بهذه الجوانب، كذلك فان المرحوم نوري جعفر يمنع ان يُفصل بين الجانب الفكري للكاتب او الفنان وبين جانبه الجمالي او الفني اي اسلوبه في التعبير وهذا يدلل اهمية اللغة في الفكر والاسلوب البلاغي في التعبير الفكري في نظر نوري جعفر كما سنرى في الفصل السابع من هذا الكتاب، ويقارن الدكتور نوري جعفر حتى الحالة اللغوية التي تجسدت في مقامات الحريري حيث يصف الخمرة على لسان السروجي وصفاً دقيقاً كأنه قد تعاطاها مسبقا بشكل مدمن ويعلق نوري جعفر بان الحريري كان مفتونا بالتعابير اللغوية الأنيقة والألفاظ الجميلة وبالوصف الأدبي وهنا يذكر الدكتور نوري جعفر راياللليً اللكاتب الفرنسي الذي وصف النبيذ واطنب في إظهار محاسنه واطرى عليه دون أن يذوق طعمه على ما يقوله بلزاك،وهكذا نرى هذه الجوانب التي أثارها العلامة نوري جعفر في مسالة تناوله للتراث حيث سلط علم النفس والاجتماع واللسانيات على التراث في تناوله لهُ في سبيل أن يأخذ المنتج منه ويترك اللامنتج وهذا ما طالب به اركون حين أراد أن يفسر التاريخ وفق منظومة العلوم الإنسانية والاعتناء بتدريس علوم الإنسان والمجتمع وعلم اللسانيات كمثال على هذه العلوم.

---

١ - المصدر نفسه، /ص٣٩

## ٤- رؤى مختلفة حول التراث في منظور نوري جعفر

ان تاثرات نوري جعفر بالتراث قوية وكثيرة جدا تكاد تكون داخلة في اغلب كتبه فلم تنفك الشواهد التاريخية من اغلب ابحاثه وربطها كثيرا بالجوانب السايكولوجية كما في رؤيته لادب الجاحظ والتربوية كما في رؤيته للجوانب المجتمعية على حد سواء بل حتى بالعلمية كما في رؤيته للعلاقة بين الادب والفن ووصف الشمس كما مر في فصول الكتاب ، بل حتى ربط التراث بالقضية الفسلجية كما جاء في كتابه «الاصالة في شعر ابي الطيب المتنبي اصولها الدماغية وجذورها الاجتماعية في ضوء فسلجة بافلوف» حيث يتبين من عنوان كتابه هذا انه ينظر الى شعر ابي الطيب المتنبي في ضوء فسلجة بافلوف ويستقرأه في ضوء هذه الفسلجة.

ان نوري جعفر تكاد تكون علاقته مع التراث متينة جدا ويريد ان يوصل من خلال هذه العلاقة رسالة الى المجتمع والمثقفين ان تراثنا جيد ونستطيع الاعتماد عليه ولكن ليس في كل شيئ فدعوة نوري جعفر للتراث دعوة تنويرية اي دعوة مبنية على الاعتماد على الجوانب التنويرية في التراث وليس اية جوانب ولاسيما التراث المظلم. وفي هذا المبحث بالذات سنستقرأ الجوانب التراثية الصائبة التي دعا للاعتماد عليها في قضية الجوانب التربوية وغيرها وقد بين رايه الخاص بهذه الشواهد بما نصه «ان التراث العربي الاسلامي مفعم بامثلة كثيرة رائعة تتضمن اراء ومواقف سياسية واجتماعية ذات مضامين تربوية بالغة الاهمية» ونقل نوري جعفر شواهد من التراث متنوعة وعديدة في كتبه كافة فتكلم عن

رؤية ابن سحنون الى التعليم والقابسي وابن جماعة والغزالي وابن خلدون والماوردي واخوان الصفا والجاحظ ، ومن امثلة ما ركز عليه لدى هؤلاء ما نقله عن الجاحظ بصدد تعليم النحو للصبيان: «واما النحو فلا تشغل قلبهم منه الا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ومقدار جهل العوام ، في كتاب ان كتبه وشعر ان انشده ، وشيء ان وصفه ، وما زاد عن ذلك فهو مشغلة عما هو اولى به ومذهل عما هو ارد عليه منه من رواية المثل الشاهد والخبر الصادق والمعنى البارع»[1] ومن الملاحظ على كل هذه الامثلة التي ييسوقها العلامة نوري جعفر عدم تعليقه الكافي عليها بل يكتفي بنقلها عن مصادرها فقط ويجمعها سوى بعض التعليقات البسيطة وذلك لوضوحها ، اما في الجوانب النفسية في التراث فقد عبر عنها كثيرا كما راينا لدى الجاحظ حيث افرد له كتابا كاملا اسماه«سايكولوجيا ادب الجاحظ» سبق وان تناولناه كذلك تناول كثيرا دراسات مستفيضة حول سايكولوجيا رسائل اخوان الصفاء حيث قارن نوري جعفر ما جاء لدى اخوان الصفاء في نشوء المدركات العقلية او المفاهيم المجردة او الافكار وبين ما جاء لدى عالم النفس السويسري الراحل بياجيه حيث كتب اخوان الصفا العبارات الدقيقة التالية التي لا تختلف من حيث الجوهر عما كتب بياجيه نفسه الذي تفصله عنهم فترة زمنية طويلة تجاوزت الف عام «واعلم يا اخي بان الحكماء لما نظروا الى الموجودات فاول ما رأوا الاشخاص مثل زيد وعمرو وخالد ، ثم فكروا فيمن لم يروه من الناس الماضين والغابرين جميعا فعلموا ان كلهم تشملهم الصورة الانسانية وان اختلفوا في صفاتهم من الطول والقصر والسواد والبيض والسمرة.. وما شاكلها من الصفات

---

١ - نقلا عن المصدر السابق، ص٣٦

التي يمتاز بها بعضهم من بعض فقالوا كلهم انسان وسموا الانسان نوعا لانه جملة الاشخاص المثقفة في الصور المختلفة بالاعراض.ثم رأوا شخصا اخر مثل حمار زيد واتان عمرو وجحش خالد فعلموا ان الصورة الحمارية تشملها كلها فسموها ايضا نوعا ، ثم رأوا فرس زيد وحصان عمر ومهر خالد فعلموا ان صورة الفرسية تشملها كلها ، فسموها ايضا نوعا ، وعلى هذا القياس سائر اشخاص الحيوانات من الانعام والسباع والطير وحيوان الماء ودواب البر كل جماعة منها تشملها صورة واحدة سموها نوعا ، ثم تفكروا في جمعها فعلموا ان الحياة تشملها كلها فسموها الحيوان ، ثم نظروا الى اشخاص أخر كالنبات والشجر وانواعها فعلموا ان النمو والغذاء يشملها كلها فسموها النامي... ثم رأوا اشياء أخر مثل الحجر والماء والنار والهواء والكواكب وعلموا انها كلها اجسام فسموها جنسا...ثم انهم وجدوا اشياء شتى تقع على شيء واحد لم يتغير في ذاته بل من اجل اضافته الى اشياء شتى فسموها جنس المضاف. مثال ذلك رجل يسمى ابا وابنا واخا وزوجا وجارا وصديقا وشريكا وما شاكلها ثم انهم وجدوا اسماء اخر معانيها غير معاني ما تقدم ذكرها مثل فوق وتحت وههنا وما شاكلها من الاسماء فجمعوها وسموها جنس الاين ، ثم وجدوا اسماء أخر معانيها غير معاني ما ذكرنا مثل يوم وشهر وسنة وحين ومدة وما شاكلها من الاسماء فجمعوها كلها وسموها جنس المتى»[1] ولكن الملاحظ على هذه الفقرة التي ينقلها نوري جعفر عن اخوان الصفا انه يذكر مقارنة ما ورد لديهم من علم في النص اعلاه وما ورد لدى العالم السويسري بياجيه ولكنه لا ينقل نص الفقرة التي اوردها بياجيه والتي

---

١- المصدر السابق، ص٤٤- ٤٥

تشابه ما ورد لدى اخوان الصفا بل اكتفى بنقل ما ورد لديهم وهذه مؤاخذة نأخذها على نوري جعفر.

وبصدد العلاقة بين اللغة والفكر (وهو موضوع استاثر بجهود فئة من ابرز علماء النفس وبخاصة في الاتحاد السوفييتي) كتب اخوان الصفا «اعلم ان من شأن القوة الناطقة اذا استعانت بها القوة المفكرة في النيابة عنها في الجواب والخطاب ان تؤلف الفظا من حروف المعجم بنغمات مختلفة السمات التي هي الكلام. ثم تضمن تلك الالفاظ المعاني التي هي مصورة عند القوة المفكرة ، فتدفعها عند ذلك الى القوة المعبرة لتخرجها الى الهواء بالاصوات المختلفة في اللغات لتحملها الى مسامع الحاضررين بالقرب ، فتكون تلك الالفاظ من الحروف المختلفة الاشكال والسمات كالاجساد المركبة من الاعضاء المختلفة وتكون تلك المعاني المضمنة في تلك الالفاظ كالارواح لها لان كل لفظة لا معنى لها فهي بمنزلة جسد لا روح فيه او كل معنى في فكر النفس ليس له لفظة تعبر عنه فهو بمنزلة روح لا جسد له»[1] وقد علق نوري جعفر عن هذه الفقرة بالتالي: لو استبدل اخوان الصفا بمصطلح القوة الناطقة والقوة المعبِّرة مصطلح«جهاز الصوت» لما اختلف رايهم في قضية العلاقة بين اللغة والفكر عن الراي العلمي الحديث الذي يقترن باسم عالم النفس السوفييتي فيكوتزكي(١٨٩٦-١٩٣٤) :كتب فيكوتزكي في كتابه الذي ترجمة عنوانه «الفكر واللغة» العبارات التالية:/«يعبر معنى الكلمة عن رابطة التلاحم العضوي بين الفكر والرموز الذي تشير اليه تلفظا وبالكتابة لان المعنى ظاهرة لغوية وفكرية في ان واحد. فالصوت المنطوق به دون معنى هو صوت اجوف مبهم او اعجم لا يدخل

---

١- المصدر السابق، ص٤٨

في حيـز اللغـة ، وكـذا الحـال في الرمـز المكتـوب. فـالمعنى مـن هـذه الزاويـة ظـاهرة لغويـة تعـبر عـن الصـور الذهنيـة علـى هيئـة تجريـد وتعمـيم تحملـها الاصوات والرموز المكتوبة ، فهو من هذه الناحية عملية فكرية دون منازع ، معنـى هـذا ان الصـوت او الاشـارة المكتوبـة ظـاهرة فكريـة اذا نظرنـا الى الكلمة من ناحية كونها اداة التعبير تحدثا وبالكتابة التي تحمل ذلك المعنـى الـذي لـولاه لما اعتـبر ذلـك الصـوت وتلـك الاشـارة المكتوبـة ضـمن حـدود اللغة. اما الكلمة من حيث هـي رسـم مكتـوب او صـوت منطـوق بـه فهـي ظاهرة لغوية اذا نظرنا اليها من حيث كونهـا الاداة الاجتماعيـة الـتي تحمـل الفكـر وتجسـده وتوضـحه وتنقلـه بـين النـاس.فالكلمـة اذن كيـان واحـد متماسك فكري واداة في الوقت نفسه تعبر عن الفكر علـى هيئـة صـوت او رمز مكتوب ، وهذا هو جوهر اللغة»[1] وهنا ااسـتطاع العلامـة نـوري جعفـر ان يضع مقارنـة جميلـة جدا بين ما جاء لـدى اخـوان الصـفا في رسـائلهم وبين ما جاء لدى فيكوتزكي وبالتالي نسـتطيع ان نـتلمس هـذه المقارنـة مـن النصين الذين اوردناهما في اعلاه.

كـذلك يعلـق علـى ملاحظـات اخـوان الصـفا الـتي اوردوهـا حـول الاعصاب الحسية في رسائلهم بانهـا ملاحظـات ادق مـن الملاحظـات الـتي ابـداها الفيلسـوف الفرنسـي وعـالم الفسـلجة والرياضـيات ديكـارت (١٥٩٦-١٦٥٠) الذي جاء مـن بعدهم بما لا يقـل عـن ستة قـرون ، وان ديكـارت لـو اطلع على ملاحظات اخوان الصفا لتجنب ارتكاب اخطاء شـنيعة في عـالم الفسـلجة بقيـت مسـلما بهـا الى القـرن التاسـع عشـر عنـدما فنـدها بشـكل مختـبري عـالم الفسـلجة الالمـاني مـولر (١٨٨٠-١٨٥٨) وعـالم الفسـلجة

---

١ - المصدر السابق، ص٤٩

الاسكتلندي مارشال هول (١٧٩٠-١٨٥٩)[1] ونص كلام اخوان الصفا الذي علق عليه نوري جعفر بالكلام الوارد في اعلاه هو« ينتشر من مقدم الدماغ عصبات لطيفة لينة تتصل بالحواس وتتفرق هناك وتنسج في اجزاء جرم الدماغ كنسيج العنكبوت ، فاذا باشرت كيفية المحسوسات من اجزاء الحواس وتغير مزاج الحواس عندها وغيرتها عن كيفياتها وصل ذلك التغيير الى تلك الاعصاب –التي في مقدم الدماغ والتي منشها هناك كلها- فتتجمع اثار المحسوسات كلها عند القوة المتخيلة كما تجتمع رسائل اصحاب الاخبار عند صاحب الخريطة فيوصل تلك الرسائل كلها الى حضرة الملك. ثم ان الملك يقرأها ويفهم معانيها ثم يسلمها الى خازنه ليحفظها فيحفظها الى وقت الحاجة اليها. فهكذا حكم القوة المتخيلة اذا اجتمعت عند اثار هذه المحسوسات التي ادت اليها القوة الحساسة دفعتها القوة الحساسة الى القوة المفكرة التي مسكنها وسط الدماغ لتنظر فيها وترى معانيها وتعرف حقائقها ومضارها ومنافعها ثم تؤديها الى القوة الحافظة لتحفظها الى وقت التذكار»[2] وكذلك يقع نوري جعفر هنا بعدم الاشارة الى ما قاله ديكارت مناقضا لما ورد لدى اخوان الصفا مما دفع نوري جعفر الى ان يعلق تعليقه انف الذكر حيث كان من الاجدر بالعلامة ان يذكر النص الديكارتي ويقارنه بالنص الاخواني كي يتضح للمتلقي ما وقع فيه ديكارت من خطأ شنيع.

كما ساق نوري جعفر رؤى من التراث كثيرة ذات مضامين تربوية هامة قسمها الى عدد من الاقسام منها:/

---

١ - المصدر السابق، ص٤٥

٢ - المصدر السابق، ص٤٥

١- العلاقات الودية التي تتخطى اختلاف الراي
٢- مواقف تثير الاعجاب
٣- قول الحق في المواقف الحرجة
٤- جدلية او ديالكتيك الظواهر الاجتماعية وهذه الظاهرة بالذات تناولناها في سايكولوجيا ادب الجاحظ في نظر نوري جعفر
٥- الانهماك في الدراسة بشكل منقطع النظير
٦- فنرى كيف ان نوري جعفر يسوق امثلة من التراث تشدد على جوانب اختلاف الراي مع العلاقات الودية وهو جانب حداثوي في رسمه الحاضر.

ومن المواقف التي تثير الاعجاب التي قدمها نوري جعفر مايلي:

قيل لعبد الملك بن مروان –وهو يحارب مصعبا- ان مصعبا قد شرب الخمر.فقال عبد الملك والله لو علم مصعب ان الماء ينقص من مروءته ما روي منه[1]

---

١ - المصدر السابق، ص٥٧

## الفصل السادس

# رؤية نوري جعفر
# حول اثر اللغة في حياة الإنسان

يقصد باللغة الكلمات التي يستعملها الناس تحدثا وبالكتابة (العربية الفرنسية وغيرها) والتي ينفرد بها النوع الإنساني من دون سائر المخلوقات لأنها تستلزم أدوات فسلجية (مراكز مخية لغوية[1]) ومحتوى أو مضمون الكلمات نفسها تفتقر إليها الحيوانات جميعها[2] طبعا الدليل المادي على إن اللغة تفتقر إليها الحيوانات هو استحالة تعليم الحيوانات اللغة بالشكل الذي يتعلمها الإنسان وذلك لافتقارها إلى المراكز المخية اللغوية من جهة وفقدان اللغة عند الأطفال الذين اختطفتهم الحيوانات في سن مبكرة وعاشوا بينها فترة طفولتهم الأولى وذلك لافتقارهم إلى البيئة الاجتماعية

---

١ - وهي كثيرة اكتشف أولها عالم الفسلجة الفرنسي بروكا(١٨٢٤-١٨٨٠) في عام ١٨٦١وقد سمي باسمه «مركز بروكا» ثم اكتشف المختصون من بعده مراكز مخية لغوية أخرى كثيرة سمي بعضها بأسماء مكتشفيه مثل «مركز برودمان» العالم الألماني و«مركز فيرنكا»الخ.....

٢ - نوري جعفر، اللغة والفكر، المغرب، الرباط، مطبعة التومي، ١٩٧٢.

التي تزودهم بمحتوى اللغة (الكلمات[1]) فاللغة إذن ذات ركنين متميزين ومتلاحمين هما الأساس المادي الجسمي والمحتوى الاجتماعي لابد من توافرهما معا لحدوثها.

## كيفية نشوء اللغة:/

وهنا يحدد العلامة نوري جعفر الكيفية التي نشأت بها اللغة وتكيفت مع الوسط الإنساني والتي استشفيناها من فكره وكالتالي:

نشأت اللغة في مجرى حياة الإنسان الاجتماعية البدائية على هيئة أصوات مبهمة.

نشأت اللغة في مجرى نشاط الإنسان الاجتماعي أثناء مغالبته الطبيعة بعد أن نضجت معها وبتأثيرها وتمهيدا لها إمكانيات فسلجية خاصة تتعلق بالجهاز العصبي المركزي وجهاز النطق[2].

وقد ثبت أن الكلمات البدائية الأصوات المبهمة بمقاييسنا الحديثة التي استعملتها البشريات المنقرضة (اعتبارا من إنسان بكين الذي عاش قبل زهاء نصف مليون سنة وحتى إنسان نندر تال الذي عاش قبل حوالي ١٠٠ ألف سنة كانت غير متميزة المقاطع اقرب إلى الأصوات الحيوانية منها إلى كلام البشر المألوف في الوقت الحاضر وذلك لبدائية جهاز النطق بالدرجة الأولى.

---

١ - لقد درس المختصون أكثر من ٣٠ طفلا من هذا القبيل عثر على أولهم في القرن ١٦ وعلى آخرهم قبل زهاء ٥٠ سنة ومن أشهرهم طفل غابة افيرون الفرنسي الذي عثر عليه في أواخر القرن التاسع عشر والطفلتان اللتان عثر عليهما في الهند عام ١٧٢٠ وقد درست حالات هؤلاء الأطفال دراسة تفصيلية وحاول المشرفون عبثا أن يعلموهم اللغة.

٢ - نوري جعفر، الجهاز العصبي المركزي، بغداد، مطبعة الزهراء، ١٩٧١م.

ثـم أخـذت تتسـم بالوضـوح والدقـة تـدريجيا مـع تطـور الإنسـان وتكامـل نضج حنجرته وحباله الصوتية وتكامل تطور مراكـزه المخيـة اللغويـة إلى أن وصلت إلى وضعها الراقي الحديث.

واللغة مثل الكائن الحي تنشا وتتطور وفق ظروفها البيئية ووفق حاجات السـكان المحليين الـذين يسـتعملونها ولهـذا نجـد مـثلا غـزارة مفـردات اللغـة وتعدد أسماء الحيوانات والنباتات والظواهر والأشياء كلـها تختلـف بـاختلاف البيئـات الطبيعيـة والاجتماعيـة.فلـدى الاسـكيمو مـثلا أكثـر مـن ٤٠ كلمـة تصف الثلج بتعدد أشكاله ومواسمـه. ولـدى العـرب مـا يزيـد عـن ذلـك في وصـف السـيف أو الفـرس أو الجمـل. وعنـد الشـعوب المتخلفـة في تطورهـا الاجتماعي مقدار ضئيل من الكلمات التي تعتبر من المجردات (المدركات العقليـةConcepts). وفي كـثير مـن اللغـات المعاصـرة يتعـذر وجـود أسمـاء لأجـزاء السـيارة مـثلا وللمصـطلحات في الفيزيـاء النوويـة أو الرياضـيات العالية.

باسـتطاعة اللغـات أن تواكـب سـير العلـم والمدنيـة الحديثـة عنـد نشـوء الحاجة إليها بارتفاع المستوى الثقافي للمجتمع الذي يستعملها.

مـن غـير الجائز علميا تقسيم اللغـات المعاصـرة إلى بدائيـة وراقيـة علـى أسـاس فقـدان الأولى للمصـطلحات العلميـة والحضـارية لان هـذا الافتقـار ناجم عن التخلف الثقافي للسكان وانه يزول بزواله.فقد مـر زمـان كانـت فيـه اللغات الأوربية الكبرى الفرنسية والانكليزية والألمانية والروسية مثلا مفتقـرة إلى المصطلحات العلميـة والحضـارية. وكمـا إن هـذه اللغـات تطـورت بتطـور ثقافة شعوبها فكذا الحال في اللغات الأخرى التي هي دونها بمستوى التطـور الاجتماعي بفعل تخلف الناطقين بها حضاريا.

التقـدم العلمـي والحضـاري لـه بـالغ الأثـر في التطـور اللغـوي مـن حيـث

غزارة المفردات العلمية والحضارية على كل حال.

إذن فاللغة تتطور بفعل التطور الحضاري للمجتمعات ووفق الحاجات الملحة للتعبير عن الأشياء.واللغة تعتبر الأس الذي تعتمد عليه الحضارة وتطورها مستقبلا وهذا يبين نهضوية تفكير رجل كالعلامة نوري جعفر أولى اهتماما كبيرا بفلسفة اللغة كأساس لتطور المجتمعات وكما سنرى في بقية الفصل.

## اللغة والحضارة/

كما وتعتبر اللغة من المدركات الحسية الهامة على نشوء الحضارة والتجاوب الإنساني بين المجتمعات فللغة الأثر البالغ في إشاعة حضارةامة وهي الوسيلة الأساس لنمط التفكير لدى الأمم ، كذلك فان اللغة تدل على مقياس التطور الذي تتجه إليه الأمة وكلما ازدادت لدى الأمة المصطلحات المعبرة عن آلامها وآمالها وتطلعاتها كلما تدل ذلك على تطورها الابستمولوجي (المعرفي) فللغايات المعرفية تراتبيات زمنية تبدأ من اللغة عند تطورها وتبلغ أقصى الغايات في نشوء المعارف على يد اللغة من هذه المنطلقات اهتم المفكرون باللغة واعتبروها هاجسا تطويريا للحضارة ولنشوئها على مر الأزمان ، حيث احتلت اللغة منذ نشوئها وفي مجرى تطورها المكان الأول والاهم في حياة الإنسان وفي علاقاته ببعضه وبالطبيعة.واللغة في حقيقتها هي التي جعلت الإنسان يتخطى حدود خبرته الشخصية المباشرة الناجمة عن احتكاكه المباشر بالطبيعة ويتخطى معها أيضا خبرة النوع الإنساني البيولوجية ، التي يرثها عن أسلافه. ومكنته من تنسيق جهوده مع غيره وتوحيدها في مجرى مشترك جعل تداول الخبرة

ممكنا بين الأفراد والمجتمعات والأجيال. وقد احدث هذا تبدلا جذريا ونوعيا في تكوين الخبرة الفردية عند الإنسان بشكل تخطى حدود ما هي عليه لدى الحيوانات الراقية: فليس في متناول الحيوان الراقي سوى خزون انطباعاته الحسية عن الطبيعة التي يعيش فيها ، التي اكتسبها في مجرى حياته اليومية الفردية والتي يفنى بفنائه في حين إن الإنسان مزود بخبرة الأجيال السابقة التي يكتسبها عن طريق اللغة ، المنطوق بها والمدونة:أي ان اللغة أداة اجتماعية تنقل التراث الاجتماعي عبر المجتمعات والأجيال ومن شخص إلى شخص بالحديث ، أو الكتابة وان الآثار الفكرية للأفراد والمجتمعات لا تفنى بفنائها.

وهنا يعتبر العلامة نوري جعفر إن في الكلمة أية كلمة في أية لغة تكون في العادة مشحونة بجوانب انفعالية بالإضافة إلى جانبها الفكري معناها مختلفة العمق بالنسبة لمن يتحدث بها أو يكتبها وبالنسبة أيضا للسامع والقارئ فكلمة «جمل» و«صحراء»و «سيف» ترتبط بالنسبة لابن الصحراء عموما (مع اختلاف واضح بين القبائل وبين أفراد كل منها) بمشاعر سلبية أو ايجابية حسب أثرها السابق في مجرى حياته اليومية ، بالإضافة بالطبع إلى دلالاتها: كونها اسم لشيء مادي محسوس ، ويتجلى تشبع الكلمات بالمشاعر في الشعر والأدب عموما ولهذا فان ترجمة التراث الأدبي وبخاصة الشعر من لغة إلى لغة أخرى تقتصر في أفضل الضروف على الجوانب الفكرية الضيقة وتترك وراءها ثروة ضخمة من المشاعر لا تقوى على نقلها من لغتها الاصلية إلى أية لغة أخرى ، وتصبح ترجمة المعنى نفسه في حكم المستحيل في حالة الاستعمالات المجازية التي لا يقتصر غموضها على الترجمة من لغة إلى أخرى وإنما هو يتضح أيضا

لدى أبناء اللغة الواحدة[1]. من ذلك مثلا ما روته كتب الأخبار العربية من قصص طريفة في هذا الباب: منها مثلا: إن رجلا قال أتيت الجمحي أستشيره في امرأة أردت التزوج بها.فقال: أقصيرة أم غير قصيرة؟ قال الرجل: فلم افهم ذلك.فقال لي: كأنك لم تفهم ما قلت !! أردت بقولي قصيرة أهي قصيرة النسب تعرف بابيها أو جدها..... وذكر رواة العرب أيضا إن عبد الله بن سلام رأى على رجل ثوبا معصفرا فقال له: لو إن ثوبك هذا في تنور اهلك أو تحت قدرهم كان خيرا فذهب الرجل واحرق ثوبه فلما بلغ ذلك عبد الله قال ما أردت هذا بل قصدت لو صرفت ثمنه إلى دقيق تخبزه أو حطب تطبخ به كان خيرا. وذكروا أيضا إن امرأة وقفت على قيس بن عبادة فقالت أشكو إليك قلة الفأر في بيتي. فقال: ما أحسن ما درت عن حاجتها املئوا بيتها خبزا وسمنا ولحما[2].

### الاساس الفسلجي للغة:/

وهنا يضع نوري جعفر تفسيرات عدة لهذا الموضوع ومنها:

### اولا:/ المراكز المخية اللغوية:/

حيث يفصل نوري جعفر االمراكز المخية اللغوية ومناطق تواجدها وصلاتها بالبصر والسمع وقد ثبت علميا ان النشاط العصبي الاعلى او الحياة العقلية يتركز عند الانسان في مناطق او مراكز الكلام المخية الموجودة في القسم الامامي الاعلى من القشرة المخية «الفصيين الجبهيين»

---

١ - نوري جعفر، اللغة ومنزلتها في حياة الإنسان، آفاق عربية، (دورية)، بغداد، كانون الأول، ١٩٧٥م، العدد٤، ص٤٣.

٢ - المصدر السابق نفسه.

كما ثبت ايضا ان هذا النشاط يؤثر في النشاط العصبي الادنى (او الحياة الانفعالية) عند الانسان الذي يتركز في الاقسام الدنيا من الدماغ (الاقسام الواقعة تحت المخ) ويتاثر به وان هناك تاثيرا متبادلا بين النشاط المخي اللغوي الذي ينفرد به الانسان وبين النشاط المخي الحسي الذي تشترك فيه مع الانسان الحيوانات الراقية الاخرى من جهة وبين النشاط العصبي الادنى من جهة اخرى.

كما ويشير نوري جعفر الى ان التفكير غير ممكن الحدوث دون سند من الادراك الحسي الذي هو مصدره الذي يمده بمحتواه.معنى هذا ان من غير المستطاع ان نعزل عزلا تاما عملية التفكير المجرد عن عملية الادراك الحسي والادراك الحسي نفسه عند الانسان الحديث كما بينا ليس حسيا صرفا بمعنى انه غير مرتبط بشكل او باخر بالجانب الاجتماعي.فالادراك الحسي اذن هو منطلق التفكير المجرد وهو الذي يمده بمحتواه[1]ونرى نوري جعفر يفصل تفصيلا دقيقا المراكز المخية اللغوية ويحدد مهامها ويذكر تجارب كثيرة اجراها علماء غربيون تخص فسلجة دماغ الانسان ويحدد من خلال كلامه بان وظيفة الكلام التي ينفرد بها الانسان فسلجيا (ومن الناحية الاجتماعية) تستلزم مساهمة او اشتراك القشرة المخية باسرها مع ان هذه الوظيفة ترتبط في الاصل من حيث التخصص الضيق باحد المراكز المخية الكلامية. ويذكر نوري جعفر كيف تطورت مسالة اللغة عند الانسان ابتداء من انسان نندرثال وحتى الوضع الحالي من حيث وجود سلسلة طويلة من التحولات الجسمية والاجتماعية التي مرت بها البشريات المنقرضة ويثبت نوري جعفر بوجود صلة وثيقة وتاثيرا متبادلا في

---

١ - نوري جعفر، اللغة والفكر، الرباط، مكتبة التومي، ١٩٧١، ص٣٩- ٤٠.

مجرى عملية التطور البيولوجي والاجتماعي بين المراكز المخية اللغوية الثلاثة (المركز المخي اللغوي الحركي المختص بنطق الكلمات والمركز المخي اللغوي البصري المختص بقراءة الكلمات وبجهاز النطق (الحنجرة واللسان والشفتين والحبال الصوتية) من جهة وبين محتوى اللغة (المعاني التي تحملها الرموز اللغوية المتحدث بها والمقروءة) من جهة اخرى.

## ثانيا/الجوانب الفسلجية الاخرى:/

ويذكر فيه نوري جعفر اشارات حول كيفية نشوء عضلات خاصة بالنطق بالاصوات البدائية على هيئة كلمات مبهمة تتميز من بعض الوجوه عن اصوات الحيوانات الراقية وتشبهها من حيث الاساس من ناحية كونها صيحات مبهمة لا تحمل فكرا معينا.

بل هي تعبر عن اشياء مادية محسوسة تعبيرا بدائيا وعن حالات انفعالية خاصة ويبين نوري جعفر كيف ان هذه العضلات في الاصل تمثل امتدادا لعضلات الجسم الاخرى المسئولة عن الاستجابات الحركية االمتعددة والفورية التي يمارسها الجسم في ارتباطاته البيئية عند قيامه بهذا العمل او ذاك اثناء تكيفه للبيئة المعاشية. وهكذا يبين نوري جعفر هذه الامور الفسلجية ويتوسع في عملية شرحها كثيرا.

## محتوى اللغة او مضمونها:/

### أ- لغة الاشارات:/

ويبين نوري جعفر من خلال هذه الفقرة البحثية ان الجمادات لديها لغة خاصة بها ، فالسحاب يتحدث عن المطر والرياح تتكلم عن اقتراب العاصفة وانحناء اغصان الاشجار ينبيء عن هبوب النسيم والدخان يدل

على النار. غير ان هذه اللغة تنبيء ولا تتحاور.[1] ومثال اخر على لغة الاشارات المالوفة: لو ان شخصا يلوح من بعيد باحدى يديه بشكل يثير الاهتمام. فاذا وقف من ينظر الى تلويح اليد موقف غير المكترث (او غير المهتم او غير المعني به) فان هذا التلويح يصبح عنده مجرد حركة في الهواء الملامس غير ذات اهمية او دلالة او مغزى. اما اذا جلب ذلك التلويح باليد اهتمام من ينظر اليه واصبح ذا دلالة عنده فانه يقف موقف المهتم بتفسير معناه: فيسال نفسه: أهذا الشخص يستغيث؟ ام انه يحذر من خطأ محدق؟ فيقترب منه في الحالة الاولى ، لاغاثته ويبتعد عنه في الحالة الثانية لتفادي الخطر المحتمل الذي يحذره منه ، معنى هذا انه يختار احد موقفين متنافرين ازاء ذبذبات في الهواء متماثلة من الناحية المادية ، ومثال اخر يجري هذا المجرى من بين الاف الامثلة التي تزخر بها الحياة يتضح ايضا انه لا بد في لغة الاشارات (وفي لغة التخاطب بالكلمات) من توافر شخصين على الاقل احدهما الذي تصدر عنه الاشارة والثاني الذي توجه الاشارة اليه وان الاشارة هذه او الرسالة لا تتحول الى اداة اتصال فكري بينهما الا اذا فهمها الشخص الثاني بالمعنى الذي يقصده الاول وكيف سلوكه وفق ذلك. اما اذا فسر معناها على وجه اخر فان الصلة الفكرية تنقطع بينهما ولم تعد الرسالة اداة اتصال.

والاشارات التي هي من هذا القبيل يستحيل حصرها وادواتها متعددة يستحيل حصرها هي الاخرى قد تقوم بها اليد احيانا وقد يقوم بها الفم او الحاجبان او اللسان او الرجل او الراس بالاضافة الى الادوات المصنوعة التي تستحيل الاحاطة بها وقد تقوم بالتقاطها العينان او الاذنان.

---

١ - المصدر السابق نفسه، ص٥٠

وهنا وبعد هذا الشرح العلمي الدقيق ياتي نوري جعفر ليزاوج مرة اخرى بين التراث وما توصل اليه العلم الحديث حيث يقول المرحوم نوري جعفر« يلوح تاريخيا ان النار والدخان كانا اكثر الاشارات اللغوية استعمالا في التخاطب في المجتمعات البدائية.فقد اوقدت النار ليلا في العراء او في الاماكن المرتفعة ليهتدي بها السائرون وقصة حاتم الطائي معروفة وابياته مشهورة:/

**اوقد فان الليل ليل قر　　　والريح يا غلام ريح صر**

**عسى ان يبصرها المعتر　　　فان جلبت ضيفا فانت حر**

واما الدخان فقد استعمل نهارا للغرض نفسه بالنظر لانتفاء الحاجة الى استعمال النار بفعل ضوء الشمس[1].

**ب- لغة الرموز:/**

وتؤلف الاصوات التي تنقلها حاسة السمع والرموز المكتوبة المرئية التي تنقلها حاسة البصر ، مايسميه بعض علماء الفسلجة المنظومة الاشارية الثانية التي ينفرد بها الانسان وحده.

فالانسان ينفرد دون سائر الحيوانات الراقية بانه يمتلك (بالاضافة الى منظومة التاشير الحسي التي يشترك فيها مع الحيوانات الراقية) منظومة اشارية كلامية نشات بعد المنظومة الحسية تاريخيا ، وبالاستناد اليها وبالعمل جنبا الى جنب معها. وقد احتلت اللغة ومنذ نشوئها وفي مجرى تطورها المكان الاول والاهم في علاقات الانسان مع البيئة المحيطة واخذت الكلمات بمرور الزمن تعبر عن جميع الاشارات الحسية وتحل محلها وتستثير

---

١ - المصدر اعلاه، ص٥٥.

الاجابات الفسلجية التي تستثيرها مسمياتها. ويركز نوري جعفر رحمه الله على ان اللغة نشأت وتطورت تأريخيا جنبا الى جنب مع نشوء ظروف العيش الاجتماعية وتطورها[1] اي ان اللغة من حيث هي ظاهرة اجتماعية تم نشوؤها في مجرى نشاط الانسان الاجتماعي وفي زخم مغالبة الطبيعة وبسببه بعد ان نضجت معها وبتاثيرها وتمهيدا لها امكانيات فسلجية خاصة تتعلق بالجهاز العصبي المركزي وجهاز النطق وحاستي السمع والبصر وهيئة الجسم عموما وبخاصة اليدان والقدمان.

ثم يبين العلامة جعفر ارتباطات اللغة بايولوجيا حيث ان قدرة الانسان على الكلام ترتبط بايولوجيا كما يرتبط الكلام نفسه بتطور الجهاز العصبي المركزي وبخاصة القشرة المخية لاسيما الفصان الجبهيان وبتطور الحواس لاسيما السمع والبصر وانتصاب القامة وتطور القدمين واليدين وبخاصة موقع الابهام بالنسبة لاصابع اليد الاخرى واتساع وظائفه :وهي ظواهر اجتماعية تاريخية النشاة وان كانت جسمية التركيب.

### ج- لغة الطفل:/

وفي هذا المبحث يعطي نوري جعفر توصيف بايلوجي لوجود ثلاثة مراكز مخية لغوية في القسم الامامي الاعلى من القشرة المخية الايسر لدى اغلبية الناس وفي الفص الجبهي لنصف الكرة الايمن عند اقلية ضئيلة لا تتجاوز ٥% تستعمل يدها اليسرى في الكتابة واستعمال الادوات.ويشرح نوري جعفر في هذا المبحث طريقة حدوث الصوت كما يؤكد ان الدراسات الفسلجية الحديثة دلت على ان المراكز المخية اللغوية هذه لا تنمو جميعا بشكل متناسق عند الطفل بعد الولادة ، كما يبين الدكتور ان

---

١ - المصدر نفسه، ص٥٦

القدرة على تعاطي الكلمات ليست صفة فطرية خلقية موجودة لدى الانسان منذ الولادة بل تاتي بالمعايشة مع المحيط كما ان الاصوات التي تنبعث من الطفل بعد الولادة مباشرة هي اصوات بايولوجية بحتة غير متعلمة على غرار اصوات الحيوانات ويتضح هذا بشكل ملحوظ في حالات الاطفال الذين عاشوا منذ طفولتهم الاولى بين الحيوانات عندما تعذر عليهم تعلم الكلام بعد ان اعيدوا الى احضان المجتمع كما سنرى[1]، هذا يعني ان الاساس الفسلجي للكلام وان كان شرطا لا بد منه لحدوث القدرة على النطق بالكلمات بالفعل وقراءتها الا انه لوحده غير كاف فلا بد من مجتمع يمارس فيه الطفل امكانياته الفسلجية عن طريق التعبير الفعلي بالكلمات ، وهنا تلعب اللغة الدور الحاسم في نشوء عقل الطفل وتطوره عندما يبدأ بالتقاط الكلمات من المجتمع الذي يعيش فيه باعتبارها اداة فكرية موضوعية مادية خارجية في اول الامر (مثل الوظائف العقلية العليا الاخرى) ثم تصبح لغته الخاصة او الذاتية الشخصية فتدخل في كيانه الفسلجي المخي. واللغة هي ظاهرة اجتماعية من حيث المحتوى نشأت وتطورت عبر الاجيال يكتسبها كل فرد مجددا اثناء حياته اليومية من المجتمع الذي يعيش فيه. واكتسابها يعني من الناحية السايكولوجية نشوء وظائفه العقلية العليا الاخرى التي لم تكن موجودة لديه فطريا. والطفل يكتسب اللغة من الام بالدرجة الاولى لتاثيرها السايكولوجي عليه ومن الافراد الذين يحيطوه بالدرجة الثانية فالراشدون المحيطون بالطفل يوجدون عن طريق اللغة اشكالا جديدة من اشكال الواقع الذي يعيش فيه الطفل تكون اعمق واكثر اتساعا وتعقيدا من تلك الاشكال التي تحدث اليه بالاستناد الى خبرته الشخصية المستندة الى

---

١ - المصدر نفسه، ص٦٦

احتكاكه المباشر بالبيئة التي يعيش فيها ، اي ان العلامة نوري جعفر يضع اهمية كبيرة لوضع الطفل داخل بيئته وانه بصلاح البيئة المحيطة بالطفل سيصلح الطفل ولغته وطريقة تفكيره بالنتيجة.

## الاطفال الذين ترعرعوا خارج المجتمع الانساني:/

عثر على اطفال اختطفتهم الحيوانات بعد ولادتهم مباشرة وعاشوا بينها فترة من الزمن وذلك في ازمنة مختلفة حدث اقدمها في العام ١٥٤٤م واخرها في عام ١٩٦٢ وفي اماكن متعددة وبلغ مجموع الحالات اكثر من ٣٠ حالة وذكر نوري جعفر عدد من قصص هؤلاء الاطفال وذلك ليبين ان اساس اللغة ليس فطريا وانما بالاضافة الى المراكز المخية والاهمية البايولوجية كاساس للغة ولكن يبقى الجانب الاجتماعي هو الاهم من كل هذه الجوانب. والدليل ان هؤلاء الاطفال نشؤوا في الغابات بعضهم مع الحيوانات ولكنهم لم يتعلموا اللغة لعدم رؤيتهم البشر. ومنهم:/

أ- طفل عثر عليه في المانيا عام ١٨٢٥ والذي يبدو انه كان حبيسا في غار لبضع سنوات ، وكان ضعيفا جسميا ومن ناحية تطوره الاجتماعي كان بدائيا حتى بالقياس بالاطفال الذين التصقوا ببعض الحيوانات وعاشوا مع صغارها.

ب- الطفل الذي عثر عليه بالهند عام ١٩٥٦ بين قطيع من الذئاب وكان عمره ٩سنوات وقد لوحظ ان مستوى تطوره العقلي لم يتجاوز مستوى التطور العقلي لطفل في الشهر التاسع من عمره. ونظرا لاصابته بجروح بليغة في معصميه ورسغيه بفعل اعتداء الحيوانات فقد وضع تحت المعالجة الطبية فور العثور عليه ويلوح انه اعتاد بالتدريج

بفعل التدريب المتواصل على ان يالف الحياة الاجتماعية ولو بشكل بدائي ، فبدت عليه امارات المشي على قدمين وتناول الطعام المطهي[1].
وقد ذكر العلامة نوري جعفر هذه القصص ايضا في كتابه «الفكر طبيعته وتطوره» الذي صدر عام ١٩٧٧م وتكاد تكون اغلب الموضوعات التي تخص اللغة في هذا الكتاب تشابه موضوعات كتابه «اللغة والفكر» الذي صدر عام ١٩٧١.

يتضح مما ذكرنا ان جميع الاطفال الذين حرموا الحياة الاجتماعية بعد ولادتهم مباشرة والذين عاشوا بين الحيوانات قد تعلموا منها حياتها وكيفوا اجسامهم وفق مستلزماتها وبفضل قدرة دماغ الانسان على التكيف لمختلف الضروف البيئية فان الطفل يتعلم في هذه المرحلة المبكرة من حياته صيحات الحيوانات بحكم عيشه بينها ، وان تلك الامكانات المخية المرنة عند الطفل تعود في الاصل النشوئي الى البشريات المنقرضة (اسلاف الانسان العاقل).

ويبين نوري جعفر مسالة في غاية الاهمية وهي ان الكلمة المتحدث بها او المكتوبة يستجيب الانسان لمعناها وليس لصوتها ففي حالة تعبير عدة كلمات ذات اصوات مختلفة ورموز مكتوبة متعددة عن معنى واحد فان الاستجابة نفسها تحدث في جميع الاحوال ، وقد ثبت ذلك مختبريا ويؤيده مجرى الحياة اليومية ، ويثير العلامة جعفر سؤال:كيف يتم الاتصال الفكري او التفاهم او نقل الانطباعات الحسية والمعرفة النظرية من شخص الى اخر عن طريق اللغة المتحدث بها في اول الامر ثم المكتوبة بعد ذلك؟او كيف يتم الاتصال الفكري في المدرسة مثلا بين المدرس والطلاب عن طريق الكلام المنطوق به؟ ويجيب عن هذين السؤالين بسوقه مثالا وهو:

---

١- المصدر نفسه، ص٧٤

يقف المدرس امام الطلاب وينتقي من بين حشود الكلمات المسجلة في المراكز المخية اللغوية كلمات معينة تحمل الافكار او المعاني التي يود ان يتحدث بها اليهم في موضوع معين ثم تنطلق هذه الكلمات على هيئة رسائل عصبية كلامية من المناطق الكلامية المخية الحركية عبر الاعصاب الحركية المختصة بنقلها الى جهاز النطق الذي يقذف بها على هيئة اصوات معينة الى الهواء الملامس الذي يفصله عنهم ويربطه بهم في ان واحد ، فتتحول الى ذبذبات صوتية تلتقطها المستقبلات الحسية السمعية المنتشرة في أُذني كل منهم فتتحول ثانية الى رسائل عصبية كلامية حسية تنقلها الاعصاب الحسية السمعية الى المركز المخي الكلامي السمعي الموجود لدى كل منهم فيترجمها هذا بدوره الى كلمات وافكار ملتحمة بها على نسق الافكار التي يود المدرس ان يوصلها اليهم ، ثم تصدر الاوامر المخية لدى كل منهم فيتخذ الموقف الملائم ، ويحدث اثناء القراءة شيئ يشابه ما ذكرناه من حيث المبدأ سوى ان عملية الابصار تحل محل عملية السمع فتنطلق من الرموز المكتوبة امواج ضوئية ذات اطوال معينة تلتقطها المستقبلات الحسية البصرية عند القارئ وتنقلها على هيئة رسائل عصبية حسية بصرية كلامية عن طريق الاعصاب الحسية البصرية الى المركز المخي الكلامي البصري الموجود لدى القارئ فتترجم هناك الى كلمات وافكار ملتحمة بها على غرار الافكار التي يريد الكاتب ان ينقلها[1] يتضح اذن ان اللغ وسيلة او اداة اجتماعية وان الكلمات المنطوق بها والمكتوبة واسطة نقل المواد المدرسية المختلفة الى الطالب عن طريق

---

١ - نوري جعفر، الفكر طبيعته وتطوره، طبيعة الانسان في ضوء العلم الحديث، الحلقة الاولى، منشورات مكتبة التحرير، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٧٧، ص٢٤٧

عمليتي السمع والبصر وجهاز النطق،معنى هذا ان للكلمات وجودا ماديا مستقلا وموضوعيا.

## اثر اللغة في الانفعالات:/

وفي هذا الموضوع يبين نوري جعفر دور الكلمات المتحدث بها بحكم اهميتها الفسلجية والاجتماعية الكبرى وموقف الانسان تجاه نفسه والاخرين من خلال هذه الكلمات فالانفعالات او المشاعر هي محركات السلوك او دوافعه الرئيسة وتتوقف عليها ايضا حياة الانسان الفكرية وذلك لان عملية التفكير نفسها لاتحدث الا اذا استلزمتها حالة انفعالية اثناء مواجهة الشخص مشكلة عملية او اجتماعية يتحتم عليه حلها غير ان مهمة الانفعالات او المشاعر او العواطف تنتهي عند اثارة عملية التفكير وذلك لان الانفعالات بطبيعتها طائشة مندفعة لا تسمح لصاحبها ان ينظر الى الامور بهدوء ، وقد ثبت في ضوء فسلجة بافلوف ان بعض الاضطرابات العصبية الانفعالية يؤدي في كثير من الاحيان الى الاصابة بالبول السكري او بتضخم الغدة الدرقية او الى اضطرابات في وظائف القلب وجهاز الهضم او الدورة الدموية كما ثبت ايضا وجود حالات تم التغلب فيها على بعض الامراض عن طريق استثارة مشاعر ايجابية نشطة وقد كشف بافلوف ايضا عن الاساس الفسلجي لعلاج الاضطرابات العصبية «علاجا سايكولوجيا» فادخل هذا العلاج في حضيرة العلم وبين ايضا الاثر العلاجي العميق الذي تتركه في القشرة المخية الكلمات الرقيقة المشجعة التي تبعث الثقة بالنفس وذلك لان الكلمات عنده منبهات شرطية لفظية قوية. وهي ايضا في الوقت نفسه عامل اجتماعي

فعال. والعبارات الرقيقة عميقة الاثر في ديناميكية القشرة المخية كما انها توجه اهتمام المريض توجيها سليما وتساعده على جعل انفعالاته وافرازات غدده الصماء وعملياته الفسلجية الاخرى تعمل بتكاتف وتماسك وبهيئة ايجابية فعالة نحو تحقيق حالة استقرار سايكولوجي. وقد تحدث بافلوف كثيرا عن الانفعالات السلبية الحادة التي تستثيرها عبارات اللوم او التقريع والازدراء وعن الاضطرابات النفسية الناجمة عنها: فالكلمات الجارحة تحدث تغيرات فسلجية عميقة في الجهاز العصبي المركزي وبخاصة الضعيف منه[1] معنى هذا ان الانهيار الذي يعتري الشخص المهان يحصل بفعل كبته مشاعره الجريحة على مضض لعوامل اجتماعية لاسيطرة له عليها ، فلا شك ان الشخص الذي توجه اليه كلمات نابية او جارحة او قارصة لغرض اهانته في ظروف اجتماعية لاتسمح له بالرد على الاهانة بالقول او الفعل يتعرض لاضطرابات انفعالية عميقة ربما تؤدي به الى الانهيار العصبي كما اسلفنا والسبب الفسلجي في ذلك يتناوله نوري جعفر في كتابه «الفكر طبيعته وتطوره» والسبب هو تعذر تغلبه على الصراع الداخلي الذي يساوره بفعل تحميله عملية الكف المخي عبئا فسلجيا ثقيلا تنوء به قدرتها على التحمل. والكلمات الجارحة تحدث تغيرات فسلجية عميقة في المخ لاسيما لدى ذوي نمط الجهاز العصبي الضعيف والنمط القوي[2]

وبالعودة الى وقع الكلمات المعبر عنها باللغة على الانسان فيعتبر نوري جعفر ان الكلمات الرقيقة هي نفسها تحدث في الواقع تبدلات في الخلايا

---

١ - طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف، الجزء الثاني، النوم الاحلام الاضطرابات العصبية، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٧م.ص١٩٠- ١٩١

٢ - نوري جعفر، الفكر طبيعته وتطوره، ص ٢٩٦

العصبية المخية ذات فائدة تكيفية للانسان ، فكلمة (هدوء) مثلا او (اهدأ) تغـير الى الاحسـن نشـاط القلـب ، وقـول الطبيـب للمـريض مـثلا (ان جسمك مستريح الان) يساعد بالفعل على جعله مستريحا. ولهذا يجد نوري جعفر بالعامل السايكولوجي الاهمية البالغة الايجابية في الطب الحديث وقد ثبت طبيا ان اثر الكلمات الرقيقة الفسلجي (البايوكيمياوي في الاصل) في جسم المريض له ناحية علاجية شفائية مهمة.

فالكلمات التي يوجهها الطبيب للمريض اثناء الفحص والعلاج تستثير استجابات فسلجية خاصة. ولهذا نجد الاتجاه العلاجي الحديث يستلزم الكياسة ونبذ استعمال الكلمات التي قد تثير االهواجس لدى المريض او تفقده ثقته بنفسه وتعزز انطباعاه المرضية التي توحي له باستعصاء مرضه[1] لذلك يستلزم ايجابيا ان يوجه الطبيب الى المريض الكلمات الرقيقة التي تحمل التفاؤل واالاطمئنان وتوقع الشفاء السريع.

### دور اللغة والايحاء اللفظي في العلم والتعلم من خلال المدرسة:

وتلعب الكلمات الجارحة والرقيقة التي يوجهها المعلمون الى الاطفال دورا بالغ الاهمية في مشاعرهم وانماط سلوكهم وفي علاقاتهم ببعضهم وبالمدرسة فللايحاء اللفظي اثار بعيدة عميقة الغور ايجابية وسلبية في حقل التعليم سبق وان اشرنا الى بعضها: فالكلمات الجارحة تؤذي القشرة المخية لدى كثير من التلاميذ لاسيما ذوي نمط الجهاز المركزي الضعيف ونمط الفنانين وتزداد حدة هذه الايذاء في اوقات الامتحانات بصورة خاصة واثناء استدعاء صغار التلاميذ الى السبورة مثلا وتوجيه اسئلة محرجة في الصف. وفي جميع الحالات

---

١ - نوري جعفر، الفكر طبيعته وتطوره، مصدر سابق، ص٢٩٤

الاخرى التي تتعرض لها القشرة المخية للارهاق. ويحدث العكس عند توجيه الكلمات الرقيقة التي تبعث الثقة بالنفس وفي ادبيات العلاج السايكولوجي في الاتحاد السوفيتي امثلة كثيرة منها ما يلي:/

لوحظ ان احدى الطالبات مرحلة الدراسة الثانوية تعاني من حالة فزع (هلع او ذعر) اثناء الامتحان فترتبك وتقع في اخطاء شنيعة مخجلة تستغرب هي نفسها من ارتكابها اياها بعد انتهاء فترة الامتحان.يضاف الى ذلك فقدانها للشهية للطعام وتعرضها لحالة ارق مؤقت مزعج وتقاعس عن انجاز واجباتها المدرسية المعتادة مما يسبب لها متاعب كثيرة ويعرضها للتقريع او اللوم الممض.وبعد تحليلها سايكولوجيا بشكل علمي ثبت ان جذور اضطراباتها العصبية والسايكولوجية المصاحبة تعود في الاصل الى انها عندما كانت في مرحلة الدراسة الابتدائية كانت قد نقلت من مدرستها التي الفتها واحبتها الى مدرسة اخرى استقبلتها المعلمة الجديدة منذ اليوم الاول بمشاعر سلبية شرسة وبكلمات مهنية قاسية محرجة ، لا تقوى على احتمالها من حيث الرد عليها. وقد اخذت المعلمة تستدعيها باستمرار الى السبورة وتوجه اليها اسئلة محرجة امام زميلاتها ولاتعطيها الفرصة الكافية للتفكير وتلاحقها بالكلام القارص والنظر الشزر.وقد عولجت بالايحاء اللفظي المناسب والكلمات الرقيقة المشجعة التي بعثت ثقتها بنفسها واستعادت بعد ذلك صحتها ورونقها ونشاطها[1] حيث من الملاحظ ورود هذه الامثلة في مصدرين اشرنا اليهما في الحاشية وتعتبر ظاهرة التكرار في

---

١ - نوري جعفر، طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف، مصدر سابق، ٢٠٢- ٢٠٣، وكذلك وردت في اللغة والفكر، مصدر سابق، ص١٦٠ حيث من الملاحظ على الكثير من امثلة الدكتور نوري جعفر التي يسوقها في كتبه يتناولها في اكثر من كتاب.

ورود الكثير من الامثلة سمة بارزة في اغلب كتابات العلامة نوري جعفر ومنها ما ذكره في بعض شواهد التاريخ حيث كرر القصة التالية في ثلاثة مصادر والقصة هي: قال الفرزدق على ما ذكر الاصمعي كنت في المجلس الذي انشد فيه عدي بن الرقاع كلمته «عرف الديار توهما فارتادها.. وجرير الى جانبي. فلما ابتدأ عدي بالانشاد قلت لجرير بسخر: من هذا الشامي؟ فلما ذقنا كلامه يئسنا منه.فلما بلغ الى قوله: تزجي أغن كأن ابرة روقة... وعدي كالمستريح قال جرير: اما تراه يسكب فيها مثلا؟ قلت:لكع انه يقول «قلم اصاب من الدواة مدادها». فقال جرير: اكان سمعك مخبوا بصدره؟ قلت اسكت «شغلني سبك عن جيد الكلام» حيث وردت هذه الحادثة في كتابه «اراء ومواقف تربوية ونفسية صائبة في التراث العربي الاسلامي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص٦ ووردت كذلك في كتاب: «دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية الاقتصادية في الوطن العربي» ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٣م ، ص٦٦ووردت كذلك لديه في كتاب سايكولوجيا ادب الجاحظ ، في مقدمة الكتاب وقد ذكرها في المقدمة ايضا في كتابه اراء ومواقف تربوية ونفسية صائبة الذي مر ذكره في اعلاه بالنتيجة نرى ان ظاهرة التكرار في كتابات العلامة نوري جعفر تشكل ظاهرة ملموسة سوف نشير اليها اين ما تمر بنا في كتاباته. ونستطيع تلخيص ما مر ذكره من اثر اللغة على المتلقي في ضوء دراسات نوري جعفر بالشكل التالي:/

١- تنبيه المدرسين وبخاصة في مرحلة الدراسة الابتدائية وما قبلها الى انهم ينبغي ان ياخذوا بعين الاعتبار نشوء حالات انفعالية –عنيفة احيانا- يمر بها كثير من التلاميذ في جميع مراحل الدراسة في ايام الامتحانات التحريرية والشفوية او عند استدعائهم الى السبورة او

عند توجيه اسئلة محرجة اليهم اثناء المناقشة.

٢- الضغوط السايكولوجية الناجمة عن ذلك تخلق متاعب كثيرة وكبيرة لاجهزتهم العصبية المركزية واذا رافق ذلك تانيب او ازدراء يوجهه المعلم للمتلكئين منهم الذين يخفقون في تقديم الاجابة المطلوبة (بدل التريث والتشجيع) فان ذلك قد يؤدي الى اصابتهم باضطرابات عصبية والى تبلدهم ايضا وتقاعسهم عن بذل الجهد الفكري المطلوب في المستقبل ونشوء مشاعر المقت والحقد عندهم ازاء الدراسة والمدرسة وربماايضا ازاء المجتمع

٣- ضرورة التغلب على الاثار السلبية للايحاء اللفظي التي مر بنا التحدث عنها وذلك بتنشيط القشرة المخية بفعل الكلمات الرقيقة وعبارات التشجيع التي تبعث الثقة بالنفس والتفاؤل والحزم في مواجهة الصعاب.

٤- ضرورة تدريب التلاميذ وتعليمهم وبخاصة في المراحل الدنيا من السلم التعليمي وفق مبدأ السير رويدا وبالتدرج الصاعد من الاسهل فالسهل والصعب فالاصعب من وجهة نظر التلاميذ ووفق مستوى نموهم الفكري[1].

٥- اغلب هذه الوصايا استوحاها نوري جعفر من معلمه الاكبر بافلوف ومنها ان يعمل المعلمون والاباء والامهات على تدريب عملية الكف وتعويد التلاميذ على الاثارة المتزنة البعيدة عن الطيش وان

---

١ - ذكرت في مصدرين طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف، ص٢٠٥والفكر طبيعته وتطوره، ص٢٩٧ وهذا هو من ظاهرة التكرار التي اشرنا اليها عند العلامة نوري جعفر.

يتذكروا ايضا ان كثيرا من الحالات التي تبدو فيها على التلاميذ امارات التعب انما تنجم عن موقف عاطفي سلبي ازاء المعلم بالذات: اي انها حالات سأم او ضجر او عدم اكتراث (وبضمنها حالات النعاس والتثاؤب وحتى الغفوة او شرود الذهن في الصف) لا حالات تعب فسلجي.

والخلاصة ان اغلب اعتمادات نوري جعفر في تحليل اللغة وعملية الكلام وتاثيراتها الفسلجية على الانسان تنطلق من نظرية بافلوف الشرطية فتحل الكلمة محل الشيء الذي تشير اليه وتستثير العمليات الفسلجية التي يستثيرها الشيء المادي الذي تحل محله ، فكيف مثلا يحل الاسم (ليمون حامض) محل الليمون الحامض الحقيقي المادي المحسوس فيستثير الاسم لعاب الفم تماما كما يستثيره امتصاص الليمون الحامض.فللكشف عن الاساس الفسلجي لهذه الظاهرة السايكولوجية لابد من العودة الى عهد الطفولة التي اثار فيها امتصاص الليمون الحامض لاول مرة في حياة الفرد اثارا حسية فسلجية معينة بصرية وشمية وذوقية في المخ اثناء ارتباط الليمون الحامض بالاسم الذي يطلق عليه عند سماع هذا الاسم او قراءته.وبمرور الزمن يصبح الاسم «ليمون حامض» المنطوق به او المكتوب بديلا عن الليمون الحامض نفسه فيحل محله ويستثير لعاب الفم مثله. معنى هذا بعبارة اخرى ان الاسم يصبح اشارة او تعبيرا عن المسمى بخاوصه الطبيعية التي تستثير لعاب الفم عندما تلامسه. ويصدق الشيء نفسه على جميع الكلمات ، فكلمة يؤلم تكتسب معناها بعد ان تقترن مرات متعددة بالم حقيقي وتصبح تجريدا عنه ، وتعميما له وتستثير

العمليات الفسلجية التي يستثيرها[1]. وبما ان الانسان يتصل بالاخرين عن طريق اللغة وليس عن طريق كلمات منعزلة او متفرقة او مبعثرة ، اذن يتضح ان التعبيرات الانفعالية ترتبط اوثق ارتباط باللغة من حيث عوامل اثارتها ومن ناحية اسلوب التعبير عنها والكلمات ذات اثر فسلجي عميق في نشاط الانسان الانفعالي من الناحيتين الايجابية والسلبية وهذا ما اراد نوري جعفر التركيز والتاكيد عليها.

## اللغة وعلاقتها بالفكر://

الفكر في نظر نوري جعفر هو احد العمليات او الوظائف العقلية او المخية التي تشمل ايضا الذاكرة والانتباه والخيال واللغة ، وقد سميت هذه الوظائف عقلية عليا لان مركزها الجسمي او العصبي او الفسلجي يقع في القسم الاعلى من الدماغ ، وهو عملية فسلجية مخية تمارسها القشرة المخية على شكل موازنة بين الانطباعات الاتية من البيئة المحيطة الجغرافية والاجتماعية عبر اعضاء الحس باستناد الى اللغة والمعرفة واصدار احكام عليها واستنباط نتائج ايجابية منها[2] وهو ارقى اشكال النشاط المخي المنتج عند الانسان اذا اقترن بالخيال السليم. وينفرد به الانسان لانه يستلزم بيئة اجتماعية ابرز مقوماتها اللغة والمعرفة وهما خاصتان بالانسان كما يستلزم ايضا قشرة مخية بلغت ارقى درجات تطورها ينفرد بها الانسان.وما يصدق على الفكر في هذه الناحية يصدق على الوظائف العقلية العليا الاخرى التي تحدثنا عنها وعلى القدرات العقلية الخاصة ، معنى هذا ان للفكر

---

١ - نوري جعفر، الفكر طبيعته وتطوره، مصدر سابق، ص٢٩٣

٢ - المصدر اعلاه، ص١٥٠

ركنين متلاحمين ومختلفين في ان واحد هما الركن الفسلجي المخي او الجسمي الفطري والركن الاجتماعي الثقافي المكتسب.ويزاوج نوري جعفر بين العمليات الفسلجية والاجتماعية وتعتبر هذه المسالة من المسائل المهمة الحداثوية التي تناولها نوري جعفر ، والتي سبق فيها.

والى الان نجد القلة ممن يتناولون هذه المواضيع وليس بالتفصيل الذي تناوله العلامة نوري جعفر الذي مزج بين الفلسفة والمجتمع والفسلجة وهو مزج يكاد يكون تخيلي ولكنه علمي.

كما ويساهم المخ في نشوء الفكر لانه اداته الفسلجية كما تساهم اللغة والمعرفة فيه باعتبارهما يحملان مضمونه او محتواه. اي ان الفكر يستلزم مخا سليما وبيئة اجتماعية ثقافية ملائمة مستقلة عنه وملتحمة به في ان واحد وان وجود احدهما وان كان شرطا لابد منه لحدوث الفكر الا انه بمفرده لا يكونه.

يعبر الركن الاجتماعي عن نفسه لدى الانسان تعبيرا سايكولوجيا او ذاتيا. معنى هذا ان الحياة العقلية عند الانسان او وظائفه العقلية العليا الاجتماعية النشأة في الاصل من حيث المحتوى فسلجية مخية من حيث اداتها الجسمية غير ان الركنين الفسلجي والسايكولوجي رغم تلاحمهما غير القابل للعزل من الناحية العملية يختلفان مع هذا في الطبيعة والوظيفة ومن ناحية النشوء التاريخي الا ان اختلافهما هذ ينبغي الا يبالغ فيه الى درجة القطيعة بينهما والفكر هو مجرد حدوث عملية الموازنة واصدار الاحكام واالتوصل الى النتائج ، معنى هذا ان الفكر من هذه الزاوية عملية ذهنية تحدث في جميع المستويات ولدى جميع الاشخاص الاسوياء.ويفرق نوري جعفر بين الفكر الاعتيادي والفكر الاصيل او الخلاق حيث يعتبر نوري جعفر من باب القدرات العقلية الخاصة والمواهب وقد تحدث نوري

جعفر عن الموهوبين كثيرا وهذا ما سنلمسه في الجزء الثاني من الكتاب والذي سننفرد فيه بنشر بحوث غير منشورة عن العلامة نوري جعفر والتي يتحدث في بعض منها عن ظاهرة الموهوبين واثرها في التعليم.

كما يعتبر ان اصالة الفكر لها ارتباطات بالعبقرية واهم الاراء التي عثر عليها العلامة نوري جعفر في تفسير العبقرية:/ هي:/

**اولا:/** رأي لمبروزو (١٨٣٠م-١٩٠٩م) الباحث الايطالي الذي بحثها في كتابه الذي عنونه « صاحب العبقرية» وبخاصة في الفصل الذي سماه العبقرية والجنون حيث يعتبر لمبروزو ان الشخص العبقري يمتاز بفقدان اتزان تركيب دماغه من الناحية التشريحية.

**ثانيا:/**وجهة نظر السير فرنسس كالتون عالم البايولوجيا البريطاني التي اوضحها في كتابه المسمى«العبقرية الموروثة» الذي نشره عام ١٨٦١ وعرف العبقرية على انها: قدرة عقلية عليا فطرية فريدة ، واضاف كالتون في تفسير طبيعة العبقرية صفات اربع اعتبر ثلاثا منها فطرية وعزا الرابعة الى عوامل البيئة ، والصفات هي:

١- الطلاقة او التدفق: بمعنى جريان الصور الذهنية والافكار عند العبقري جريانا غير عادي يحدث تلقائيا او بصورة عفوية.
٢- الالهام:/ الذي هو عند كالتون حس خفي يدرك الظواهر الغامضة المستعصية بشكل مباشر دون الاستعانة باداة حسية.
٣- التلقي او الاستلام او الاستقبال:/ بمعنى استجابة الذهن العبقري بيسر لما يجري حوله من مؤثرات بيئية غير محدودة المقدار.

٤- الحماسة التي تبدو في المثابرة ومواصلة الجهد الفكري المضني[1]

**ثالثا :/** راي كريتشمر عالم الامراض العقلية الالماني حيث يفسر العبقرية على انها انحراف باثولوجي عصبي وراثي موجود لدى افراد بعض الاسر المصابة بالشذوذ العقلي.ويستشهد باسرة بتهوفن وغوتي وغيرهم من العباقرة.

ويناقش نوري جعفر مسالة الاصالة في الفكر او ما يسمى بالابتكار او الفكر الاصيل او المبتكر ويفسر الابتكار او الاصالة او الخلق او الابداع في حقل العلم والمجال الفني:/ ن حيث هو عملية ذهنية منظورا اليها من زاوية تركيز الانتباه لفترة طويلة من الزمن في موضوع معين ، بالاستناد الى الالمام الواسع العميق به ، هو نشاط عصبي تقوم به خلايا القشرة المخية التي بلغت اثارتها حدها الاقصى وهذا هو راي مقتبس من اراء بافلوف الفسلجية ويضرب مثال في عملية العبقرية بعدد من العلماء ومرة اخرى يقع العلامة نوري جعفر بفخ التكرار حينما يذكر ارخميدس عندما توصل اثناء استحمامه الى حل مسالة رياضية اعياه حلها فخرج الى الشارع جذلا يصيح باعلى صوته« يوريكا..يوريكا» غير ان هذا العمل المفاجئ وليد عمل فكري سابق مستفيض وعميق حيث ذكر هذه الحادثة للدلالة على الابتكار في كتابه «الفكر طبيعته وتطوره ، ص١٧٢» وكتابه «اللغة والفكرص١١٣» ، ويحصل الابداع كما يشير العلامة نوري جعفر في احيان اخرى بنقل رابطة تشابه موجودة بين شيئين مالوفين الى شيئين اخرين يبدوان عديمي الارتباط على غرار ما حدث في اختراع حروف الطباعة فقد جرى على ما يقول يوحنا غوتنبرغ على غرار ما شاهده يحدث

---

١ - نوري جعفر، الفكر طبيعته وتطوره، مرجع سابق، ص١٥٣.

عندما زار معصرة للنبيذ وفي الشعر العربي امثلة يسوقها نوري جعفر لتؤكد هذه الظاهرة ومنها الابيات التالية التي يذكرها حيث ان نوري جعفر يمازج دائما بين ما ورد من تراث عربي وخصوصا الشعر والرؤية الحداثوية مما نستطيع ان نتبين منه كيف انه رحمه الله كان متابعا جيدا للشعر العربي واليك عزيزي القارئ نماذج ثبتها نوري جعفر حول الشعر وحصيلة الابداع العربي علما ان الرابطة الابداعية التي اشار اليها نوري جعفر في اعلاه كررها في مكانيين في كتابه «الفكر طبيعته وتطوره ، مصدر سابق ، ص١٧٤»وفي كتابه اللغة والفكر ص١١٣ وكرر ٣٦ شاهدا شعريا من قصائد عربية ذكرها على انها ابتكارية واعادها كشواهد في كلا كتابيه المذكورين في اعلاه ومن الشواهد المكررة هي :

**وقالوا انتبه من رقدة اللهو والصبا**

**فقد لاح صبح في دجاك عجيب**

**فقلت اخلائي دعوني ولذتي**

**فان الكرى عند الصباح يطيب**

كذلك من الشواهد :

**تباريق شيب في السواد لوامع**

**وما خير ليل ليس فيه نجوم**

كذلك:/

**توهمـــــه طـــــرية فـــــالم خـــــده**

**فصار مكان الـوهم مـن نظـري اثـر**

**وصـــافحه قلـــبي فـــالم كفـــه**

**فمـن صـفح قلـبي في انامـلـه حفـر**

**ومـــر بفكـــري خـــاطرا فجرحتـــه**

**ولم ار خلقـا قـط يجرحـه الفكـر**[1]

كذلك فان جميع التعليقات التي وردت بعد هذه الشواهد في كتابيه الفكر طبيعته وتطوره واللغة والفكر متشابهه جميعها لم يات بشيئ يخالف بعضها في كلا الكتابين وهو من باب ظاهرة التكرار التي وقع فيها العلامة نوري جعفر كذلك فان هذه الشواهد قد اقحمها نوري جعفر في باب قراءته للغة والفكر فالشواهد لم تدلل على المبتغى الذي اراده بل كانت بعيدة نوعا ما عن رؤيته للامور الفكرية ، اما نظريات تفسير صلة اللغة بالفكر فهي كما يلي:

١- نظرية العزل المطلق بين اللغة والفكر ونكران وجود اي اثر

---

١ - ورد هذا الشاهد بالذات في الكتب التالية للعلامة نوري جعفر: الفكر الفكر طبيعته وتطوره، مصدر سابق، ص١٧٦، و اللغة والفكر، مصدر سابق، ص١١٤و«الحب بين القلب والدماغ، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧، ص١٢»وهذا الشاهد يدلل على ظاهرة التكرار التي وقع بها العلامة نوري جعفر.

لاحـدهما في الاخـر.وهـي اقـدم النظريـات ويمثلـها بيركسـون الفيلسـوف الفرنسـي ومفادهـا:/ انتفـاء وجـود ايـة رابطـة او علاقـة او صـلة بـين اللغـة والفكـر وذلـك لاختلافهمـا مـن وجهـة النظـر هـذه في الطبيعـة والوظيفـة ، معنى هذا ان اللغة لا تؤثر في الفكر ولا تتاثر به لانها وعاؤه او اداته المادية او الوسيلة التي يعبر عنها عن نفسه ، ومثلها في هذا الشأن كمثل الاناء بالنسبة للسائل الذي يملؤه او كمثل الطائرة بالنسبة لركابها. يتضح اذن ان نظريـة العـزل تحلـل او تقطع او تجزئ جسـم اللغـة المتماسـك الى عنصـرين منعزلين هما اصوات الكلمات عند نطقها ورموزها او اشاراتها المكتوبة مـن جهة ومعناها او الفكـر الـذي تحملـه او تحتوي عليـه مـن جهـة اخـرى تماما كما يفعل الكيمياوي في مختبره عندما يحلل الماء الى عنصريه المتلاحمين الاوكسجين والهايدروجين.[1]

ويربط نوري جعفر هذه المسالة بتطور الطفل منذ ولادته حيث يلاحظ انه يمر في اول الامر بمرحلة فكر بدائي غير مرتبط باللغة كما ان لغتـه هـي الاخـرى منعزلـة عـن الفكـر ويعلـل ذلـك بعـدم وجـود صـلة في الاسـاس الفسلجي المخي بين محتوى اللغة والفكـر ، لان هذه الصلة التي تحدث بعد ذلك بينـهما هـي رابطـة مكتسبة مـن البيئـة المحيطة تنشأ في مجـرى تطور الفرد ، ولكن نوري جعفر يرد على هذه القضية بان هذا لا ينبغـي ان يفسر بـان اللغـة والفكـر عمليتان منعزلتان عـن بعضـهما كـل الانعـزال ولا توجد رابطة عضوية بينهما وان العلاقات التي تحصل بينهما في مجـرى نمو الفرد والتي حصلت في مجرى نمو النوع الانساني هي علاقات ميكانيكيـة او الية اي ان فقدان الرابطة الفسلجية المخية بينـهما لا يعنـي ان ارتباطهمـا

---

١ - نوري جعفر، الفكر طبيعته وتطوره، مصدر سابق، ص٢٥٠

المكتسب الذي يحصل اثناء نمو الفرد والذي حصل بالفعل في مجرى تاريخ النوع الانساني هو ارتباط ميكانيكي عارض يظهر على هيئة فكر لفظي او فكر معبر عنه بالكلمات المنطوق بها او المكتوبة وان هذا الفكر اللفظي هو عملية اندماج او انصهار تحصل بين الفكر المحض الذي لا يرتبط باللغة في الاساس وبين اللغة الصرفة التي لا علاقة لها في الاصل بهذا الفكر المحض كما ظن اصحاب هذه النظرية. وقد ورد نص هذا الكلام حول هذه النظرية في كتابي نوري جعفر «الفكر طبيعته وتطوره ، ص٢٥٢»و«اللغة والفكر ، ص١٢٢-١٢٤» وقد ورد في كلا الكتابين دون نقصان او زيادة تماما مما يجسد عملية التكرار بشكل ملموس وعملي في مؤلفات العالم نوري جعفر.

٢- نظرية انصهار او ذوبان الفكر باللغة التي يعتبر ووتسن عالم النفس الامريكي اول من صاغها في علم النفس بشكل حديث وملخصها /انتفاء وجود فكر مستقل قائم في حد ذاته بمعزل عن اللغة.اي ان الفكر لغة صامتة يتحدث بها المرء مع نفسه او لغة خفية خالية من الصوت ، ولا يرث الفرد عند الولادة شيئا اخر سوى امكانيات لغوية فسلجية تتعلق بجهاز الصوت تعينه على التحدث باللغة مع الاخرين بصوت جهوري وعن طريق الهمس وعلى التحدث مع نفسه بلغة خفية ، فاذا تحدث المرء مع نفسه همسا دعونا ذلك التحدث فكرا.

يمر الطفل على ما يقول اصحاب هذه النظرية في مجرى نموه اللغوي بثلاث مراحل هي:

أ- مرحلة الكلام الجهوري الموجه نحو الاخرين او اللغة التي يستمر على استعمالها طوال حياته تحدثا وكتابة وقراءة.

ب- مرحلة الهمس القصيرة الامد التي يصطر فيها الطفل احيانا على ان يهمس في أذني غيره عندما يريد التعبير عن نفسه.والهمس هو الوجه الاخر من وجهي الكلام الموجه للاخرين.

ت- مرحلة الكلام الخفي الذي يوجهه الطفل الى نفسه في فترة من فترات نموه او مرحلة التحدث مع النفس بلغة صامتة وهي مرحلة نشوء الفكر.

٣- نظرية استقلال الفكر استقلالا نسبيا مع تلاحمه العضوي بها والاثر المتبادل بينهما ويمثلها فايكوتيزكي عالم النفس السوفيتي وجون ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢) الفيلسوف الامريكي وفحواها: ان اللغة وان كانت غير الفكر من حيث طبيعتها ووظيفتها ومن ناحية نشوءها التاريخي الا انها مع ذلك ملتحمة به التحاما عضويا غير قابل للعزل في مجرى تطور النوع الانساني وضمن حدود تطور الفرد من المهد الى اللحد ، اي ان اللغة تعين الانسان على تجسيد فكره او بلورته وصوغه وتداوله ، ولولاها لاستحال ذلك والفكر بدوره يعين اللغة على الدقة ويثريها بالمصطلحات ، ويعتبر نوري جعفر ان الاتصال الفكري الحقيقي الذي يحدث بين الناس يستلزم المعنى تماما كما يستلزم الاصوات والرموز المدونة التي تجسده ، وهذا الذي تفتقر اليه الحيوانات لانها تنقل الى بعضها الاصوات البدائية المبهمة ، اي ان الحيوانات تنتفي بينهم اي علاقة بين الفكر واللغة ويعرج نوري جعفر على ان العلاقة بين الفكر واللغة تنتفي ايضا عند كثير من الفنانين والشعراء لاستعمالها اداة للتعبير عن مشاعرهم ببصرف النظر عنصدقها او كذبها يتضح هذا عند كبار الشعراء على هيئة مسخ للحقائق لغرض المبالغة في المدح او القدح. ولا بد من التنبيه هنا –على حد تعبير نوري جعفر- الى

ان قولنا هذا ينبغي لا يفسر بانه يغض من منزلة الشعر او مكانته في حياة الانسان او ان يجعل دراسته ثانوية الاهمية بالنسبة للعلوم الطبيعية التي تقع واياه على طرفي نقيض[1] والملاحظ لكلام العلامة نوري جعفر يجد فيه الكثير من المغالطات الفكرية في هذا المجال فهو بين ان المعرفة تنتفي بين الحيوانات حيث لافكر ينقل عبر الكلمات البدائية التي تستخدم من قبلهم مع بعضهم البعض وانما مجرد اصوات تعبيرية فقط وكذلك الحال بين الشعراء والفنانين فهم يستخدمون اللغة دون الفكر في قضية بعض المدائح والقدح الذي ينتج بسبب شعرهم ، ولكننا نختلف مع العلامة نوري جعفر ونقول انهم صحيح يستخدمون اللغة بتزويقاتها وزينة الفاظها في هذه المسالة ولكن اشعارهم هذه لا تخلو من جانب فكري يمثل المرحلة ذاتها وسياقاتها التاريخية فهم يمثلون فكرا ولكن نستطيع القول بانه فكر غير ملتزم وفكر منحرف عن غايته النبيلة وصفاته الانسانية العليا اما ان نزاوج بين ما يحدث بين الشعراء من لغة دون نقل معرفة وفكر وبين الحيوانات فهذه اشكالية كبيرة تقع في فكر العلامة نوري جعفر على الرغم من تفهمنا لما اراد ان يذهب اليه حيث اراد ان ينتقد الظواهر الشعرية العربية التي جاءت لمدح المستبدين وغيرهم ولكن ان يجعلها خالية من الفكر فهذا من باب المحال لانها حملت ومثلت هذه النصوص مرحلة فكرية مهمة عكست الجانب الفكري المتردي لتلك المراحل من تاريخنا الاسلامي ،

---

١ - نوري جعفر، الفكر طبيعته وتطوره، مصدر سابق، ص٢٥٧، كذلك ورد نص الكلام في كتابه اللغة والفكر، مصدر سابق، ص١٢٨ وهذا بسبب ظاهرة التكرار التي مني بها العلامة نوري جعفر كما اشرنا فيما سبق.

فكان من الاجدر ان ينتقد الظاهرة ويعتبرها فكرية منحرفة ولكن ان تخلو من الفكر فهذا غير وارد وان تشابه الحالة التي تقع بين الحيوانات فهذه اشكالة كبيرة نثيرها هنا. على الرغم من تاكيدات نوري جعفر انه لا يريد الحط من قيمة الشعر العربي وهذا صحيح فهو معجب بالشعر العربي الى ابعد الحدود وهذا ما نلاحظه في اغلب كتبه عند سوقه الشواهد الشعرية التي يعضد بها كلامه مما يدلل على حبه لديوان الشعر العربي ، على الرغم من هذه التاكيدات ولكنه كان غير موفقا في عملية تشبيهه لانعدام الفكر فيما ورد في بعض الشواهد الشعرية العربية والحالة التي تقع بين الحيوانات.

ويستمر نوري جعفر في سياق حديثه السابق بسوق الشواهد الشعرية التي تدلل على عدم نقل الشعر الى اي مفهوم فكري وانما مجرد لغة بسبب اندفاعهم بالتعبير عن مشاعر متنافرة تجمع بين المدح الرخيص والذم المقذع لنيل مارب شخصية ضيقة زائلة لازمت فطاحل الشعراء العرب وفي مقدمتهم المتنبي الذي يعتبر من اعاظمهم كما يقول نوري جعفر ان لم يكن اعظمهم جميعا والشواهد هي:/

قال المتنبي يمدح سيف الدولة:

**ان كان قد ملك القلوب فانه**

**ملك الزمان بارضه وسمائه**

**مضت الدهور وما اتين بمثله**

**ولقد اتى فعجزن عن نظرائه**

فهذه الابيات نستطيع القول انها تحوي فكرا منحطا في ديوان الشعر العربي مثلت حقبة تاريخية بين من خلالها المتنبي وجود سيف الدولة

الحمداني العسكري والسياسي اما ان نقول انها مجرد لغة تزويقات تشابه لغة الحيوانات من حيث خلوها من الفكر كما ذهب الى ذلك نوري جعفر فهذه اشكالية كبيرة نضعها على استاذنا الفذ نوري جعفر.

# الفصل السابع

## اصلاح المؤسسات التربوية
## اساس للعملية التنموية

يعد الكلام عن التنمية من الاساسيات المنتظرة لاي مفكر او باحث في المجالات الحداثوية او النهضوية والتنمية هي ليست فقط في المجال الاقتصادي بل التنمية الثقافية والتنمية السياسية والتنمية المجتمعية والتنمية الاقتصادية وتعد التنمية الاقتصادية من اهم انواع التنميات بل يعتبرها بعض المفكرين المحرك الاساسي لانواع التنميات الاخرى فلا تحدث تنمية مجتمعية او ثقافية او سياسية دون وجود تنمية اقتصادية ولو اننا نذهب الى ان اساس التنمية في المجتمع هي السياسية فبالاصلاح السياسي تتكون التنميات الاخرى وتتعاضد في تشكيل الهوية النهضوية للمجتمعات وسنبحث في هذا المجال اكثر في كتابنا القادم «التنمية واقع اممي» ، ما يهمنا هنا ان نشير الى ما ذهب اليه نوري جعفر في اهمية التنمية في المجتمعات كاساس استراتيجي للبناء مما يدلل على ان التنمية تسهم اسهامة مباشرة واساسية في قضية النهضة ومما يدلل ايضا على رؤية نوري جعفر الثاقبة كرجل اصلاح ونهضة والا لما فكر في موضوع حيوي كموضوع التنمية.

وهو يبحث بالذات بموضوعه الاساسي التربوي واثر المؤسسات التربوية باحداث نهضة اقتصادية فهو يدعو الى اقامة ربط عضوي بين مؤسسات التعليم لاسيما العالي وبين خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية من جهة وبين العلوم الطبيعية والتكنولوجية من جهة اخرى لاهميتها طبعا في تحقيق التنمية الاقتصادية فهو يشير الى مجموعة من الاراء منها الترابط الكبير بين العلوم التطبيقية كالفيزياء والكيمياء كما اشار نور جعفر الى مسالة اساسية من ناحية حلول النزعة التعاونية بين العلماء بدل زمن العلماء الافذاذ ، كما انه يلزم المجتمع بالنظر الى العلوم بجانبيها النظري والتطبيقي من حيث كونها ظواهر اجتماعية تاريخية لا مجرد ظواهر علمية نظرية وتطبيقية ضيقة ، وقد ثبت تاريخيا ان تحقيق اي تقدم اجتماعي اقتصادي وثقافي في اي مجتمع لا يتم بمعزل عن الاستعانة بالعلم النظري والتكنولوجي فالعلم بجانبيه كان ومازال وسيبقى وثيق الصلة بالتقدم الاجتماعي ، ويعطي نوري جعفر اول نتيجة حول موضوع التنمية مفادها ان الفرق الرئيسي بين الدول المتقدمة والنامية او المتخلفة يكمن في مدى استخدام كل منها العلم والتكنولوجيا في جوانب حياتها المتعددة[1]

كما يولي نوري جعفر اهمية قصوى للبيئة التي تحوي الانسان وان التكنولوجيا المعاصرة اخذت تحتل بالتدريج المركز الاول في علاقات الانسان بالبيئة الحية والجامدة المحيطة به مع ما يرافق ذلك من اثار سلبية مثل تلويث واستنزاف الموارد الطبيعية وتشويه جمال الطبيعة الامر الذي ادى الى اعادة النظر في علاقة الانسان بالبيئة لضمان بقائه واستمرار

---

١ - نوري جعفر، دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية الاقتصادية في الوطن العربي، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٣، ص١٢

تقدمه ذلك لان الطبيعة في الحقيقة هي ام الانسان الرؤوم لا خصمه اللدود وهذا التركيز الاساسي على البيئة واهميتها للانسان من اول اولويات التنمية الحديثة وقد اشار اليه نوري جعفر قبل اكثر من ٣٠ سنة ، الامر الاساسي الهام الذي ذكره نوري جعفر هو فيما يتعلق بالصلة بين العلم النظري والتكنولوجي من جهة وبين المؤسسات التربوية الوثيقة من جهة اخرى.

فالمؤسسات التربوية تمد العلم بالعنصر البشري الكفؤ والمدرب وتستمد منه معطياته النظرية واجهزته المختبرية والوسائل التعليمية اما العلاقة بين المؤسسات التربوية وبين العلم النظري والتكنولوجي من جهة وبينهما معا وبين التقدم الاقتصادي من جهة ثانية يتمثل بداية في ان المؤسسات التربوية اصبحت في الوقت الحاضر لا بد منها لتكوين القوة البشرية العاملة في مختلف جوانب الحياة وتزويدها بالمعرفة العلمية النظرية والتكنولوجية التي تستلزمها المهن المختلفة كما ان المؤسسات التربوية تزود العاملين في الصناعة والزراعة وحقل الخدمات العامة في الطب والتعليم والمواصلات بالمعلومات العلمية التي لا يستغني عنها الانسان المتقدم المعاصر وكونها تساهم ايضا بشكل فعال في تكوين المواطن الصالح بمقاييس مجتمعه[1] وهذا يعني ان المؤسسات التربوية تقوم بمهمة مزدوجة او ذات جانبين متلاحمين ومتبادلي الاثر يتعلق اولهما بالجانب الاجتماعي الانساني للفرد ويرتبط الاخر بالجانب المهني الوظيفي المحض.

ويثير نوري جعفر سؤالا مهما مفاده ايهما اسبق من الناحية الزمانية وايهما العامل المؤثر الذي طور صاحبه اهو التقدم العلمي ام الاجتماعي؟

---

١ - المصدر السابق، ص١٨

فالاراء الاجتماعية المتقدمة هي الاسبق هذا ما ذهب اليه نوري جعفر وقد اشار نوري جعفر الى هذه القضية في كتابين من كتبه هما: دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية الاقتصادية في الوطن العربي والتقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية والتربوية واشار الى هذا الموضوع بنفس المعلومات نصا مما يدلل على ظاهرة التكرار التي اشرنا اليها فيما سبق والتي وقع فيها نوري جعفر الى درجة كبيرة ، كما ان الاسبقية في موضوع الافكار الاجتماعية والعلمية كنا قد اشرنا اليها في الفصل الاول من هذا الكتاب.

كما ان التقدم العلمي النظري يتفاعل بدوره مع العلوم الانسانية ومع الفكر الاجتماعي العام.

كما ان نوري جعفر يطلق مجموعة من التوصيات لتطوير العمل التربوي في الوطن العربي وذلك لانه الاساس للبناء الاقتصادي وهذه النقاط استخلصناها من فكره يمكن ايجازها بالتالي:/

١- نبذ المفاهيم التربوية العاجزة القديمة التي تعبر عن نفسها في عزل التعليم عن الحياة وخاصة المدرسة عن المجتمع وعزل تربية العقل عن تربية الجسم.

٢- ربط العلم بالفن والادب والعمل االمستمر على ادراج عمل المؤسسات التربوية ضمن خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تستند الى الدراسة العلمية الشاملة والعميقة التي يقوم بها ذوو الكفاية والخبرة والاختصاص.

٣- اعداد العنصر البشري الى اقصى حد للمساهمة في عملية التطوير الاجتماعي المنشودة مع العلم ان العملية التربوية ذات مردود

اجتماعي بطيئ ولكنه مضمون.ومعلوم ان المواطن المتعلم هو افضل من نقيضه واكفأ في الانتاج فالعملية التربوية تؤدي الى الاسراع في التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لانها تمدها بالعنصر البشري الكفوء والمدرب.فالتنمية والتربية اذن عمليتان متلاحمتان ومتبادلتا الاثر او هما وجهان مختلفان لعملية اجتماعية واحدة.

٤- التربية بنظر نوري جعفر اشمل من التنمية الاقتصادية وهذه قفزة فكرية للعلامة تدلل بشكل كبير على نظرته البنائية والنهضوية للمجتمع فهو يركز على عملية بناء الانسان التي هي الاساس لبناء العمران ، ويعلل هذا الراي لان التنمية الاقتصادية لا تمس الا جانبا واحدا من جوانب العملية التربوية هو الجانب الكمي وهو جانب مهم دون شك والم يكن الاهم من وجهة نظر نوري جعفر.اما جانب التربية فيمس الجانب الفكري والثقافي وتكون المواطن الصالح بمقياس مجتمعه.

٥- تعديل مناهج الدراسة واساليب التعليم حتى وان كانت تلك اجراءات حاسمة وجذرية.

٦- تغيير جديد في العنصر البشري المتمثل في المعلم الجديد الشاعر بمسؤولياته الاجتماعية والثقافية والقادر على انجازها بفطنة وكفاية من جهة وفي موقع الطالب نفسه في العملية التعليمية من ناحية مساهمته الفعالة في استثمار نشاطه الى حده الاقصى استثمارا نافعا له ولمجتمعه من جهة اخرى

٧- اعادة النظر في كليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين وابعاد الموضوعات العقيمة والعناصر العاجزة عنها لاعداد المعلم الكفؤ

ولاجتذاب افضل العناصر البشرية للعمل في مهنة التعليم لاثرائها وتطويرها ولاعداد جيل مزود بالعلم وبحب الوطن والشاعر بمسؤوليته الاجتماعية اوالمتكامل الشخصية المتعددة الجوانب والذي يساهم ايضا في تقدم المعرفة العلمية ، وفي مجال الادب والفن والعلوم الانسانية.

٨- تهيئة المواطن ليكون قادرا على مواجهة الاحداث بحزم وصرامة لتخطي الصعوبات التي تعترض سبيله مع التعود على التعاون لانجاز العمل المثمر وعلى المثابرة والتطلع دائما الى معالي الامور واحترام النفس والترفع عن الصغائر التي تشين الرجال.

٩- تحبيب مهنة التعليم للشباب بجلب العناصر الكفوؤة للالتحاق بكليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين وللاحتفاظ بالعناصر الكفوؤة الموجودة في الخدمة الفعلية وللحيلولة دون تسربها الى خارج المهنة.

١٠- بث الوعي التربوي في صفوف الناشئة منذ مرحلة الدراسة الثانوية عن طريق الندوات والمناقشات والمؤتمرات لتهيئة اذهان الطلاب وتكوين قدرتهم على اختيار ناجح للمهن التي تلائم كلا منهم في المستقبل وبضمنها مهنة التعليم بالطبع ، من ذلك مثلا ان يوجه الطالب الى نفسه الاسئلة التالية:

أ- ما هي الشروط الواجب توافرها في الشخص لاختيار هذه المهنة او تلك؟ وان ينظر الطالب بعد ذلك وعلى اساسه الى نفسه في ضوء الاجابة عن هذا السؤال ليختار المهنة الاقرب االى نفسه وامكانياته وليلتحق بالمعهد الذي يهيئه الى ذلك وهذا يجنب وضع الشخص في غير مكانه المناسب عند الدخول الى المعاهد العليا.

ب- ما هي الالتزامات التي تتطلبها المهنة من الشخص الذي يختارها لكي يمارسها على الوجه الافضل؟ وماهي الصعوبات التي تعترض سبيله؟ وماهي امكانياته لتخطي تلك الصعوبات؟ وهذا ينطبق ايضا على المؤسسات التربوية التي يناط بها امر توزيع الطلبة على الكليات والمعاهد.

ت- ما هي الامكانيات الثقافية والاجتماعية التي تهيئها له هذه المهنة او تلك لكي ينمو نموا ثقافيا متواصلا ؟وما هو مردودها المادي ايضا؟

١١-ان يتحلى المدرس بمزايا كثيرة تؤهله لقيادة العملية التربوية منها:

- قدرته على اجتذاب التلاميذ نحوه ونحو الدراسة.
- قدرته على تكوين ثقة للطالب بنفسهوبامكانياته على تخطي العراقيل التي تعترض سبيل تقدمه.
- سعيه لتلافي جوانب الضعف عنده وعلى اتصافه بالمثابرة.
- الا يقتصر موقفه على مجرد اثارة مشاعر الطالب الايجابية نحو الدراسة وانما يتعداها نحو حثه على تحقيق النجاح الباهر فيها.
- ان يسعى الى الاهتمام بمواطن التفوق عند كل طالب مع ضمان الحد الادنى المقبول من النجاح في المواضيع الاخرى ، وهذا يعني ان كل طالب بمستطاعه ان يتخطى اقرانه في ناحية معينة اذا احسن المدرس التوجيه.
- ان يشيد المدرس بجهود الطلاب وابراز نقاط القوة فيهم.
- ان يتقن المدرس علم التربية وفن التدريس والعمل الدائب على جعل الطالب يسعى دائما وابدا ليصبح افضل واكمل مما كان عليه

في كل لحظة من لحظات وجوده الدراسي وفي الحياة.

- المدرس االناجح هو الذي يستشير دائما ويجسد وينمي كل ما هو ايجابي لدى الطالب ويغرس فيه الرغبة في التعلم والقدرة على التغلب على الصعاب.
- ان يهيئ للطلاب جميعا فرص تعليمية متكافئة وان يحيط كلا منهم بالرعاية والعطف والتشجيع والتوجيه.
- ان يقدم المعلم الى التلاميذ المعرفة المدرسي[١] على هيئة مشكلات تستدعي الحل شريطة ان لا تكون بالعويصة التي تخيفهم ولا بالسهلة التي لا تتطلب المبادرة والتفكير.اي ان تكون سهلة وصعبة في ان واحد بالنسبة للتلميذ :صعبة بحيث تتحدى التفكير وسهلة بحيث يجد الطالب بخبرته السابقة ما يعينه على حلها.
- ان يتركز اهتمام المدرس عند تصحيح الاجابات لا في النتائج وحدها وانما ايضا في الاسلوب المتبع في التوصل اليها
- لا بد من المدرس ان يميز بين انواع الاخطاء التي يرتكبها التلاميذ في حياتهم الدراسية :فبعض الاغلاط معقول ومقبول ومتوقع الحدوث وبعض اخر غير مقبول.
- ان يكون المدرس مشجعا للطلاب الذين تتسم اجاباتهم بالابتكار وان يحث التلاميذ الاخرين على الاتيان بمثله.
- ضرورة تعويد التلاميذ على التقيد بالنظام المدرسي والاصغاء الى

---

١ - مصطلح استخدمه نوري جعفر لاول مرة ولم نجد احد استخدمه غيره في حدود معرفتنا واطلاعنا علما انه يقصد فيه العلوم المتداولة والمكتسبة داخل المدرسة فقط.

التوجيه وتقبل الشدة المشروعة بما فيها العقاب المدرسي ذلك لان للعقاب حتى البدني احيانا اثرا تربويا ايجابيا اذا تعذر ردع الطالب عن مواقفه السلبية بالاساليب التربوية الاخرى. اي ان يكون العقاب اخر شيء يفكر فيه المدرس وقديما قيل «اخر الدواء الكي».

- ان يحترم المعلم منزلة الطالب ، فلكي يكون فعالا لا بد ان يرتكز على تقدير وتجسيد الجوانب الايجابية في شخصية الطالب والوقوف بحزم وحذاقة ازاء النواحي السلبية لغرض التخلص منها.ومن هذه الزاوية فان الدرجات الامتحانية مثلا ينبغي ان يتمتع بها الطالب باعتبارها مكافأة له على نقاط القوة عنده لا عقوبة (صارمة احيانا وغير مشروعة) ازاء مالا يحسنه في تلك اللحظة.
- ان يغرس المدرس في الطالب الرغبة الصادقة في التعلم وتكوين الشعور باللذة في الاجتهاد والمثابرة في بذل الجهد الفكري المطلوب وفي السعي المتواصل نحو احتلال الموقع الافضل في الدراسة مع تكوين الثقة بالنفس وبالقدرة على تخطي العقبات ونقاط الضعف.
- ان يبتعد المعلم ابتعادا تاما ومطلقا عن جعل الطالب يشعر بالصراحة او التلميح بانه طالب ردئ غير قادر على تحقيق التقدم في الدراسة مهما بذل من الجهد وان ليس بمستطاعه تحسين حاله ، وذلك لكي لا يجرح كبرياءه ويصده في اخر المطاف عن بذل الجهد الفكري المطلوب ولانتشاله من الكئآبة والتشاؤم.
- على المعلم ايضا ان يفتش في الوقت نفسهعن عوامل تخلف الطالب في بعض النواحي الدراسية تمهيدا لازالتها بالتعاون معه ومن هذه الزاوية فان مهنة التعليم بامس الحاجة الى رحابة الصدر والحنو الايجابي والمساعدة والتوجيه تماما كما هي الحال في مهنة الطب

وعلى هذا الاساس فان مهنة الطب والتعليم يحتلان مركز الصدارة بين المهن الانسانية.

- على المعلم ان يكون داركا مدى الغبن السايكولوجي والاثر السلبي العميق الذي يتركه شعور الطالب بان المحيطين به يحتقرون كفاءته العلمية ويضعونه دون الموقع الذي ينبغي ان يحتله.
- على المعلم ان يحترم نفسه ومهنته لان من لا يحترم نفسه يهون عليه احتقار الاخرين.

فالملاحظ على كل هذه الملاحظات والمعالجات التي ينبغي توافرها في المعلم او المدرس لكي يكون ناجحا كم هي عميقة واساسية مهمة ينبغي اقتفاءها لانجاح العملية التربوية وجعلها من الاساسيات الحياتية للتنمية التي ينشدها المجتمع كما تلاحظ مسالة اخرى على هذه الملاحظات ان العلامة جعفر وجهها فقط للمعلمين ولم يوجه للتلاميذ ملاحظات بهذا الحجم وبهذا الكم واعتقد انه اراد من ذلك ان يركز على الاساس في البناء الا وهو المعلم وليس التلميذ... وبالرجوع الى رؤى نوري جعفر حول التنمية للمؤسسات التعليمية.نلاحظ ما سياتي:

١٢- ضرورة اجراء تبدلات واسعة وعميقة في نظام التعليم السائد وفي العملية التربوية ذاتها في ضوء التقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر لصالح العلوم الطبيعية والرياضيات.

١٣- تزويد الجيل الجديد بالمعرفة الاجتماعية والادبية والفنية لجعله ملما بقضايا عصره ومجتمعه وتاريخ امته ولغتها وادبها وان يكون ذا شخصية متوازنة ومتكاملة

١٤- الا تغض مكانة العلوم الطبيعية من منزلة الادب والفن والعلوم

الانسانية في بناء المجتمع المنشود وفي تكوين الانسان الجديد وذلك لان جميع فروع المعرفة اطراف متكاملة في ثقاافة انسانية واحدة فالعلم وحده دون اناس بمشاعر انسانية وبمعرفة تاريخية اجتماعية يستثمرونها لخير الانسان قد يضر بالمجتمع،ومن الجهة الثانية فان اناسا ذوى مشاعر نبيلة ومعرفة اجتماعية تاريخية غزيرة عاجزون عن المساهمة في تقدم الحضارة دون الاستعانة بالعلم الطبيعي النظري وبمنجزاته التكنولوجية،

١٥- للعلامة نوري جعفر اراء عميقة جدا في موضوعة نجاح التلاميذ في العملية التعليمية حيث يعطي اهمية للجانبين الاجتماعي والجسمي حيث يعطي اهمية كبيرة للجانب الغذائي والصحي للتلميذ والطفل ويعتبره الاس اس في العملية التنموية للتلميذ لكي يكون ناجحا في وضعه التعليمي وهو يناقش هذا الموضوع من الناحية الفسلجية للمخ حيث ثبت إن خلايا المخ تستلزم مقادير كبيرة من الغذاء الذي هو مصدر طاقتها العصبية فبالإمكان القول إن الناس متماثلون في التركيب المخي الذي تستند إليه حياتهم العقلية،وان الاختلافات الفكرية الكبيرة والكثيرة التي نشاهدها اليوم بين الأمم وداخلها تعود بعد التحليل الدقيق إلى اختلاف بيئاتهم الاجتماعية والثقافية،

كذلك فان نوري جعفر يشير فيما يشير إليه من نواحي سلبية يعاني منها قطاع التنمية في العالم العربي وتأثيراته على مجال التربية والتعليم ومنها:

١- إن الانجازات في مجال العلوم الطبيعية لنظرية والتكنولوجية ما زالت دون مستوى الطموح،

٢- إن البلاد العربية مازالت تستورد الأدوات والأجهزة في حقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة لتطبيقها أو استخدامها في أقصى حد من السرعة في مجتمع لم يتهيأ ثقافيا لتقبلها وذلك لغرض رفعه إلى مستوى أعلى من الناحيتين المادية والثقافية.

٣- إن البلاد العربية ما زالت في حقل التكنولوجيا تعمل بإمكانيات بشرية غير مهيأة من حيث الكمية والنوع.

وبعد ذكر هذه الأمور السلبية المؤثرة على التنمية وبالتالي على التعليم. يضع نوري جعفر مجموعة من المعالجات الهدف منها إنقاذ قطاع التنمية من خلال ابراز دور المؤسسات التربوية في خطط التنمية الاقتصادية ومنها:

أ- القيام بعمل مزدوج يرمي إلى استئصال مظاهر التخلف الاقتصادي ولثقافي من جهة وبناء اقتصاد وطني متطور وثقافة علمية نظرية وتكنولوجية من جهة ثانية.

ب- إيجاد عملية توازن دقيقة وفعالة تشمل جميع أوجه الحياة العامة الاقتصادية والثقافية بالنسبة لعموم السكان وبمختلف مراتبه الاجتماعية.

ت- إن تقوم المؤسسات التربوية بعملية تحديث العقلية السائدة بين المواطنين وتطويرها.

ث- استئصال الراسي الشائع المغلوط الذي يعتبر ثقافة الفرد ملكا خاصا به كملكية الأثاث والأدوات المنزلية الشخصية والذي ينظر للثقافة كأداة للبهرجة وللحصول على الربح المادي الفردي دون اكتراث كبير بقضايا المجتمع وبخطط التنمية الاقتصادية فيه.

ج- ضرورة إعادة النظر في قضية العلاقة بين الفرد والمجتمع ، حيث

اعتبرها نوري جعفر من أكثر القضايا الاجتماعية الكبرى إلحاحا وتجددا والفرد حسب النظرة للعلامة هو ملك نفسه وملك المجتمع أيضا شريطة ألا يتعسف المجتمع به وشريطة ألا يعزل الفرد نفسه عن قضايا مجتمعه الملحة.

ح- أن تكون علاقة الفرد بمجتمعه ، انصهار الفرد في المجتمع مع احتفاظه بمقوماته الايجابية من ناحية والتي يتجسد فيها المجتمع بالفرد من حيث مطامحه وتطلعاته نحو المستقبل الأفضل من جهة أخرى.

خ- العمل الدائب لتحسين الأوضاع الاجتماعية والثقافية والمعاشية لجميع المواطنين وبث الوعي الاجتماعي المعقول والمسؤول بينهم فيما يتصل بحقوقهم والتزاماتهم.

د- استخدام العلوم الطبيعية النظرية والتكنولوجية بكفاية وعلى وجه أفضل.وإدراج العلم بجانبيه النظري والتكنولوجي في خطط التنمية الاقتصادية نفسها.

ذ- إن تخصص مؤسسات البحث العلمي ومراكز البحوث مكافئات تقديرية مادية ومعنوية لإغراض البحث.

ر- أن يساهم طلاب الدراسات العليا مساهمة فعالة في الأبحاث العلمية النظرية والميدانية ، وان يتبينوا إن الانهماك في البحث العلمي النظري والتكنولوجي لا يمكن تحديده أو قياسه بعدد الساعات اليومية المخصصة له رسميا وذلك لان الباحث يواصل الانهماك بعمله الذهني وحتى ألمختبري أحيانا أثناء تناول الطعام وحتى في النوم ومن طريف ما يشير اليه نوري جعفر قصة يرويها

عن عالم الكيمياء الالماني ككولي الذي عاش في القرن التاسع عشر فقد كتب ما نصه« كنت جالسا في احد ايام الشتاء قرب الموقد عام ١٨٦٧م وقد اعياني حل مسالة معقدة فيالكيمياء العضوية.وقد اخذتني سنة نوم فرايت اثناءها معادلات كيمياوية تتراقص امام عيني الحالمة النائمة بهيئات متعددة وصفوف لامتناهية فاستيقضت وفي ذهني حل صحيح لواحدة من اعوص قضايا الكيمياء العضوية»[١]

ز- الا يكرس التدريسي في الجامعة جل وقته للتدريس بل ان يضع موازنة بين التخصص الضيق والمعرفة العلمية الواسعة من جهة وبين الابحاث العلمية النظرية او الاساسية والتطبيقية من الجهة الثانية.

س- ان تجرى تحسينات مستمرة على وظائف مؤسسات التعليم العالي تستلزم دائما وابدا اجراء تحسينات متواصلة في مناهج الدراسة واساليب التدريس وعلاقات الطلاب باعضاء الهيئات التدريسية وفي توفير الادوات والاجهزة المختبرية الحديثة وفي انتقاء الطلاب الصالحين لاغراض التخصص وتلك امور لا بد من مراعاتها في خطط التنمية الاقتصادية التي عليها ان تاخذ بعين الاعتبار اتجاهات التطور الاجتماعي وتستند ايضا الى التنبوء في تطور المجتمع.

---

١ - الدكتور نوري جعفر، الفكر طبيعته وتطوره، مرجع سابق، ص١٧١ كذلك ورد في الدكتور نوري جعفر، دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية الاقتصادية في الوطن العربي، مرجع سابق، ص٤٠- ٤١

ش- ان يسير البحث في العلوم الطبيعية النظرية والتطبيقية في جبهة عريضة متماسكة ذات ثلاثة جوانب متلاحمة متكاملة ومتبادلة الاثر هي:

١- الجانب النظري الاكاديمي في الرياضيات العالية وفي العلوم الطبيعية النظرية.

٢- الجانب التطبيقي الذي تستخدم فيه العلوم الطبيعية التطبيقية بالاستناد بالطبع الى العلوم الطبيعية النظرية استخداما مباشرا في اطار خطط التنمية الاقتصادية في حقل الانتاج الزراعي والصناعي بالدرجة الاولى وفي مجال الخدمات كالطب والتعليم والمواصلات.

٣- الجانب السايكولوجي المتعلق بتهيئة العنصر البشري الكفوء والمدرب والمخلص في اداء عمله.واهمية هذا الجانب تتضح اذا تذكرنا ان عملية الانتاج االمتطورة تستلزم استخدام ادوات واجهزة تكنولوجية متطورة بقدر ما تستلزم ادوات بشرية متطورة ايضا من الناحية الثقافية ومن ناحية الشعور بالمسؤولية الاجتماعيةة ، تستخدم تلك الادوات بكفاية ودراية وتحافظ عليها وتعمل على ادامتها وتطويرها[1]

ص- كما ويناقش نوري جعفر المردود الاقتصادي لبعض الابحاث العلمية ومنها الفلكية من جانب استتهدافه للبحث العلمي والتنمية حيث يقول ما نصه: «ان من المحتمل ان يحصل في المستقبل المنظور ان يستفيد الانسان من الثروة المعدنية الضخمة الموجودة في الاجرام السماوية الاخرى اعتبارا من القمر وصعودا

١ - المرجع السابق، ص٤٥

الى الكواكب المسماة (الكواكب النابضة) (الاجرام النيترونية) التي اكتشفها علماء الفلك قبل سنوات والتي تتركز فيها المادة بشكل مكثف بحيث ان السنتمتر المكعب الواحد يحتوي على زهاء ١٠٠ مليون طن بمقاييس الارض.وهذا سوف يؤدي حتما في المستقبل غير البعيد الى التعويض عن النقص الحاصل في الثروة المعدنية في الارض بفعل كثرة الاستهلاك»[1] مما يبين لنا نظرة نوري جعفر الثاقبة للمستقبل ففعلا العالم اليوم يفكر في الثروة المعدنية الموجودة في الكواكب وما الابحاث الاخيرة التي يقوم بها الغرب تجاه المريخ الا تأييد لما ذهب اليه نوري جعفر ولما نتلمسه في المدى القريب.

ض- يجب ان تجد الابحاث النظرية العلمية سبيلها للتطبيق بشكل او باخر حتى وان طالت مدة اكتشافها.

ط-اهمية حصول توازن معقول بين الابحاث العلمية ذات الطبيعة النظرية وبين الابحاث التطبيقية من جهة وبين خطط التنمية الاقتصادية من جهة اخرى.

ظ-مراعاة التوازن والتنسيق بين التخصص الدقيق الضيق في الابحاث العلمية بجانبيها النظري والتطبيقي لدى بعض اعضاء مؤسسات التعليم العالي وبين الاشخاص الذين يقومون بمساعدة اولئك المتخصصين.

ع- التوزيع المتناسق للكوادر العلمية على مختلف فروع العلم والتكنولوجيا مع اخذ حاجات البلد الملحة والاساسية بنظر الاعتبار دائما.

---

١ - المرجع السابق، ص٤٦

غ- انتقاء العناصر الكفوءة اداريا وعلميا للاشراف على الابحاث العلمية النظرية والتطبيقية وتوجيهها بكفاية وتوفير الجو السايكولوجي الملائم وايجاد المحفزات المادية والمعنوية لحث العناصر القائمة بها على بذل الجهد المطلوب وتشجيع مبادراتهم الفردية والجماعية وابتكاراتهم وهنا تبرز اهمية اختيار العناصر الكفوءة اداريا للاشراف على مراكز البحث العلمي ومؤسساته.

كما ان الرؤية التي تبناها الدكتور نوري جعفر والمتمثلة بالصعوبات الكثيرة والكبيرة في استيراد التكنولوجيا من الدول الصناعية المتقدمة باسعار باهضة وبمواصفات غير ملائمة احيانا وذلك لاستخدامها باقصى حد من السرعة بكوادر بشرية غير مهيأة التهيئة التكنولوجية الكاملة وتطبيقها على مجتمع ما زال هو الاخر غير مهيأ لها من الناحية السايكولوجية.

معنى هذا اننا نواجه قضايا اجتماعية وسايكولوجية كبيرة بالاضافة الى استيراد التكنولوجيا باسعار باهضة جدا[1] هذه السلبيات التي نوردها جراء الاستهلاك الكبير والمباشر للتكنولوجيا الغربية وتطبيقها على مجتمع متخلف تكنولوجيا وثقافيا وبامكانيات بشرية مدربة تدريبا محدودا من الناحيتين الكمية والنوعية تمثل كارثة كبيرة على المجتمعات العربية ومن جهة ثانية فان هذه الجهات المصدرة للتكنولوجيا تستخدم هذه التكنولوجيا كورقة ضاغطة اقتصادية على الدول المستفيدة اي انها شركات احتكارية كبرى تسعى للحصول على ارباح فاحشة. كما تسعى ايضا لضمان الحصول على تلك الارباح لفترة طويلة من الزمن عن طريق التصدير

---

١ - المرجع السابق، ص٥١

والتشغيل والقيام بالصيانة للتكنولوجيا المصدرة حيث ان هذه الشركات لا تبين كيفية صيانة اجهزتها اذا احتاجت للصيانة الا عن طريق مهندسيها وفنييها وعمالها مما تستمر لديها فترة الحصول على الارباح الكبيرة وهذه رؤية نهضوية كبيرة عمل عليها نوري جعفر نرى تطبيقاتها على ارض الواقع ، حيث استمعت الى وزير الكهرباء العراقي في ظل حكومة رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي :كريم وحيد حيث صرح اننا اردنا التعاقد مع شركة هيتاشي لنصب محطة كهرباء متكاملة في العراق ولكن ارادوا منا التعاقد معهم ايضا على ان يكون كادر صيانتها وتبديل مستلزمات المحطة مستقبلا كله على كادر هيتاشي وعدم تدريب اي مهندس عراقي للعمل على المحطة مما يدلل كلامنا هذا على صحة ما ذهب اليه نوري جعفر وحداثة ما اطلقه من افكار قبل اكثر من ٣٠ سنة وما زالت افكاره حية بيننا اليوم.

كذلك من توصيات الدكتور نوري جعفر التي يريد من خلالها تطوير البحث العلمي والتربوي للحصول على التكنولوجيا المطلوبة هي :

١٦- ان تقوم مؤسسات البحث العلمي ومراكز البحوث في الاقطار العربية وبالتعاون مع المؤسسات التربوية الاخرى لاسيما الجامعات بدراسة شاملة وعميقة لخبرة الدول المتقدمة في مجال التكنولوجيا من الناحية التاريخية بجانبيها الايجابي والسلبي وذلك لتفادي الوقوع في الاخطاء التي وقعت فيها تلك الدول في فترة تاريخية سابقة.

ان تتم عملية نقل التكنولوجيا وتطويرها وان نتجنب نقل ادوات تكنولوجية قديمة الطرازات او ان نستورد ادوات تكنولوجية متقدمة جدا وباهضة الثمن ومعقدة التركيب بالنسبة للعنصر البشري المتوافر لدينا الذي

يستخدمها ، والا نستورد ادوات تكنولوجية مبسطة على اساس انها تلائم مرحلتنا التاريخية الراهنة دون النظر الى امكانيات تقدمنا في المستقبل.

نوري جعفر قد نظر ايضا الى موضوع التنمية المستدامة من خلال كل ما طرح سابقا من افكاره قبل ظهوره بعشرين سنة وايضا اراد من الدولة كتحقيق جانب تنموي من خلال الحفاظ على البيئة بعدم استيراد ادوات تكنولوجية من خصائصها تلويث البيئة وان نتوخى الدقة في اختيار مواقع اقامتها وتشغيلها كما استخدم كلمة «التكنولوجيا النظيفة» و«التوزيع التكنولوجي النظيف» مما يدلل على انه كان مهتما بتنمية البيئة كاساس للتنمية المجتمعية علما انه استخدم المصطلحين انفي الذكر كانطلاقة اولى باستخدامهما حيث ان هذين المصطلحين لم يستخدما من قبله على حدود علمنا.

اذن نوري جعفر قاس التنمية في البلاد العربية على اساس التنمية المستدامة [1] للموارد البشرية في جميع قطاعات التاهيل والعمل والانتاج ، وحجم التوظيف المكثفوالبحث العلمي والتكنولوجيا والعلوم العصرية ، وقد دلت تجارب التنمية الناجحة في جميع دول العالم على ان التعليم العصري والاعداد او التدريب الجيد ، والادارة الحديثة هي التي ترفع بشكل بارز نسبة الدخل الفردي والقومي.

ودائما وفي اي موضوع لا ينسى نوري جعفر التراث في جانبه التنويري للافادة منه في جانب التنمية والتعليم وكانه يريد ان يقول ايها العرب ان ماضيكم بماحمل من بعض الخصائص هو افضل من حاضركم بكثير ومن

---

١ - مصطلح التنمية المستدامة لم يكن مستخدما في زمن الدكتور نوري جعفر بتاتا.

جملة ما يذكره من حوادث تاريخية تهتم بالجانب التنويري التنموي هي الحادثة التالية:

## في قضية الانهماك العلمي:

ان ابن سحنون كان منهمكا في القراءة والكتابة في احد الايام الى ان حان موعد العشاء فجاءته جاريته بالعشاء فقال لها: يا ام مدام انا مشغول عن العشاء بما انا فيه. فوقفت صامتة على راسه فلما طال انتظارها اخذت تلقمه الى ان اتت على الطعام كله،وانصرفت واستمر هو على حاله الى ان اذن المؤذن لصلاة الصبح ، فطوى اوراقه وقال: يا ام مدام هات الان ما عندك من العشاء،فقالت: اطعمتك اياه يا سيدي. فقال والله ما شعرت بذلك[1] وحالات اخرى طريفة وكثيرة يذكرها نوري جعفر مهمة تدل على اثر الانهماك في العمل العقلي في رفع مستوى ثقافة المرء.

وبالتالي فان مطالبات نوري جعفر بالانغماس العلمي ومن خلال التاريخ تاخذ مديات واسعة جدا تتطلب عمل روحي مستمر كما في حادثة ابن سحنون المارة الذكر ، والعلامة نوري جعفر وقع في مسالة اساسية ينبغي الاشارة اليها وهو انه تكلم عن موضوع التنمية والمؤسسات التربوية في العالم العربي ككل ولم ياخذ بالحسبان خصوصية كل بلد عربي فيما يخص مسالة التنمية ودور المؤسسات التربوية فيه،فكان لزاما عليه ان ياخذ هذه الخصوصيات للبلدان العربية على الاقل يجد المتشابه والمختلف بين بعضها البعض لا ان يطلق تعميمات كاملة حول وضع

---

١ - نوري جعفر، دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية الاقتصادية في الوطن العربي، مصدر سابق، ص ٥٨.

المؤسسات التربوية في العالم العربي ككل كما فعل في اراءه الواردة في هذا الفصل ولكن تبقى هذه الاراء اساسية في عملية النهوض التي ترجوها المجتمعات وينبغي اقتفاء الكثير من الاراء هذه ووضعها موضع التنفيذ لتحقيق نهضة اسسية في عمل المؤسسات التربوية في العالم العربي ومن ثم ايجاد نهضة اقتصادية مرجوة وتنمية اساسية في هذا المجال.

## الفصل الثامن

# علاقة نوري جعفر
# بابي الطيب المتنبي

### قراءة تحليلية في «الاصالة في شعر ابي الطيب المتنبي، اصولها الدماغية وجذورها الاجتماعية في ضوء فسلجة بافلوف»

«لقد عبر المتنبي عن بعض خلجات النفس البشرية تعبيرا عميقا يتعذر على كثير من المختصين بعلم النفس ان يبلغوا شأوه واشار ابو الطيب في بعض لحظات الابتكار الى امور تتحدى الزمان والمكان وان كانت مستمدة في الاصل من الواقع الذي يعيش فيه».

**الدكتور نوري جعفر**

كان من المفروض ان يقع هذا الفصل كمبحث من الفصل السادس ولكن ارتاينا ان يكون هذا المبحث فصلا بحد ذاته وذلك للعلاقة الوطيدة بين العلامة نوري جعفر وابي الطيب المتنبي حتى انه افرد له كتابا خاصا

اسماه «الاصالة في شعر ابي الطيب المتنبي ، اصولها الدماغية وجذورها الاجتماعية في ضوء فسلجة بافلوف» والذي سنحاول من خلال هذا المبحث ان نبحر فيه بدراسة تحليلية لما ورد فيه من افكار تم ربطها في ضوء فسلجة بافلوف وهو مما يعطي هذا الكتاب اهميته وريادته على المستوى الفكري النهضوي فهو اي الكتاب علامة بارزة واساسية في قراءة شعر المتنبي ولم يسبق نوري جعفر او يلحقه لاحق في هذه القراءة التي سنتناولها لشعر المتنبي من ناحية الزاوية التي تمت القراءة من خلالها في ضوء نظريات الفسلجة الحديثة حيث تمت قراءة االمتنبي كثيرا في ضوء نظريات النقد الادبي اما ان يقرا في ضوء الفسلجة فهذا مما يشكل ركيزة اساسية في قراءة تراثنا ولكن للاسف لم يسلط الضوء كثيرا على كتاب نوري جعفر مار الذكر لذا ارتاينا في هذه الدراسة ان نحلل ما جاء في الكتاب ونطرحه مرة اخرى للمتلقي.

والاصالة في شعر المتنبي تعبر عن نفسها من وجهة نظر نوري جعفر في الصور الشعرية الخيالية التي تبتعد عن الواقع المحسوس بعدا يكاد يكون مطلقا في بعض الاحيان او تمسخه احيانا اخرى.وتظهر اصالة شعره في وصفه الطبيعة الحية والجامدة كما تظهر ايضا في وصفه الاشخاص في حالة المدح والقدح على حد سواء وقد طرح نوري جعفر فكرة مهمة عن شعر المتنبي مفادها انه كلما كان المتنبي عنيفا في التعبير عن حبه او بغضه لهذا الشخص او ذاك وفي هذه الحالة او تلك وقد اعتبر نوري جعفر ان عنفه كان اكثر صدقا واكثر دقة في التعبير عن مكوناته الفسلجية الخاصة وظروفه الاجتماعية....

استعرض نوري جعفر صفات المجتمع الذي عاش فيه المتنبي وهذا هو شان نوري جعفر في استعراضه للشخصيات التاريخية فهو عندما يتكلم عن

الجاحظ يستعرض طبيعة مجتمعه او عن الحريري كذلك وهكذا دواليك ، والغرض في اعتقادنا هو لكي يستطيع ان يكتشف جميع الجوانب المؤثرة في ادب هذه الشخصيات وذلك للتاثير الكبير للبيئة المعاشة على الادب المنتج.فلذلك ومن هذا المنطلق استعرض مجتمع المتنبي الذي عاش فيه والذي كان يغلب عليه انه مجتمع متخلف بدائي بالمقاييس الحضارية الحديثة حيث كان منتشرا الاقطاع والحكم الفردي المطلق ، وقد تكسب بالشعر باعتبار الشعر اداة ارتزاق في ذلك الوقت فكان من هذه الناحية كغيره من المواطنين والشعراء يداجي ويصانع ولكن من ناحية اخرى كما سنرى في سياق البحث فيعتبر المتنبي في نظر نوري جعفر شخصية لا تداجي ولا تصانع.والمتنبي هو شاعر اصيل في نظر نوري جعفر وبالمقاييس التي يطبقها عليه والتي سنعرض لها ويعتبره شخصية فريدة متماسكة لا تداجي ولا تصانع حتى في مواقفها المتناقضة بنظر غيره والتي يعبر عنها في تصرفاته او مواقفه ازاء الامراء وغيرهم والمتنبي في نظر الدكتور جعفر صادق في مشاعره العنيفة التي تنطوي على المبالغة في المدح او الايغال في الهجاء لانه يعبر عن تلك المشاعر الحادة المرهفة فيكون صادقي في اللحظة التي يعيشها دون خداع او موارية وقد يبدو ابو الطيب من الخارج ولاول وهلة ومن الناحية السطحية كانه يداهن او يرائي عندما يطنب مثلا في مدح كافور في اعقاب مفارقته سيف الدولة ، ولكن مقومات المتنبي الفسلجية التي سنعرض لها لا تجيز وصفه بالمداهنة ، وهذا مما يجعل اراء نوري جعفر التي سترد بهذا الفصل مهمةجدا للباحثين في شأن المتنبي وتعتبر اراء حديثة جدا ولم يتطرق اليها احد ، ويذكر نوري جعفر ان السبب الذي ادى الى ان المتنبي يمتدح كافور انه ظن ان علاقته ستكون به ابدية وانه سوف يجد عند كافور ضالته المنشودة ويقضي بذلك على حياة

التشرد والترحال وعندما تلاشت اماله تلك وانطوت معها مشاعره المرتبطة بها وقف موقفه الاخر وهنا يسال نوري جعفر سؤالا اذا كانت الامور كذلك فهل يجوز لدارسيه ان يطبقوا عند الحكم عليه مقاييس النقد غير الذاتية؟[1]

ان للمتنبي موقفان تجاه كافور فقد انفع نحوه بداية بالمشاعر الايجابية وكان صادقا بها ، واندفع نحوه بالمشاعر السلبية مرة اخرى وكان ايضا صادقا بها لان كافور الذي التقاه المتنبي في البداية لم يكن نفسه كافور الذي هجاه المتنبي فلو كان كافور الذي صوره لنا المتنبي في مدحه موجودا بالفعل لتعذر عليه ان يهجوه بعد ذلك ، ولو كان كافور كما صوره لنا المتنبي في هجائه لما تردد هذا الكافور عن ملاحقة المتنبي والغدر به ، بل فلننظر بعمق لمناقشة نوري جعفر للناحية السايكولوجية هذه بالشكل التالي/ مجرد تفكير المتنبي وهو عند سيف الدولة بالسفر الى كافور ناهيك عن شده الرحال نحوه والقائه عصا الترحال في الفسطاط يشير الى ان كافورا هذا المقصود هو غير كافور المهجو وما يصدق على موقف المتنبي من كافور يصدق ايضا على مواقفه من جميع الذين مدحهم او ذمهم واظهرهم على غير حقيقتهم.

اعطى نوري جعفر مجموعة صفات فسلجية للمتنبي منها:

أ- تطور عال في مراكزه المخية الحسية البصرية.

ب- تطور عال اخر مماثل في مراكزه الدماغية الواقعة تحت المخ.

---

١ - نوري جعفر، الاصالة في شعر ابي الطيب المتنبي، اصولها الدماغية وجذورها الاجتماعية في ضوء فسلجة بافلوف، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٦م، ص١٠.

التطور في النقطة الاولى يعتبر الاساس الجسمي المادي للاصالة في مجال الفن بما فيه الشعر في حين ان تطور المراكز الدماغية التي تقع تحت المخ هو الذي يلازم كبار الفنانين والشعراء وهو اساس علاقتهم بالطبيعة والمجتمع ، ويذكر نوري جعفر ان المجتمع الذي حوى ابي الطيب المتنبي هو مجتمع يسوده الاقطاع والتناقض الذي انعكس في شعر المتنبي وصبغ جوانب كثيرة من سلوكه لانه حال دون تحقيق مطامح الشاعر الفذ ولكن هذا الراي لنوري جعفر يتناقض مع ما ذهب اليه العلامة فيما سبق عندما يذكر ان المتنبي لم يكن متناقضا في سلوكه وانه كان صادقا في اللحظة التي يطلق بها شعره دون خداع او مواربة[1] وياتي مرة اخرى لكي يعطي راي انه بسبب المجتمع الذي عاش فيه المتنبي اصبح متناقضا في سلوكه وبعض اشعاره[2] وهذا اشكال كبير نورده على العلامة المفكر نوري جعفر ، جعفر ، وبسبب المجتمع المتناقض كان ابو الطيب غريبا عن المجتمع الذي عاش فيه وقد عبر عن غربته بالتعبير العلمي الحديث بقوله:

**انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود**

والمتنبي حين يطنب في مدح سيف الدولة او كافور انما هو يطنب في مدح نفسه ويشيد بامكانياته التي يجدها مجسدة في الممدوح أي انه يطنب بعبارة اخرى بالجوانب الايجابية التقدمية التي يجدها في نفسه وفي الحاكم الامثل في ذلك الزمان وهذه نزعة سايكولوجية انتشرت في مطلع القرن العشرين تسمى «مذهب التامل الباطني» Introspection وهذا ايضا يتناقض مع ما اورده نوري جعفر على ان شعر المتنبي الذي كان يمتدح به

---

١ - المرجع السابق، ص٩

٢ - المرجع السابق، ص١١

الناس او يهجوهم كان صادقا في لحظة المدح او الهجاء وان كافور عندما امتدحه كان يختلف عن كافور الذي هجاه أي ان مشاعر المتنبي كانت صادقة في مديحه لكافور وهذا يختلف اختلافا جذريا مع ما اورده نوري جعفر في اعلاه من ان المتنبي كان يمدح الشخص وذلك انطلاقا من نظرته لنفسه حسب مذهب التامل الباطني وهذه اشكالية اخرى نوردها على العلامة نوري جعفر.

نحن تكلمنا عن الاصالة في الفكر في مبحث اخر من مباحث هذا الكتاب والفكر المبتكر اوردناه حسب ما جاء في نظر نوري جعفر وسلطنا الجانب التحليلي النقدي عليه ، وعرفنا ان الفكر الاصيل الذي تتصف به اقلية من الناس يعبر عن نفسه على هيئة قدرات عقلية عليا او مواهب في حقل العلم او الفن بما فيه الشعر على حد سواء. فالفكر الاصيل هو ماتميز به المتنبي. وقد تناوله نوري جعفر كثيرا في كتابه :الفكر طبيعته وتطوره والكتاب الذاني الذي تناول فيه هذا الموضوع هو اللغة والفكر.

نوري جعفر يشرح فسلجيا كيف تتم عملية الابتكار والخلق الجديد للنص الشعري او المعرفة العلمية مبتغيا من شرحه هذا ان يقول كيف كان المتنبي مبتكرا في افكاره وكيف تعمل عليه الالية الفسلجية الحديثة حيث اعتبر نور ي جعفر فالابتكار الذي حصل عند المتنبي هو : نشاط عصبي تقوم به خلايا القشرة المخية التي بلغت اثارتها حدها الاقصى وهذا يعني من الناحية السلبية نشوء عملية عزل مخي تستدعي في لحظة تركيز الانتباه اقصاء الانطباعات الذهنية الاخرى والمؤثرات البيئية المباشرة وغير المباشرة لتنتشر تلك الاثارة في جميع ارجاء المخ. وعندما تقترن او تتلقح الارتباطات العصبية في المنطقة المخية النشطة فان ذلك يعني ميلاد الفكرة الجديدة او المبتكرة ، غير ان هذا الاقتران السعيد المؤقت او الخلق

الذي يتم في اعقاب دراسة عميقة ومستفيضة قد تستغرق سنين طويلة يحدث بشكل مفاجئ عند نضجه في المراكز المخية الحسية المنتشرة في ارجاء القشرة المخية باستثناء مقدمتها او الفصين الجبهيين بالتعبير الفسلجي كما يحدث ايضا في المراكز المخية اللغوية الموجودة في القسم الامامي الاعلى من المخ مما يؤدي الى اقتناص فكرة جديدة طرية او صورة شعرية رائعة قبل ان تفر من الذهن فيتم انبثاقها في حقل الفن بما فيه الشعر في حالة حدوث الاقتران العصبي المار ذكره في المراكز المخية الحسية ويحدث في حقل العلم عند حصوله في المراكز المخية اللغوية. ويبلغ الصراع المخي اعلى مراتبه في الحالتين بين الخلايا المخية النشطة وبين الخلايا المخية التي ما زالت باهتة النور. وتظهر في مجرى هذا الصراع المخي صفات جديدة يجوز ان نطلق عليها «خاض الابداع» الذي يتصف به العلماء الافذاذ وكبار الفنانين وهو حالة خاصة من الصراع المرير الحاسم الذي يحصل بين المجاري المخية التي تحمل الفكرة الجديدة او الصورة الشعري لقذفها خارج المخ. وبين المجاري الخية الاخرى التي تحاول الاحتفاظ بها على نسق الصراع الذي يحدث بين مسارب دفع الجنين الى خارج الرحم وبين التي تحاول الاحتفاظ به. وعندما يستكمل المولود الفكري الجديد الفكرة العلمية او الصورة الشعرية مستلزمات وجوده المستقل فانه يرى النور في اللحظة الحاسمة بشكل حتمي لا مراء فيه تماما كما هي الحال في حالة الجنين ويحصل ذلك بشكل مفاجئ وقصة ارخميدس (١٨٧-٢١٢ ق.م) معروفة عندما توصل اثناء استحمامه الى حل مسالة رياضية اعياه حلها فخرج الى الشارع جذلا يصيح باعلى صوته

«وجدتها ، وجدتها.»[1] وهذا التفسير لعملية الخلق والابتكار الفني او العلمي قد امتاز به نوري جعفر لاضفاء صفة التحليل الفسلجي لظاهرة الخلق الفني عند المتنبي وفي حدود علمنا فان دراسته هذه تعتبر الفريدة من نوعها في قراءة فسلجة المخ لدى المتنبي وكيف ساهمت في ابراز هذه الصور الشعرية الرائعة بمقاييس كل الازمنة.

كما ويعتبر ان العوامل الاجتماعية انذاك كان لها الاثر الكبير في عملية الخلق الفني والابتكار نتيجة الجوائز الكبيرة والهبات المتعددة من الخلفاء على الشعراء ونتيجة بروز ظاهرة الشعر بشكل كبير مما اسهم في حدوث الاصالة في ميدان الشعر. واعتبر نوري جعفر ان قمة الاصالة هي العبقرية (وهذا كله لكي يوصلنا العلامة المفكر الى ان المتنبي كان عبقريا واصيلا في شعره) والعبقرية هي اعلى درجات الابتكار والعبقري ارقى المبتكرين ويفرق بين العبقري والمكبتكرين الذي هم دونه في سلم الابداع.

فالعبقري لا يقتصر على سعة الابتكار وعمقه فحسب وانما هو يظهر ايضا والى الدرجة الاهم في ان الفكر العبقري يلعب دورا ايجابيا فريدا في مجال تخصصه بالنسبة لتاريخ العلم والفن وفي حقل النظريات الاجتماعية والعبقري هو ذو مزايا مخية نادرة واولى سمات العبقرية اتصاف صاحبها بخيال خصب يبلغ اعلى مداه في موضوع التخصص.اما درجات الاصالة الاخرى فيذكر نوري جعفر منها الالمعية والمهارة والبراعة والفرق بين الالمعي والماهر يكمن في سعة ظاهرة الابداع عند الالمعي ، اما الماهر او البارع فانه وان كان في الاعم الاغلب لا يتصف بالاصالة لانه يردد باتقان ما ابتكره غيره الا ان تاريخ العلم والفن وبخاصة الشعر يسجل مهرة

---

١ - المرجع السابق، ص ٢١.

مبتكرين يعيدون الاصل او يجددونه في اطاره العام ولكن باسلوب جديد قد يفوقه بالروعة والاتقان.[1]

بالتالي نستجلي بامعان ان ظاهرة شعر المتنبي هي ضمن الاصيل والمبتكر الذي حصلت فيه الاثارات المخية المشار اليها فوجدت اللحظة الحاسمة ، ليقذف به خارج المخ ويظهر علينا جليا في ثنايا شعره الذي قسمه نوري جعفر الى قسمين /

١- اصيل وبتكر

٢- منسوج على منوال غيره ويقسمه على ثلاثة اقسام ايضا هي:

أ- بعض منه فاقهم به.

ب- بعضه وقف معهم به.

ت- وبعضه لم يبلغ شاوهم فيه.

الاول يذكر منه نماذج كثيرة يستطيع القارئ الحصيف الرجوع الى ديوان المتنبي لينهل منه ما شاء.

اما الثاني فيتوجب علينا ذكر كل ما جاء فيه لدى العلامة نوري جعفر لاهميته وكيف ان المتنبي كان يصوغ على منوال غيره حسب ما مر لان الاطار النظري الذي مر ذكره في ثنايا الفصل هذا له مدلولاته الواقعية في شعر المتنبي كما سنرى. في الجداول التالية التي صممناها لتبيان المقارنة والتي ارتاينا تثبيتها في هذا الكتاب ليتبين لنا عمق قراءة نوري جعفر للتراث بحيث انه استطاع ان يكتشف غالبية ابيات المتنبي الماخوذة من غيره وتفحصه العميق للتراث مما يبين صعوبة هذه الدراسة وعمقها وكذلك يبين اهمية المتنبي لدى العلامة نوري جعفر وكيف كان متعلقا به حتى

---

١ - المرجع السابق، ص٤٤

نستطيع القول ان المتنبي والجاحظ اكثر شخصيتين تراثيتين تعلق بهما نوري جعفر وذلك بسبب العمق السايكولوجي الذي تميز بهما هاتين الشخصيتين التراثيتين واثرهما النهضوي على الفكر العربي الاسلامي:

**أ- ما فاقهم به:**

| الشاعر | المتنبي |
| --- | --- |
| علي بن يحيى المنجم في وصف خصر حبيبته:<br>وارى عليه حديقة اضحى لها<br>حدقي واحداق الانام نطاقا | وخصر تثبت الابصار فيه<br>كان عليه من حدق نطاقا |
| بشار:<br>اذا رضيتم بان نجفى وسركم<br>قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجرا | ان كان سركم ما قال حاسدنا<br>فما لجرح اذا ارضاكم الم |
| دعبل:<br>ولست ارجو انتصافا منك ما ذرفت<br>عيني دموعا وانت الخصم والحكم | يا اعدل الناس الا في معاملتي<br>فيم الخصام وانت الخصم والحكم |
| ابو علقمة:<br>سللتم سيوفا كالرقاد جعلتم<br>جفون الاعادي في القتال جفونها | كان الهام في الهيجا عيون<br>وقد طبعت سيوفك من رقاد |
| ابو اسحاق ابراهيم بن السيار النظام البصري[1]:<br>البصري[1]: | واسرع مفعول فعلت تغيرا<br>تكلف شيئ في طباعك ضده |

---

١ - يتبين هنا كيف ان نوري جعفر يركز على كلمة البصري نسبة الى مدينة البصرة التي منها النظام ونادرا ما يذكر النظام المعتزلي بصفة

| | |
|---|---|
| ومـــن يتكلـــف مـــا يخـــالف طبعـــه<br>يبن عجزه فيه وتعمى بصائره | |
| البحتري:<br>جـــل عـــن مـــذهب المـــديح فقـــد<br>كاد يكون المديح فيه هجاء | تجـاوز قـدر المـدح حتـى كأنـه<br>بأحسن ما يثنى عليه يعاب |
| بشار:اذا انشد حماد فقل احسن بشار | اجزنـي اذا انشـدت شـعرا فانما<br>بشعري اتاك المادحون مرددا |
| قال ابن الرومي يصف امتنان الرياض للسحاب:<br>شـــكرت نعمـــة الـــولي علـــى الـــوسمي<br>ثم المهاد بعد المهاد | وذكـي رائحـة الريـاض كلامهـا<br>تبغي الثناء على الحيا فتفوح |
| البحتري:<br>وكان في جسمي الذي في ناظريك من السقم | اعـارني سـقم عينيـه وحملـني<br>من الهوى ثقل ما تحوى مازره |
| مسلم بن الوليد:<br>و مخادع السمع النعي ودونه | طوى الجزيرة حتى جاءني خبر<br>فزعت فيه بامالي الى الكذب |

---

البصري ولكن راينا نوري جعفر يركز على هذه المفردة وذلك لانه ومن=
=خلال قراءتنا لفكر هذا الرجل يتبين لنا تاكيده المستمر على قراءته للتراث العربي الاسلامي البصري والتركيز عليه والدليل على ذلك اهتمامه بفكر الجاحظ كثيرا وهو بصري حتى انه كتب عنه كتابين غير تكرار ذكره في ثنايا بحوثه والتركيز كذلك على مقامات الحريري وهو بصري والتركيز على اخوان الصفاء وهي حركة بصرية وتركيزه على الاصمعي وهو بصري فهذا يدلل على بصرية نوري جعفر وانتماؤه الكبير لمدينته التي انجبته حتى غدا يصر على التركيز على فكر وتراث البصريين.

| | |
|---|---|
| خطب الم بصادق لا يخدع<br>البحتري:<br>اذا جد ناعبه توهمت انه<br>يكرر من اخباره قول مازح | |
| علي بن الجهم:<br>واذا رابكم من الدهر ريب<br>عم ما خصكم جميع الانام | اذا اعتل سيف الدولة اعتلت الارض<br>ومن فوقها والناس والكرم المحض |
| ابو نواس يصف فرس الممدوح:<br>قد فهم الايحاء والصغيرا<br>والكف ان تومي او تشيرا | وادبها طول الطراد فطرفه<br>يشير اليها من بعيد فتفهم |

**ب- المعاني التي اقتبسها ابو الطيب من غيره وبقي في مستواها:**

| الشاعر | المتنبي |
|---|---|
| محمد بن داوود :<br>كأن رقيبا منك يرعى خواطري<br>واخر يرعى ناظري ولساني<br>العباس بن الاحنف:<br>اقامت على قلبي رقيبا وناظري<br>فليس يؤدي عن سواها الى قلبي | كأن رقيبا منك سد مسامعي<br>عن العذل حتى ليس بدخلها عذل |
| ابو تمام:<br>ولو لم يزاحفهم لزاحفهم له<br>ما في صدورهم من الاوجال | اذا لم تسر جيشا اليهم<br>اسرت الى قلوبهم الهلوعا |
| ابو العتاهية: | لا خيل عندك تهديها ولا مال |

| | |
|---|---|
| ازف ابكار اشعاري اليك فما<br>عندي سوى الشكر لا خيل ولا مال | فليسعد النطق ان لم تسعد الحال |
| ابو عثمان الناجم:<br>بلاد الفتى ما رافق النفس طيبها<br>واهلوه من يصفو ويخلص في الود<br>وما شرف الانسان في حسن وجهه<br>اذا لم يشيد حسنه كرم العهد | وما بلد الانسان غير الموافق<br>ولا اهله الادنون غير الاصادق<br>وما الحسن في وجه الفتى شرف<br>له<br>اذا لم يكن في فعله والخلائق |
| ابو المستهل الكميت:<br>وقفت على اطلالها فتكاثرت<br>علي همومي فهي تشبه عذالي<br>وما ارتحلت عنا الركائب وحدها<br>ولكن روحي للركائب تال<br>ولو انصفت داست باخفافها التي<br>تدوس بها الاحجار لحي واوصالي | دمن تكاثرت الهموم علي في<br>عرصاتها كتكاثر اللوام<br>ليس القباب على الركاب وانما<br>هن الحياة ترحلت بسلام<br>ليت الذي خلق النوى جعل<br>الحصى<br>لخفافهن مفاصلي وعظامي |
| ابو راسب البجلي:<br>رأيت ملوك الارض شرقا ومغربا<br>فمولاهم عند الحقيقة قاسم | وقد رايت الملوك قاطبة<br>وسرت حتى رايت مولاها |
| السيد الحميري:<br>همة تنطح الثريا وعز<br>نبوي يزعزع الاجبالا | شرف ينطح النجوم بروقيه<br>وعز يقلقل الاجيالا |
| بشار:<br>حظي من الخير منحوس واعجب ما | ماذا لقيت من الدنيا واعجبه<br>اني بما انا شاك منه محسود |

| | |
|---|---|
| اراه اني على الحرمان محسود | |
| بشار:<br>يموت راعي الضأن عند تمامه<br>موت الطبيب الفيلسوف العالم | يموت راعي الضأن في جهله<br>موتة جالينوس في طبه |
| بشار:<br>حشاشتي ودعتني يوم بينهم<br>وتبعتهم وخلتني واحزاني<br>وقد اشاروا بتسليم على حذر<br>من الرقيب باطراف واجفان | حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا<br>فلم ادر أي الظاعنين اشيع<br>اشاروا بتسليم فجدنا بانفس<br>تسيل على الاماق والسم ادمع |
| ابو الشيص:<br>دعتني جفونك حتى عشقت<br>وما كنت من قبلها اعشق | وما كنت ممن يدخل العشق قلبه<br>ولكن من يبصر جفونك يعشق |
| بشار:<br>ومن كان ذا فهم بليد وغفلة<br>به علة عاب الكلام المنقحا | وكم من عائب قلولا صحيحا<br>وافته من الفهم السقيم |
| علي بن محمد البصري:<br>وهل يتقي الليث الهصور اذا ونى<br>عن الصيد والجوع المعفر فاجعة | فما ينفع الاسد الحياء من الطوى<br>ولا تتقي حتى تكون ضواريا |
| ابن الرومي:<br>وما ازداد فضل فيك بالمدح شهرة<br>بلى كان مثل المسك صادف مخوضا | وذاك النشر عرضك كان مسكا<br>وهذا الشعر فهرى والمداكا |

| | |
|---|---|
| بشار: <br> وظن وهو مجد في هزيمته <br> ما لاح قدامه شخصا يسابقه | وضاقت الارض حتى كاد هاربهم <br> اذا راى غير شيء ظنه رجلا |
| ابو راسب: <br> ولو كنت تحوى عمر من قد نهبته <br> بسيفك في الدنيا لكنت مخلدا | نهبت من الاعمار ما لو حويته <br> لهنئت الدنيا بانك خالد |
| ابو نواس: <br> وان جرت الالفاظ يوما بمدحة <br> لغيرك انسانا فانت الذي نعني | وظنوني مدحتهم قديما <br> وانت بما مدحتهم مرادي |
| المعوج الرقى: <br> كأن بنات نعش حين لاحت <br> نوائح واقفات في حداد | كأن بنات نعش في دجاها <br> خرائد سافرات في حداد |
| الخليع الاول: <br> وزائرة ما ضمخت قط ثوبها <br> بمسك ومن اثوابها المسك يسطع | وزائرة ما خامر الطيب ثوبها <br> وكالمسك من اثوابها يتضوع |
| معوج الرقي: <br> واذم طيفا لم يطف <br> حولي زمان وصاله | اني لابغض طيف من احببته <br> اذ كان يهجرنا زمان وصاله |
| ابو العتاهية: <br> قد كنت صنت دموعي قبل فرقته <br> فاليوم كل مصون فيه مبتذل | قد كنت اشفق من دمعي على بصري <br> واليوم كل عزيز بعدكم هانا |
| ابو نبقة الشاري: | من بعد ما كان ليلي لا صباح له |

| | |
|---|---|
| سهرت ليلي فنوم العين متبول<br>كأن ليلي بيوم الحشر موصول | كأن اول يوم الحشر اخره |
| ديك الجن:<br>تغدو الى سيد يحصي الحصى عددا<br>في الخافقين ولا تحصى فضائله | حلو خلائقه شوس حقائقه<br>تحصى الحصى قبل ان تحصى ماثره |
| ابن الرومي:<br>شكوى لو اني اشكوها الى جبل<br>اصم ممتنع الاركان نفلقا | لو حملت صم الجبال الذي بنا<br>غداة افترقنا اوشكت تتصدع |
| الخبز ارزى:<br>ولي مهجة انت اتلفتها<br>عليك غرامة ما تتلف | قفي تغرم الاولى من اللحظ مهجتي<br>بثانية والمتلف الشيء غارمه |
| الخبز ارزى:<br>وما حاجة الركب السراة اذا بدا<br>لهم وجهه ليلا الى طلعة البدر | وما حاجة الاظعان حولك في الدجى<br>الى قمر ما وجد لك عادمه |
| الخبز ارزى:<br>ومن قلة ما اثني<br>عليه صرت كالهاجي | وعظم قدرك في الافاق اوهمني<br>اني بقلة ما اثنيت اهجوكا |
| ابن الرومي:<br>اذا تمشى يكاد يقعدها<br>ردف كمثل الكثيب رجراج | بانوا بخرعوبة لها كفل<br>يكاد عند القيام يقعدها |
| ابو تمام:<br>مقيم الظن عندك والاماني | واني عندك بعد غد لغاد<br>وقلبي من فنائك غير غاد |

| وان قلقت ركابي في البلاد<br>ولا سافرت في الافاق الا<br>ومن جوداك راحلتي وزادي | محبك حيثما اتجهت ركابي<br>وضيفك حيث كنت من البلاد |
|---|---|
| ابن المعتز:<br>البدر من شمس الضحى نوره<br>والشمس من نورك تستجلى | تكسب الشمس منك النور طالعة<br>كما نكسب منها نوره القمر |

**ث- ما اخذه المتنبي من غيره وقصر عن مداه:**

| الشاعر | المتنبي |
|---|---|
| ابو نواس:<br>ملك تصور في القلوب مثاله<br>فكأنه لم يخل منه مكان | كذب المخبر عنك دونك وصفه<br>من بالعراق يراك في طرسوسا |
| ابو نواس:<br>واذا المطي بنا بلغن محمدا<br>فظهورهن على الرحال حرام | وتعذر الاحرار صير ظهرها<br>الا اليك علي فرج حرام |
| ابو تمام:<br>ولا تحسبا هندا لها الغدر وحدها<br>سجية طبع كل غانية هند | اذا غدرت حسناء وفت بعهدها<br>فمن عهدها الا يدوم لها عهد |
| اشجع:<br>فاذا تنبه رعته واذا غفا<br>سلت عليه سيوفك الاحلام | يرى في النوم رمحك في كلاه<br>ويخشى ان يراه في السهاد |
| ابو تمام:<br>فرددت علينا الشمس والليل راغم | رات وجه من اهوى بليل عواذلي<br>فقلن نرى شمسا وما طلع الفجر |

| بشمس لهم من جانب الخدر تطلع | |
|---|---|
| قول احدهم: نقاسمهم اسيافنا شر قسمة<br>ففينا غواشيها وفيهم صدورها | وكنت السيف قائمه اليها<br>وفي الاعداء حدك والغرار |
| زهير:<br>تراه اذا ما جئته متهللا<br>كانك تعطيه الذي انت سائله | تهلل قبل تسليمي عليه<br>والقى ماله قبل الوساد |

يتبين مما ورد من اشعار ينقلها نوري جعفر ويقارن بينها وبين ما ورد عند المتنبي ويقسمها الاقسام المارة الذكر عمق نوري جعفر في القراءة ومنهجه المقارن الذي افرز هذه الرؤى في اشعار المتنبي.

ان اسلوب المتنبي في مدحه لسيف الدولة يقع ضمن فلسفة المتنبي بحبه العميق الذي كان يكنه لسيف الدولة الى درجة انه كان يغار عليه من غيره ويريده ان ينصرف اليه بكليته دون سائر الشعراء بل وسائر الناس ، وهذه سفة مزاج المتنبي الايجابية التي تعبر عنها بعنف مشاعره الجامحة وهي التي تجعله ايضا ينظر الى من يحبه وكانه فريد في بابه نسيج قائم في حد ذاته لا يدانيه احد من الناس في جميع الصفات الحسنة ، فيصفه بارق الصفات ويفرط في ذلك الى درجة الاحالة ويريد من الاخرين ان ينظروا اليه من هذه الزاوية ولكن دون ان يقتربوا منه او ان يقترب هو منهم. وهذه هي صفة مزاج المتنبي في حالتها السلبية عندما يفرط بالهجاء حتى بالنسبة لمن سبق له ان مدحهم فيعبر عنها بعنف مشاعره فالعلامة نوري جعفر يقرا المتنبي من خلال عنف مشاعره الايجابية والسلبية. أي ان المتنبي يتصارع فيه امران المشاعر الايجابية تجاه الاخرين والسلبية وكلاهما يعبر عنهما بعنف المشاعر مما يجعله صادقا في نظر نوري جعفر في كلا

الحالتين وكما اشرنا مسبقا.

طبعا ولا نهمل مسالة اخرى توفرت بسيف الدولة مما جعل المتنبي يمدحه كل هذا المديح منها : اتصافه بالشجاعة والسماحة والمروءة والنخوة والاريحية والاهتزاز للكلمة الطيبة والعمل النبيل. وغيرها من صفات القيادة الشجاعة والادب الرصين والاخلاق الفاضلة.

ويضفي نوري جعفر مجموعة من الصفات التي ميزت المتنبي وشعره وفي اغلبها صفات سايكولوجية وهي:

١- **اندفاع المتنبي:** هذا الاندفاع لذي الب عليه حاشية الامير وقصاده من الادباء والشعراء فخلق ذلك لابي الطيب وسيف الدولة متاعب كثيرة ولعل خصومة المتنبي لابي الطيب تعود جذورها لهذه الفترة بالذات ، واندفاع المتنبي يتضح في ان المتنبي الذي يمتدح سيف الدولة وينعته بارق النعوت الى جانب المتنبي الذي يعرض به تصريحا وتلميحا ويوسعه بامض اللوم واعنف العتاب ، كما نجد المتنبي الذي يطنب في مدح كافور ويرفعه احيانا الى درجة لم يرفع حتى سيف الدولة اليها الى جانب المتنبي الذي ينزل في هجاء كافور الى ادنى المستويات.

يعلق نوري جعفر على ظاهرة الاندفاع قائلا: «تلك ظاهرة شاهدها كل من درس حياة المتنبي وشعره.ولكننا لم نعثر على من حاول تفسيرها تفسيرا علميا مقبولا في ضوء مقومات المتنبي الفسلجية او مزاجه بالتعير لقديم وفي ضوء ظروفه الاجتماعية[1] المتنافرة التي عرضنا لبعض منها أي

---

١ - من الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة ان الاقطاع هو النظام الاجتماعي السائد وقد اتسمت اوضاع الدولة السياسية والادارية بتدهور

ان سلوك المتنبي واختلاف مستويات شعره انما هما صدى مقوماته الفسلجية وتنافر عصره ومجتمعه»[1] ويتجلى اندفاع المتنبي في قصده كافورا الاخشيدي بالذات وهو احد خصوم سيف الدولة عند مفارقته هذا الاخير. كذلك يظهر اندفاعه عند اتصاله بابي الفضل ابن العميد وقد تقرب المتنبي للكثيرين من امراء زمانه مندفعا نحوهم الا الصاحب بن عباد الذي كان شابا انذاك وكان على جانب كبير من الحس الادبي والخلق الرفيع والمكانة الاجتماعية المرموقة وقد مدح لامتنبي –على ما يرى نوري جعفر- من هم دونه بمراحل كما هو معلوم.

٢- **افراطه في المدح والقدح** وكونه ايضا عندما يمدح شخصا بالذات فانه يتجاهل غيره حتى الذين مدحهم في السابق او الذين يطمع

---

الخلافة العباسية وتداعي اركان الدولة وانفصال الامراء في مقاطعاته= =واشتداد التنافس بينهم بجانبيه الايجابي والسلبي :الايجابي التقدمي في تشجيع الباحثين واحترام العلماء وتكريم الشعراء.والسلبي في الحروب والمنازعات التي لا مسوغ لها احيانا بمقاييسنا الحديثة. وكان المثل الاعلى للامير بنظر شعراء ذلك الزمان هو الشجاعة المتمثلة في التغلب على الخصم في الحرب وفي اغداق الاموال على الشعراء بصورة خاصة. وكانت تلك الصفة من المفاخر التي تغنى بها الشعراء قبل المتنبي معه وبعده في مجتمع المتنبي وفي المجتمعات المعاصرة الاخرى فمن ناحية تمجيد الغزو والعدوان لكسب الغنائم قال احد الاعراب:

لن ينال الضعيف بالضعف غنما    انما يغنم الفتى السيار
حرك المشرفي وارحل كريما    فالتواني مذلة وصغار
هي نفس تؤب اما بملك    او بهلك وليس في الهلك عار

١ - المصدر السابق، ص٨٦

بمدحهم في المستقبل والمتنبي يطري على ممدوحه كما لو انه سيقيم لديه ويعتبر الدكتور نوري جعفر ان مديحه هذا ينطوي في العادة على التعريض الصريح او الضمني بشخصيات سبق له ان مدحها او يتوق الى مدحها، كما ينطوي ايضا على التعريض الصريح اللاذع بالشعراء الاخرين،ويحصل العكس في حالة الهجاء حيث يتحرر المتنبي من جميع الالتزامات الاجتماعية المالوفة ويخرج على جميع الاعتبارات وينسى جميع الروابط ولا يحسب لنتائج الهجاء أي حساب ولا ياخذ بعين الاعتبار اطلاقا احتمال اللقاء بمن يهجوه في المستقبل القريب او البعيد[1].

ويبدو ان المتنبي لم يفطن الى هذا التنافر الذي يلحظه غيره او يحسب حساب النتائج المترتبة عليه: وهي نتائج يدركها دون شك المعرضون لمدحه وهجائه كما يدركها ايضا المتربصون به وهم كثيرون ، وفي ديوانه امثلة منها:

خاطب سيف الدولة وهو يرثي والدته ويعزيه بوفاتها عام ٣٣٧هـ بقوله معرضا بالامراء والملوك الاخرين:

**رايتك في الذين ارى ملوكا**

**كانك مستقيم في محال**

وخاطبه في قصيدة اخرى يمدحه بها ويعرض بالخليفة العباسي بالذات وبالأمراء الآخرين:

**اذا كان بعض الناس سيفا لدولة**

---

١ المصدر السابق، ص٩٥

ففـــي النـــاس بوقـــات لهـــا وطبـــول

واعاد التعريض بشكل اكثر صراحة –في آخر قصيدة قالها بحضرته سنة ٣٤٥هـ:

الهي الممالك عن فخر فضلت به

شـــرب المدامـــة والأوتـــار والـــنغم

وكرر التعريض في قصيدة يمدحه بها ارسلها اليه من الكوفة سنة ٣٧٢ه بعد فراره من مصر وهو على مقربة من الخليفة العباسي:

مـــا الـــذي عنـــده تـــدار المنايـــا

كالـــذي عنـــده تـــدار الشـــمول

وخاطب كافورا الاخشيدي وهو يمدحه سنة ٣٤٩ه ويعرض بسيف الدولة بالذات:

فـــراق ومـــن فارقـــت غـــير مـــذمم

وام ومـــن يممـــت خـــير مـــيمم

رحلـــت فكـــم بـــاك بأجفـــان شـــادن

علـــي وكـــم بـــاك بأجفـــان ضـــيغم

رمى واتقى رميي ومن دون ما اتقى

هوى كاسر كفي وقوسي واسهمي

اذا ســاء فعــل المــرء ســاءت ظنونــه

**وصــدق مــا يعتــاده مــن تــوهم**

وهجا سيف الدولة بشكل صريح في قصيدة اخرى مدح بها كافورا عام ٣٤٦ه:

**حببتك قلبي قبل حبك من نأى**

**وقـد كـان غـدارا فكـن أنـت وافيـا**

وخاطب كافور في قصيدة أخرى معرضا بجميع الناس عام ٣٤٨ه:

**قضــى الله يــا كفــور انــك أول**

**ولـيس بقـاض أن يـرى لـك ثـان**[١]

ويستعرض نوي جعفر اراء كبار الباحثين والنقاد في المتنبي وشعره ومنهم العكبري واليازجي والثعالبي والأصفهاني والهروي وغيرهم كثير مما هو خارج هذه الدراسة وعلى المتلقي اذا شاء ان يستزيد الرجوع الى كتابه المشار اليه في دراستنا هذه.

٣- الصفة الثالثة التي يضفيها نوري جعفر على المتنبي وشعره هي: إن أبا الطيب المتنبي كان واسع الاطلاع في اللغة العربية من حيث نحوها وصرفها ومفرداتها وقد أشار هو نفسه إلى ذلك وهو على حق:

**أنــام مــلء جفــوني عــن شــواردها**

---

١ - نقلا عن المرجع السابق، ص٩٦- ٩٧

ويسـهر الخلـق جراهـا ويختصـم

واطلاعه على الشعر العربي فهو الآخر عظيم يثير الإعجاب بحيث إن الذين اتهموه بالسرقة وبخاصة الحاتمي والعميدي يؤكدون بشكل قاطع مدى استيعابه أشعار من سبقوه.

وتركيز نوري جعفر على جانب المعرفة العميقة التي يتمتع بها المتنبي باسرار اللغة من حيث مفرداتها وصرفها من باب التاكيدعلى القدرة العقلية التي يتمتع بها المتنبي.

٤- الغموض: حيث ان الغموض في شعر المتنبي كان صفة اساسية فيه وهو نفسه مسؤول الى حد كبير عنه وقد يصل احيانا حد الابهام في شعره سواء اكان ذلك ناجما عن طبيعة المصطلحات التي يستعملها في غير اوجه استعمالها المالوفة ام انه حصيلة التقديم والتاخير بين اركان الجمل التي يستعملها كفصل المبتدا عن خبره مثلا او حشره جملا اعتراضية غامضة احينا في غير مواقعها المالوفة ، ومن اشعاره التي يكتنفها الغموض:

قلـق المليحـة وهـي مسـك هتكهـا

ومسـيرها في الليـل وهـي ذكـاء

والغموض في هذا البيت كما ذكر نوري جعفر يتجلى في استعمال المتنبي كلمة –قلق- في غير محلها فالقلق بفتح اللام مصدر الفعل –قلق- بكسر اللام بمعنى اضطرب وانزعج.

غير ان المتنبي اراد القلق بسكون اللام بمعنى الحركة وهو مصدر الفعل وقلق بفتح اللام قلق الشيء قلقا بمعنى حركه.

وهذا معنى غير مالوف لدى غير المتضلعين باللغة.
اما الماخذ الاخرى على شعره فيمكن تلخيصها بالتالي:
اخذ عليه النقاد في بيته:

**جلـلا كمـا بـي فليـك التـبريح**

**اغــذاء ذا الرشــا الاغــن الشــيح**

انه حذف النون من يك وهذا خطا اذا سبقتها اللام وحقها ان تتحرك بالكسر انها لا تحذف الا اذا سكنت وذلك لغرض التخفيف غير ان العكبري ذكر في شرحه هذا البيت ان تلك النون في قول المتنبي قوية بالحركة لان سبيلها أن تحرك فكان ينبغي الا يحذفها لكنه لم يعتد في الحركة بالنون كما كانت غير لازمة ضرورة.وقد حذفت النون من (لكن) ضرورة انشد سيبويه:

**فلســـت بآتيـــة ولا أســـتطيعه**

**ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل**

واذا جاز حذف النون من «لكن» وقد حذف منها نون أخرى جاز أن تحذف من قوله «فليك» وفيه قبح من وجه آخر ، وهو انه حذف النون مع الإدغام وهو غريب جدا لان من قال في بني الحارث "بلحارث" لم يقل في بني النجار"بنجار"[1] وغيرها من الماخذ التي يذكرها العلامة جعفر.ثم يسهب الدكتور نوري جعفر في بقية كتابه بذكر المآخذ اللغوية في اشعار العرب والإشارة الى أخطاء الشعراء من باب ان الماخذ اللغوية على شعر

---

١ - المصدر السابق، ص١٥٧

ابي الطيب تتلاشى أهميتها بأخطاء غيره من فطاحل الشعراء،ولكن هذا الاسهاب في ذكر اخطاء الشعراء من قبل العلامة نوري جعفر هو غير ضروري وهو من باب الاسهاب الذي ليس له علاقة بمتن الكتاب بل يمكن ان يكون كتابا لوحده ويستمر به نوري جعفر الى نهاية الكتاب دون الرجوع مطلقا إلى شعر المتنبي. سوى إشارة أخيرة في نهاية الكتاب يتحدث بها عن الجوانب الايجابية في عصر المتنبي ويقول ان عصره لم يخل منها ولكن تركيزنا على الجوانب السلبيه في عصره وذلك لكونها وثيقة الصلة بحياة ابي الطيب المتنبي.

وبالنتيجة فالدكتور نوري جعفر استطاع ومن خلال هذا الكتاب ان يعطي رؤى جديدة لم تكن مقروءة مسبقا في شعر المتنبي ولاسيما تركيزه في بداية الكتاب على الطبيعة العقلية للمتنبي من خلال سلوكه الشعري والقراءة الفسلجية لعقله في ضوء علم الفسلجة الحديث والتركيز على عمليتي الاثارة والكف في الجهاز العصبي المركزي ، وتبقى هذه القراءة قراءة تنويرية من باب انعاش التراث الذي اراد من خلاله نوري جعفر ان يرتقي بالفرد العربي عند اطلاعه على تراثه لا ان يقرا تراثه قراءة سلبية كلاسيكية اعتيادية بل ان مثل هكذا قراءات ستسهم والى حد بعيد في عملية التنوير والنهضة المنشودة.

# الفصل التاسع

## المبادئ والثورة

المبادئ: هي مجموعة الافكار التي تربط بينها وحدة الاتجاه في تفسير الظواهر الاجتماعية وغير الاجتماعية التي يتصدى ذلك المبدأ للبحث فيها. أي ان المبدأ بعبارة اخرى لا يتكون بمجرد وجود عدد من الافكار قل او كثر غير المترابطة من حيث علاقاتها الداخلية ببعضها ومن حيث انسجامها فيما يتصل بوحدة الاتجاه فالترابط بين الافكار وانسجامها هو الذي يكون المبدأ ذلك لان الافكار بحد ذاتها وان كانت شرطا رئيسا لتكوين المبدأ الا ان المبدأ لا يتكون بمجرد توافرها والعلامة نوري جعفر بنظره ان المسيحية مبدأ وكذا الاسلام والبوذية والديمقراطية مبدأ وكذا الشيوعية والنازية وما يجري مجراها وتختلف المبادئ فيما بينها من حيث الاساس في ناحيتين هما:

سعة المبدأ وعمقه[1] أي بعبارة اخرى بمقدار الظواهر الاجتماعية وغير الاجتماعية التي يعالجها ذلك المبدأ من جهة والمدى الذي يتعرض له ذلك العلاج من جهة اخرى.اما الناحية الثانية التي يعالجها نوري جعفر التي تختلف فيها المبادئ فهي المصدر الذي ينبثق عنه فمصدر المسيحية مثلا

---

١ - نوري جعفر، المبادئ والرجال، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٥٨، ص٩

سماوي بنظر حملتها.على حين ان مصدر الديمقراطية ارضي بنظر اصحابها وكذلك الشيوعية تختلف عن الديمقراطية فبالنتيجة نستطيع ان نقول ان المبادئ تنقسم قسمين من حيث مصدرها بنظر حملتها مبادئ سماوية ومبادئ ارضية كما تنقسم كذلك من حيث سعتها وعمقها في البحث الى مبادئ واسعة عميقةومبادئ ضيقة سطحية ، هذا مع العلم ان السعة والعمق امران نسبيان.

كما ويعرض نوري جعفر لفقرات من الدستور العراقي المكتوب في العهد الملكي ومنها الفقرة السادسة: لا فرق بين العراقيين امام القانون وان اختلفوا في القومية والدين واللغة ويذكر المواد المتعلقة بالحريات من حرية ابداء الراي والنشر والاجتماع وتاليف الجمعيات والانضمام اليها ويركز كثيرا على عرض فقرات الدستور وذلك لانه اعتبر ان الدستور كوثيقة هي عبارة عن مبدأ او مجموعة مبادئ تتفق عليها الامة ، وعرض نوري جعفر هذا لمواد الدستور مركزا فيها على المواد المتعلقة بجوانب الحريات الشخصية وصيانة هذه الحريات ومواد المساوات بين كل العراقيية والسيادة للامة على نفسها. مبتغيا من وراء ذلك ان يركز المتلقي على جوانب المبادئ التي تخص الحريات الاساسية.كما ويعرض من باب المبادئ حقوق الانسان الذي وضعته هيئة الامم ويركز على هذه الحقوق التي تخص المساواة والحريات ، ومما يميز قراءة نوري جعفر هذه انه يقارن بين المبادئ النظرية التي تضمنها الدستور العراقي الملكي ووثيقة الامم المتحدة وبين واقعها العملي وتصرفات من يدعون انهم يحملونها من ذوي النفوذ وهذا ما سندخل في تفاصيله فيما بعد من هذا الفصل.

والمبدا في نظر نوري جعفر كالكائن الحي من حيث نشوؤه وضعفه واندثاره يبدأ ضعيفا فاذا كتب له النصر وصادفته ظروف عامة محلية

وعالمية ملائمة نما وانتشر وازدهر فالمبادئ تظهر ضعيفة من الناحية المادية ليست لدى اصحابها او حملتها ققو مادية كبيرة في الرجال او السلاح او المال بالنسبة لخصومهم لنشرها بين الناس ولهذا نجد حملتها يستندون لغرض التبشير بها في هذه المرحلة من مراحل نشاطهم المادي والفكري على المنطق النظري والمناقشة والاقناع بوجاهة مبادئهم وخطل المبادئ التي يناوئونها وتتسع الدعوة الى المبدأ الجديد مع الزمن كلما كثر عدد المؤمنين به.ويتم ذلك بالطبع على حساب المبدأ الذي يناوئونه فضعف احدهما معناه قوة الاخر. فاذا كتب البقاء للمبدأ الجديد فانه ينتقل بعد ان يصبح له اتباع ومؤيدون الى المرحلةالثانية : ويسميها نوري جعفر «مرحلة الاستناد الى النار والحديد» وهي تسمية خطيرة جدا اذا ما قارنها بالاسس التي نشات عليها الاديان أي قوة السيف والسلاح.وهذا يعني انه ينتقل الى المرحلة الثانية ، القوة المادية المسلحة ويتوقف نجاحه في هذه المرحلة على ضعف القوة او القوى التي تنازعه البقاء فاذا كتب له الظفر فان ذلك يؤدي الى تقوية الاقلية التي تحمله تقوية مادية ومعنوية ، تلك الاقلية التي جمعتها وحدة الايمان بالمبدأ الجديد او وحدة المصالح المشتركة التي تتمثل في الدفاع عنه ماديا وفكريا ، بالسيف والقلم واللسان ، الامر الذي تنبثق عنه اكثرية تابعه بمرور الزمن رغبة او رهبة وتتكرر المرحلتان الانفتا الذكر بالتتابع اذا ما حاول اصحاب المبدأ الجديد الخروج عن الحدود الجغرافية للموقع الذي نشأ ذلك المبدأ فيه ، وهنا يضع نوري جعفر مقارناته الخطيرة عندما اعتبر ان الاسلام اجتاز المرحلتين الانفتي الذكر في النطاق المحلي والواسع على السواء واجتازت الديمقراطية والشيوعية المرحلتين المذكورتين في النطاق المحلي واجتازتا المرحلة الاولى في النطاق العالمي ، وهما الانفي المرحلة الثانية في هذا النطاق الواسع الكبير. فبالتالي المبادئ الناشئة حسب

رؤية نوري جعفر تبدأ ضعيفة ثم تقوى شيئا فشيئا يقومها من هو منتفع من المبادئ السابقة ويحتنها من هو سينتفع بالمبادئ الجديدة وسرعان ما تنهار المبادئ القديمة اذا ما كتب الظفر للمبدأ الجديد هذا بغض النظر عن المفاضلة بين القديم والجديد وبغض النظر كذلك عن سلامة الجديد او عدم سلامته من الناحية العملية.

كما ويعرض نوري جعفر الى الجوانب النفسية في حالتي الثواب والعقاب وضرب الامثال اثناء السلم والحرب التي يستند اليها من حيث الاساس اصحاب المبادئ الجديدة او المبشرون بها في الاسلام فيذكر كل ايات العقاب الواردة في القران وكذلك ايات الثواب وكذلك الايات التي تدل على الحرب ولبس لامته. ويعتبرها جوانب نفسية بحته استثمرت نوازع الخوف والامل في ان واحد عن طريق العقاب والثواب للافراد الذين تناجيهم.

ويربط نوري جعفر ربطا مهما بين المبادئ والدعوة الى الاصلاح للاوضاع القائمة الفاسدة بمقاييس حملة المبادئ فوسيلة اصلاح المجتمع الفاسد عن طريق المبدا الديمقراطي تختلف كثيرا عن وسيلة اصلاحه عن طريق الشيوعية أي ان المبادئ ذات اهداف عامة متقاربة من حيث الاساس غير انه لا تتفق دائما في الوسائل.

كما ويعتبر نوري جعفر ان قضية تغيير بعض المبادئ القائمة في الدولة كالدساتير وبعض القوانين من اجل الاصلاح للاوضاع القائمة لهو امر اساسي وضروري ، وكانما هو يناغم مرحلتنا الحالية ، فلا ضير ان يغير بعض فقرات الدستور او بعض القوانين في سبيل ارساء بعض الاصلاحات المهمة في البلاد والا نبقى على الاوضاع الفاسدة القائمة بحجة عدم استطاعتنا تغيير الدستور. ويعرض لبعض جوانب تعديل

الدستور الامريكي ولما لهذا التعديل من اهمية لانه اتاح قدر اكبر من الحريات ومنها تعديل المادة التاسعة عشرة منه في عام ١٩٢٠م وفيها ادخل حق المراة في التصويت لانتخاب اعضاء مجلس النواب.ثم ان نوري جعفر يبحث عن الجوانب التطبيقية للمبادئ ويحث على ايجادها والا تكون المبادئ هي عبارة عن حبر على ورق فالغاية من ايجادها هو التاثير في سلوك الجنس البشري الحاكمين والمحكومين على السواء عن طريق تطبيق نصوصها. وعلى هذا الاساس يمكننا ان نقول انه لا قيمة للمبادئ مهما بلغت من السمو في محتوياتها النظرية من الناحية الواقعية اذا لم يتسن لتلك المبادئ ان تتبناها فئة من الناس نظريا وعمليا. كما ويشير نوري جعفر اشارة سايكولوجية مهمة تتعلق ببناء الانسان كاساس لبناء المجتمعات وهي ان المبادئ نستطيع ان نضخها للمجتمع عبر تغذيتها للاطفال الذين ينشاون بحكم تفاهتهم بمقاييس الكبار من الناحيتين المادية والمعنوية مزودين بمرونة الخضوع للمبدا الجيد اما غرس المبادئ في الكبار المعتادين على اخلاقيات مجتمع معين فهذا امر يتطلب الكثير من المجهود. وينبغي ملاحظة سلوك الافراد كدلالة دالة على تشربهم بالمبادئ الجديدة ومدى التزامهم بها ، وينبه نوري جعفر انه اذا كتب النصر للمبدأ الجديد انضوى تحت لوائه (بالاضافة الى المؤمنين به ايمانا صافيا) بعض الوصوليين او الانتهازيين حفظا لمصالحهم القديمة او املا بالانتفاع في كسب مغانم جديدة كما ان هؤلاء الانتهازيين يكونون من اكثر الناس محافظة على المبدأ الجديد لضمان مصالحهم فتبدأ حالات صراع مجتمعية بينهم وبين الناس بدعوى حفاظهم على المبادئ الجديدة وبالتالي فهم لا يختلفون عن سابقيهم من العهد القديم. ويعلق نوري جعفر على هذه المسالة قائلا بما نصه« فكأن التاريخ البشري ، من ناحية المبادئ والرجال ، صراع بين فئات

من الناس ترتبط كل منها بروابط فكرية خاصة –يسميها كارل مانهايم- في علم الاجتماع detached perspectives فاذا انتصرت فئة ما على من ينافسها فان ذلك يعني انتصار المبدأ الذي تؤمن به او تتظاهر بانها تؤمن به. وهذا يتضمن ان يصبح المبدأ المنتصر هو المبدأ السائد على ما يرى نوري جعفر في المجتمع فيخضع له السكان راضين او متذمرين اما من الناحية الفكرية فيعتبر نوري جعفر ان القائمين على المبدأ القديم يسعون الى تقوية ايمان الناس بالمبدا السائد الذي يرتكز عليه النظام القائم ، ومما يجعل مهمتهم ليست بالعسيرة هو ان اغلبية الناس لا تميل الى تغيير ما الفته من عقائد وتقاليد ، واذا كانت جماهير الناس بالعهد البدائي (الذي مر به الجنس البشري لاتميل الى تغيير وسائلها المادية واساليبها الالية في الحياة وهو ما يطلق عليه اسم: technological piety دع عنك مبادؤها في الدين والسياسة والاخلاق[1] فان الانسان الحديث ما زال رغم تحرره من الخضوع للجانب الالي غير راغب من الناحية النفسية في تبديل عقائده وافكاره بشكل سريع.وفي هذا يشير نوري جعفر ومن خلال هذه الافكار الى ان الناس يالفون ما طبعوا عليه او كما يسميه سلامة موسى ان الناس الفوا الكسل فلا يستطيعوا التغيير لمجمل افكارهم وعقائدهم لذلك فان التغيير الفكر او المبدا السائد باخر افضل منه يعتبر من الشجاعة والاستطاعة الانسانية القوية لذلك ربط نوري جعفر المبادئ بالرجال ، والرجال حسب رؤية نوري جعفر ينقسمون قسمين من ناحية صلتهم بالمبادئ :اصحاب المبادئ بغض النظر عن نوعها وسلامتها ، والوصوليون او الانتهازيون الذين مبدؤهم عدم قبول مبدأ معين اللهم الا مبدأ اللامبدأ.

---

١ - المبادئ والرجال، نوري جعفر، مصدر سابق، ص ٥٨.

اما اصحاب المبادئ فيصنفهم نوير جعفرالى قسمين :اصحاب المبادئ الفاضلة أي التي تهدف الى نشر العدالة الاجتماعية بين الناس ورفع مستوياتهم المادية والفكرية دون تمييز الا على اسا س الايمان بها ، واصحاب المبادئ الفاسدة. وهنا يقول نوير جعفر بما نصه معلقا على هذه الافكار: «وعندي ان علي بن ابي طالب يقع في قمة الصنف الاول.ويقع الشيطان (كما جاءت سيرته في القران) في قمة الصنف الثاني» ونوري جعفر قد تحدث عن مبادئ علي بن ابي طالب في عدد من الكتب منها (علي ومناوؤه) (والصراع بين الامويين ومبادئ الاسلام) و(فلسفة الحكم عن الامام). ويعتبر نوري جعفر ان الشيطان صلب في الدفاع عن عقيدته على الرغم من سخافة عقيدته بمقاييسنا الاسلامية –على حد تعبير- ويذكر من القران الايات التي ذكر بها الشيطان.

العلامة نوري جعفر كان مبتغاه من ذكر الشيطان كمثال على اصحاب المبادئ الفاسدة ان تكون حالة الشيطان عمومية وباعتباره رمزا للفساد والمبادئ الفاسدة.ولكن كان من الاولى به ان يذكر مثالا واقعيا اكثر باعتباره يتناول جانبا موضوعيا وباعتباره كذلك قد تناول جانبا واقعيا في ضربه المثال حول اصحاب المبادئ الفاضلة ومنهم علي بن ابي طالب الذي اعتبره في قمة الصنف الاول. فكان من الاجدر به ان يضع مثالا حيا عن اصحاب المبادئ الفاسدة وليس الشيطان باعتباره يقع ضمن عنصر الخيال والمتلقي يريد شاهدا واقعيا من ارض الواقع.

لقد مر بنا القول ان نوري جعفر اعتبر الديمقراطية مبدا من المبادئ حالها حال الاسلام والشيوعية واليهودية وغيرها ثم انه يركز على المبدا الديمقراطي تركيز مباشرا ويذكر كيفية اهتمام بعض الدول به بالنصوص دون المضمون على مر الازمان ويضرب مثالا في وثيقة الاستقلال

الامريكي التي ينص احد بنودها على ان :الناس يخلقون احرارا متساوين في الحقوق وان الحكومات قد انشات لتحقيق العدالة والحرية وان مخالفتها لتحقيق ذلك تستلزم ان يستبدل بها الناس غيرها في حين التناقض كان واضحا الى حد العصر الحديث من تمييز واضح وكبير بين السود والبيض في الولايات المتحدة الامريكية والتي يشير اليها نوري جعفر بشدة باعتبارها كانت موجودة في عهده بالولايات المتحدة اما الان فهي موجودة ولكنها مضمرة ومنها ظاهرة الاتجار بالبشر التي تركز على العنصر الاسود دون الابيض.في الولايات المتحدة او افريقيا او غيرها حتى وصلت هذه الظاهرة الى معدلات خطيرة في العالم وقد اشارت اليها الامم المتحدة مؤخرا.كذلك يشير نوي جعفر الى التناقض الذي حصل على مستوى الامم المتحدة بين النصوص الديمقراطية التي تحويها شرعتها وبين التطبيق الفعلي واخيرا يشير الى التناقض الذي حصل على عهده بين المبدأ النظري الذي اسس عليه الحكم في العراق كما جاء في الدستور الملكي وبين تصرفات القسم الكبير من المسؤولين ، فهو يشير الى ان الدستور العراقي قد ركز على حرية الفرد في انتخاب نوابه وعلى عدم التمييز بين العراقيين في المعاملة والتوظيف على اسا اللغة او العنصر او المذهب او الدين في حين اننا نسير ، من الناحية العملية بالاتجاه الذي رسمه لنا الشاعر العربي حين قال:

**هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى**

**واني واياها لمختلفان**

وبالتالي فنوري جعفر يحاكي هذا الزمن مطلقا كما كان فكان التاريخ يعيد نفسه فاليوم في العراق دستورا وقانون ينص على حرية العراقي

بالتعبير وعدم اللتمييز وكفالة المواطن العراقي في حين ان التطبيق شيئا اخر بعيد كل البعد عن حقوق الانسان وحرية الانسان ومازال العراقيون الى اليوم يعانون من الاستبداد ومن الظلم والتعسف والحيف على الرغم من وجود الديمقراطية كمبقدا في العراق ولكنه حبر على ورق ولم يفعل بشكله الحقيق الى اليوم وانما بشكله الظاهري فقط ، فكم نحن بحاجة الى اعادة قراءة نوري جعفر مرارا وتكرارا فلسان حاله يقول ، على الساسة ان يطبقوا مبادئ الدستور والديمقراطية لا ان تبقى حبرا على ورق.

## نوري جعفر ومفهوم الاقلية والاكثرية:

يعتبر موضوع التمييز بين افراد المجتمع الواحد وضرب مبدأ اساسي من مبادئ الديمقراطية هو الشغل الكبير للعلامة نوري جعفر وهنا فالموضوع يتعلق بالاقلية والاكثرية حيث يبحثهما العلامة الدكتور بحثا فيه نوع من الرؤية الجديدة حيث يعتبر ان الاقلية لا تعني حتما الاقلية العددية ، فكثيرا ما نجد الاكثرية العددية في قطر من الاقطار هي المكتوية بنار التمييز فالذي يعين الاقلية والاكثرية في المجتمع هو النفوذ والسيطرة السياسية فتصبح على هذا الاساس ، كل مجموعة من الناس (بغض النظر عن عددها بالنسبة لاى السكان) اقلية ما دامت مجردة من السلطة السياسية وما يتبعها وينتج عنها من اثار في الحياة العامة للمجتمع الذي تنتمي اليه. فاذا كانت الاقلية اكثرية عددية فان ذلك يعني وجود اقلية عددية مستاثرة بالسلطة والجاه والنفوذ ولا تعتبر هذه الاقلية الحاكم نفسها مستاثرة بالسلطة ، فاذا شعرت بذلك الاستئثار بادرت الى تبريره بمختلف الوسائل والجهود ، وقد لا تتردد عن الاستعانة ببعض افراد الاكثرية العددية في

الدفاع عن الوضع القائم ، وبما ان امكانيات المجتمع العامة الفكرية والمادية تكون خاضعة لتلك الاقلية لاتي بيدها مقاليد الحكم ، فان ذلك يؤدي مع الزمن الى احداث شعور عام لدى الاكثرية المحكومة بانها دون مستوى الحاكمين في الكفاية وممارسة الحكم.

## مفهوم الولاء وتكوينه للمبدأ

وهنا يركز نوري جعفر على ان مسالة تكوين الولاءات للمبادئ هي مسالة مهمة جدا يتبعها الحكمون على المحكومين ويضرب مثالا بسيطا في درس الدين يقال للطالب في كتاب «الدين والتهذيب» وهو احد المناهج المقررة في خمسينيات القرن الماضي: القران الكريم ينهانا عن ان نميل الى الكفار ويحرم علينا النياحة على الميت واقامة الفواتح والماتم». ولكن العلامة نوري جعفر اعترض على هذه الفقرة من كتاب الدين والتهذيب وذلك لان كلمة عدم الميل الى الكفار هي كلمة فضفاضة فما هو معنى الكفار هنا وما المقصود بهم بل على العكس هذه كلمة يعتبر استخدامها في العصر الحديث سلبيا للغاية وذلك لما تمثله من رؤية سلبية حول الانسانية جمعاء لانها كلمة عممت حتى اصبح كل من يخالفنا الدين او المذهب فهو كافر فقد شجب العلامة استخدام هذه الكلمة شجبا كبيرا. وتسائل من هم الكفار؟ اليس في العراق كفار –بمقياس الاسلام- ولكنهم عراقيون حسب مفهوم الدولة الحديثة.الا يزعزع نهيه عن الميل لهؤلاء اسس الوحدة العراقية؟ وما هو الاثر النفسي لذلك عند الطلاب العراقيين ن غير المسلمين؟ واذا صادف ان استعرض الطالب بذهنه بعد تخرجه العلاقات السياسية بين بلاده وبين الكفار من غير العراقيين فانه يرتاع ويشمئز من

كل ما يسمع او يقرا في هذا الباب، كما انه يعيب على بعض الاشعار المنهجية التي وردت في الاناشيد والمحفوظات المقررة في لاكتب المنهجية فان الطالب يجد في اغلبها امورا خيالية لا وجود لها في الواقع الذي يعيش فيه فيرجع الى نفسه يسالها اصحيح اننا؟

**هكـــذا دائمـــا نمشـــي للامـــام**

**شـــاننا نعـــتني الـــدهر بالنظـــام**

ام اننا:

**هكـــذا دائمـــا نمشـــي للـــوراء**

**شـــاننا نعـــتني الـــدهر بـــالهراء**

(وهذا على لسان حال نوري جعفر)

ويضيف متسائلا : واي حقد طويناه؟ واي انشقاق في الصفوف صدعناه؟ وما الاساليب الايجابية البناءة التي اتخذناها للقضاء على الخلافات الداخلية والخارجية ؟ انحن سائرون بالاتجاه الذي يخفف من حدتها.ام بالاتجاه الذي يزيدها حدة وصرامة ؟وهل صحيح اننا قوم نرى المفاخر الا من طريق العلم ثوبا معارا؟ وهل الامجاد القائمة في العراق الان مبنية على العلم؟ ويجيب: اما موازيننا بالحكم فهي مطففة. وجزيرة العرب صحراء قاحلة ولا فضل لحصاها على الشهب وواقعها السياسي والثقافي قاحل كذلك. اما النياحة على الميت واقامة الفواتح فيرى من هذا الباب التناقض باوضح اشكاله بين الاقوال والافعال.ويشاهد النياحة على الميت تقام حتى في دور مؤلفي كتاب الدين والتهذيب اما شعائره الدينية الاسلامية التي يوصى بضرورة المحافظة عليها فيراها منتهكة من قبل من

يوصونه بذلك ومن قبل وعاظ السلاطين على السواء وهذا التناقض في الشخصية المكونة للفرد العراقي كان علي الوردي قد عممها على المجتمع بغالبيته ولكن نوري جعفر يدرسها دراسة سايكولوجية من باب المبادئ والرجال وتكوين الولاءات ويضيف الى الموضوع التناقضي الذي نراه في تطبيق المبادئ داخل المجتمع «المحافظة على حرمة شهر رمضان »مثلا تتم في الاماكن العامة عن طريق وضع ستائر القماش على باب المقهى او المطعم ليظهر من فيه بمظهر الصائم بنظر المسؤولين ، كذلك التناقضفي كيفية تادية الصلاة وما يجب ان تحدثه الصلاة لصاحبها على الواقع العملي من خلق شديد واما المحافظة على كتاب الله فنراها مقتصرة على حفظ الفاظه مجردة –كما يشير نوري جعفر- عن معانيها في كثير من الاحيان دع عنك عدم المحافظة على احكامه من الناحية العملية وكثيرا ما يقيم وعاظ السلاطين «اشترك علي الوردي ونوري جعفر في اطلاق هذه التسمية على اصحاب الدين الظاهري ، الذين يعظون الناس وهم غير متعظين» على القارئ الدنيا ويقعدونها اذا ما اخطا لغويا في قراءته كلمة من كلمات القران ولكنهم يجيزون لانفسهم مخالفة نصوصه في تصرفاتهم وتصرفات اسيادهم من الساسة والمتنفذين ، كما انهم يقومون بتحايل على الدين لتبرير تصرفات اولئك الاسياد ، وهنا يخاطب هؤلاء الوعاظ بما قاله ابو الاسود الدؤلي:

**يا ايها الرجل المعلم غيره**

**هلا لنفسك كان ذا التعليم**

**لا تنه عن خلق وتاتي مثله**

**عار عليك اذا فعلت عظيم**

يتضح ان العلامة نوري جعفر كان يريد للمبادئ الحقيقة الانتشار وليس مبادئ الخداع والكذب والسؤال لو كان نوري جعفر حاضرا اليوم في العراق فكيف كان سيقول ويكتب وما هي معالجاته ووعاظ السلاطين قد ملؤوا الافاق بكذبهم وافترائهم والمؤسسة الدينية قد صادرت الحريات وقد غلقت الافاق باساطيرها وخرافاتها ، يتضح الجانب النهضوي في افكار نوري جعفر كثيرا من خلال هذه الدراسة التي اعدها عن المبادئ والرجال كما وانه من بين الولاءات التي يعتبرها نوري جعفر ايجابية لتكوين المبادئ هو الاشارة الى الدولة الاموية والعباسية ويعتبرها صور قلمية رائعة الخيال عن كثير من رجال العرب الذين عاشوا في صدر الاسلام وفي العهد الاموي والعباسي[١] ، وهنا فان كثير من الاشارات التي وردت في كتب المناهج الدراسية حول العصر الاموي والعباسي هي اشارات مغلوطة سلطوية كان الغرض الاساسي منها هو الاشادة بالخلفاء العباسيين والامويين دون الاشارة الى مثالبهم الكثيرة والكبيرة لاسيما في ضرب مفاهيم حقوق الانسان وخنق الحريات والاستبداد الكبير الذي عاشته الامم المنضوية تحت لواء ما يعرف بالدولة الاسلامية في تلك العصور. فكان على العلامة نوري جعفر ان يوضح القصورفي هذه المناهج المستمرة الى اليوم ، نعم الاشارة الى المنجزات المعرفية التي تحققت في عهد هذه الدول هو اشارة مهمة من قبيل الترجمة والفنون والشعر والاداب والعلوم الاخرى ولكن توضيح فساد ادارة اولئك الحكام امر ضروري ضمن المناهج المدرسية ليتبين الناشئة تراثهم بشكله الصحيح ولكن للاسف لم يشر نوري جعفر في كتابه المبادئ

---

١ - المصدر السابق، ص٩٠

والرجال لهذه المسالة الغاية في الاهمية.على الرغم من انه اعتبر الصور القلمية الرائعة الخيال فيما يخص رجالات الادب والثقافة بصورة مؤكدة.

نوري جعفر اشار اشارة مهمة الى الولاءات السلبية والكاذبة التي يقوم بها بعض الشعراء والكتاب لمبدا معين وضمن كرنفالات معينة وانه يجب الحد من هذه الظواهر.

ويضع نوري جعفر معالجات مهمة حول الولاءات وحول الرؤية للمبادئ كيف يجب ان يكون وممكن ان نلخص المعالجات الذتي وضعها بالشكل التالي:

١- ان يعمل المسؤولون داخل التعليم وخارجه على جعل الولاءات الضيقة (الدينية المذهبية والاقليمية والعنصرية التي يرضعها الطفل العراقي مع حليب امه في البيت والشارع وفي البيئة المحدودة التي ينشا فيها) تخفي نفسها عن الانظار وهذا يعني بعبارة اخرى ان تلك الولاءات الضيقة التي تعمل على تفكيك عرى الولاء للوطن والامة لا تستاصل وانما يسمح لها ان تعبر عن نفسها باشكال ملتوية وبطرق غير مباشر (وهذا من باب حفاظ العلامة نوري جعفر على الهوية حيث يريد العلامة جعفر من الناس ان ينغمسوا في الهوية الوطنية الكبرى العراق دون ان يتناسوا هوياتهم الفرعية المميزة لانسانيتهم).

٢- التفكير بما تبثه الاذاعات الاجنبية والصحف والمجلات والكتب وما شاكلها (والانترنت طبعا والفضائيات بالنسبة لعالم اليوم) التي يتهيا عن طريقها الفكرللمطالبة بولاء جديد. وهذه المسالة من باب الغزو الفكري الذي يغير الولاءات والذي ينبه عنه نوري جعفر.

٣- ان تتوفر حسن النية عند المسؤولين وان يرتفع تفكيرهم من مستواه المصلحي الضيق الى مستوى المسؤوليات التي يمارسونها.

٤- التسليم بحقوق الشعب من الناحية الواقعية وفي مقدمتها جرية انتخاب مجلس النواب (وهو ما يحصل في عراق اليوم من مزايا ايجابية تحسب للمبدأ الديمقراطي في العراق) واذا تعذر ذلك-على حد تعبير نوري جعفر) فالعمل على تعديل الدستور بشكل تلغى فيه حقوق الشعب من الناحية النظرية[1]. وهذه الاشارة مهمة جدا من قبل البروفسور نوري جعفر اشارة تعديل الدستور وان الدستور ليس كتابا مقدسا لا يعدل وانما ينبغي تعديل مبادئه بما يتناسب وحقوق الشعب فبما ان كلمة «تعديل الدستور» وردت في قاموس نوري جعفر فانها تدل على رؤيته النهضوية للمجتمع والمبادئ بكونها ليست مقدسة اذا لم تكن مطبقة فمن الممكن الغائها نظريا لان المبدا يكون نظريا طون تطبيق هذا لا ينفع ان يكون مبدأ موجودا حتى وان كان دستورا هذا من جانب ومن جانب اخر فان كلمة تعديل الدستور تشير الى اهمية تعديل الدساتير بما يتناسب مع واقع الامة وحرياتها والا نصادر حريات الامة ومقوماتها بحجة ان لدينا دستورا مقدسا لا يمكن تغييره.

اذن يتبين ان وجهة النظر النهضوية تتضمن المبادئ في المجتمعات تكون مطبقة عمليا على ارض الواقع لانتاج مجتمع نهضوي.

اما الثورة فقد نظر إليها نوري جعفر على أنها يجب أن توصف أحداثها كما وقعت بالفعل وصفا دقيقا والتصدي لتوضيح كيفية وقوع تلك

---

١ - المصدر السابق، ص١٠٤

الحوادث من جهة ثانية وتفسير أسباب الوقوع من جهة ثالثة كما ويختلف مؤرخو الثورة فيما بينهم اختلافات كثيرة حين يبحثون في الجوانب الثلاثة المذكورة على إن اختلافهم في تفسير أسباب وقوع الحوادث أوسع من اختلافهم في الناحيتين الأخريين وقد تصدى نوري جعفر إلى البحث في الثورة من الناحية التاريخية ، وتحليل مقدماتها ونتائجها من الناحية الاجتماعية وتصدى لقراءة الثورة من حيث كونها ظاهرة اجتماعية كثيرة الحدوث في المجتمع الانساني وركز نوري جعفر على قراءة الثورتين الانكليزيتين اللتين وقعتا في عام ١٦٤٠و١٦٨٨ والثورة الفرنسية التي حدثت في سنة ١٧٨٩ وثورات اوربا في عامي ١٨٣٠ و١٨٤٨ والثورتين الروسيتين اللتين وقعت احداهما في شباط ١٩١٧ والثانية في تشرين اول من العام نفسه ويعلن نوري جعفر صراحة الى ان كتاب الثورة مقدماتها ونتائجها الذي كتبه هو في الاصل رؤية حول تزوير الانتخابات في القرنة التي تعرض لها هو وفصله من الخدمة ولكن بسبب الظروف السياسية في العهد الملكي لم يستع نشر الكتاب ولكن بعد فوز ثورة ١٤/تموز /١٩٥٨ استطاع نشر الكتاب حيث كتب مقدمته بتاريخ ١٩٥٨/٧/٢٠.

يصنف نوري جعفر ضمن مباحث الكتاب عدد من انواع الثورات منها الثورة الصناعية والفكرية وهي ثورات تحصل بصورة سلمية ولا ترافقهما اراقة الدماء اما الثورات الاخرى فهي تستند الى العنف,ولكن تشترك كل الثورات في صفة عامة هي الخروج على الفاسد من الانظمة والتقاليد السائدة في الحقل الذي تقع تلك الثورة فيه من جهة والسعي لتغييره تغييرا جذريا وسريعا من جهة اخرى[1] ولكن قد يكون نوري جعفر

---

١ - نوري جعفر، الثورة مقدماتها ونتائجها ، مطبعة الزهراء،بغداد ، ١٩٥٨، ص٦

مخطئا في هذه المسالة فالثوار قد يكونوا في بعض الاحيان على خطا وغرضهم نشر الفساد وليس التغيير للوضع الافضل كما حصل في العصر الحديث وفي عصور سابقة.ويصنف الناس تجاه الثورات المسلحة على صنفين المستفيدين من الوضع السابق وهم الذين يمقتون الثورة والذين يستفيدون من الوضع الجديد وهم جماهير الثورة يقول نوري جعفر ص ٨: «فالمنتفعون بتلك الاوضاع يقعون دون شك في حضيرة الجانب الاول فيمقتون الثورة ويسعون ما امكنهم ذلك الى تفادي وقوعها او التغلب عليها حين حدوثها ، على حين ان المتذمرين من الاوضاع السياسية الفاسدة السائدة يقعون ضمن من يرحب بوقوع الثورة ويساهم قدر استطاعته في التمهيد لحدوثها او في نجاحها عندما تقع»

كما ويقسم نوري جعفر الثورات الى قسمين رئيسيين هما :الثورات البيض التي لا يرافقها في وجهها الاخير الا عرضا سفك للدماء وتدمير للمنشات وتخريب للمرافق العامة ويضرب امثلة على هذه الثورات ومنها الثورة العراقية في تموز ١٩٥٨ ، وهنا نتوقف كثيرا مع نوري جعفر فمن غير الممكن ان نعتبر ثورة تموز ١٩٥٨ ثورة بيضاء بل هي ثورة دموية بامتياز قتلت فيها العائلة المالكة عن بكرة ابيها ونهبت فيها الكثير من الدوائر والمنشئات فعندما نقول يقع عرضا سفك للدماء في الثورة البيضاء فهل نستطيع اعتبار ابادة عائلة بكاملها هو حادث عرضي ، يتبين من سياق حديث العلامة نوري جعفر تاثره الكبير بثورة تموز حتى انه قام بالتنظير لها على انها ثورة بيضاء في حين هي ثورة حمراء دموية بامتياز ، كان من المفترض ان يكون العلامة نوري جعفر منصفا غير متاثر بنحو شخصي نتيجة ما لحقه من ظلم عندما زورت الانتخابات ضده في العهد الملكي عام ١٩٥٦ في لواء القرنة وفصل من الخدمة ولكن للاسف كان على جانب من

ثورة تموز كبير جدا حتى اعتبرها ثورة بيضاء متاثرا بما لحقه من ظلم شخصي بالعهد الملكي دعاه للتنظير ضد عصرهم باعتبار الثورة التي قامت ضدهم ثورة بيضاء في حين هي حمراء.

والثورات الحمراء ومنها ثورة اكتوبر في روسيا عام ١٩٠٥م. ويشير نوري جعفر الى ان ما يسبق الثورة وما ياتي في اعقابها من عنف وتخريب او تدمير هو من متمماتها وجزا لا يتجزأ من كيانها وذلك لغرض صيانة النظام الجديد والمحافظة عليه ، وهنا نسائل نوري جعفر ونقول كيف تحافظ على النظام الجديد من خلال العنف والتخريب والتدمير ، في حقيقة الامر ان هذه المسالة التي يطرحها نوري جعفر تحوي الكثير من المغالطات من حيث اعتباره التدمير والتخريب المرافق للثورة هو صيانة للنظام الجديد بل هي تخريب لمقدرات الشعب والدولة واستهانة بها عموما.

ويعرض نوري جعفر في بحوثه حول الثورة اراء الفلاسفة في الثورة ومنهم الفيلسوف هيغل (١٧٧٠-١٨٣٠) الذي اعتبرها ظاهرة اجتماعية شاذة وناشزة عن السير العام للمجتمع الانساني ، وجون لوك (١٦٣٢-١٧٠٤)الذي اعتبر الثورة ظاهرة اجتماعية طبيعية ومنسجمة مع السير العام للمجتمع الانساني ، وكارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) الذي اعتبرالثورة القانون العام لسير الطيعة والمجتمع والوسيلة الوحيدة لحل مشكلاته جميعها وفي مقدمتها الجانب الاقتصادي.

ويخرج نوري جعفر بعد ان يعرض لهؤلاء بنتيجة هي انهم ينقسمون تجاه الثورة الى قسمين :مجموعة القائلين بعدم شرعيتها والقائلين بشرعيتها من الناحية القانونية.وتحدث الثورة حسب رؤية نوري جعفر في العادة في مجتمع منقسم على نفسه الى اقلية حاكمة ظالمة واكثرية محكومة مظلومة وهذا ياتي من نظرية نوري جعفر حول مفهوم الاقلية والاكثرية الذي

شرحناه فيما سبق من الفصل والهيكل الاقتصادي السياسي او الاطار العام للمجتمع الذي تحدث فيه الثورة نلاحظ فيه الامور التالية:/

١- انقسام المجتمع من حيث صلة افراده ببعضهم ومن حيث صلتهم بالهيئة الحاكمة.

٢- تمتع الحاكمون بجميع مظاهر الترف والجاه من الناحيتين المادية والمعنوية وحرمان افراد الشعب من مقومات الحياة المادية والفكرية ، وكيف ان الهوة تتجلى بين الفئة الحاكمة والشعب وترف الفئة الحاكمة واعوانها ووسائل عبثها بالمال والجهد ويضيف نوري جعفر على هذا الكلام مستشهدا: وما عهد فاروق وعبد الاله ببعيد.وهذا يبين عدم استقلالية فكر نوري جعفر ضمن هذا البحث وميله الى جهة دون اخرى وعدم موضوعيته فكان من الاجدر عدم ذكر اسمائهما باعتبارات انه كان معاصرا للحدث مما يحسبه تجاه فئة الجمهوريين.

٣- ايجاد الفئة الحاكمة لنفسها مع الزمن فئة خاصة من اصحاب المصالح المركزة في مجال الدين والسياسة والثروة لمؤازرتها في الدفاع عن الاوضاع القائمة.

٤- سير الفئة الحاكمة في سياستها العامة الداخلية والخارجية على قاعدة عملية تتناقض من حيث الاساس هي والمبادئ النظرية للحكم.في ذلك المجتمع.

٥- انتشار الفساد في كثير من اوجه نشاط الحكومة وتسرب عدوى ذلك الفساد الى الشعب فيفسد ان كان صالحا ويزداد فساده ان كان

فاسدا[1]. وهذه المشتركات ليست عامة بين الشعوب التي تقع فيها الثورات بل هي مشتركة فهناك ثورات وقعت على حكام كان الغرض منها سياسي وليس اصلاح لوضع قائم بل كانت الاوضاع جيدة تماما وامثلة التاريخ كثيرة في هذا المجال.

٦- تظاهر الحكومة الفاسدة بان جوانب التقدم التي نالها الشعب ناتجة عن جهودها وتوازن بين حالة المجتمع في عهدها وبين حالة سيئة مر بها في ماضيه القريب ويعتبر نوري جعفر الموازنة بين الماضي والحاضر موازنة غير صحيحة بل يجب ان تكون بين الحاضر والمستقبل وهذه نظرة مستقبلية حداثوية نهضوية كبيرة أي ان تقارن بين ما نحن عليه الان وبين ما يمكن ان نكون عليه مستقبلا ويضرب ايضا مثلا بالوضع العراقي الملكي مما يبعد الكتاب عن موضوعيته.

٧- الحكومة الفاسدة لا يعرف الشعب شيئا عن سياستها من الناحيتين الداخلية والخارجية اللهم الا ما تطلعه عليه المصادر الخارجية.

٨- الفئة الحاكمة تضلل الشعب من خلال وسائل الدعاية والاعلان عن منجزاتها معتمدة على مبدأ يسميه نوري جعفر«الكذب المنظم» ، بالاضافة الى مسالة في غاية الاهمية يتكلم عنها نوري جعفر تتلخص في ان الحكومة تجعل الشعب متعلقا بامور اخرى غير اساسية لتبعده عن مشاكله الاساسية وتجعله غير متكلما عنها أي تشغله عن نفسه بغيره.

في ضوء ما ذكر نستطيع ان نستشف من كلام نوري جعفر التالي:

١- الحكومة الفاسدة تريد من الشعب الا يعرقل مساعيها في العمل

---

١ - المصدر السابق، ص١٨- ٢٠

على تاخيره عن طريق تركيز مصالحها على حسابه.

٢- لا تريده ان يعتنق الافكار الوافدة لانها تتعارض هي ومصالحها الخاصة.

٣- لا تريد الفئة الحكمة من الشعب ان يقوم باي عمل يؤدي الى تعكير صفو الامن حين مطالبته بحقوقه المشروعة وحين تسد عليه الفئة الحاكمة منافذ العمل السلمي.

٤- تريد الفئة الحاكمة من الشعب ان ينظر الى الاشياء من منظارها الخاص ويحكم عليها بمقاييسها الخاصة ولاعكس.

ويذكر نوري جعفر مجموعة صفات للحكومات الفاسدة واصحابها والتي تسبب قيام الثورات ضدهم.نجملها بالشكل التالي:

أ- قوية في تشكيلاتها القسرية ضعيفة في جوانبها المبنية على اساس لعدل الاجتماعي.

ب- القوانين والانظمة في الحكومة هذه توضع في العادة للاشخاص لا العكس واذا كان الامر كذلك فانه من غير المستغرب ان يكثر الخروج على تلك القوانين

ت- التحايل على السائد من القوانين واحيانا ثانية ياخذ التحايل شكل تعديلات جديدة تجرى على بعض نصوصها وطور تكون على هيئة شروح لبعض محتوياتها او اختراق مكشوف تلك المحتويات.

ث- ايجاد مؤسسات قضائية من قبل الفئة الحاكمة هدفها تشريع الفساد من جهة وايجاد مخارج قانونية لكثير من التصرفات غير المعقولة من جهة اخرى.

ج- الافراد المحظوظين الذين تصاغ لهم القوانين والانظمة اذا ما عبثوا بمقدرات الامة هم في منجى من العقاب

ح- الموظفون غير المحظوظين كثيرا ما يؤاخذون بمجرد الاتهام وكثيرا ما تحاك المؤامرات ضدهم فيتعرضون للعقاب.

خ- الاعمال الاضافية الحكومية ذات الاجور كثيرا ما توزع على الاتباع والانصار ، ويصدق الشيء نفسه على الاشتراك في المؤتمرات الدولية في حالة وجودها ويذكر نوري جعفر امور واقعية منها ان الفئة الحاكمة في الاماكن الشديدة الحر صيفا تشترك عادة في المؤتمرات الصيفية فتذهب وفود المصطافين على حساب الخزينة العامة باسم الاشتراك في المؤتمرات ويرجع الكثير منها دون ان يفهم ما يجري فيها من نقاش في الموضوعات مدار البحث وكثيرا ما يكون الاشتراك في تلك المؤتمرات واسطة لجلب الهدايا للاهل والاصدقاء وربما كان ذلك وسيلة من وسائل الاثراء.

د- وجود الوساطة من حيث التوظيف او النقل او الترفيع ومن حيث الاعفاء من العقوبات.

والملاحظ لما ذكره نوري جعفر اننا نعيشه حاليا في ظل الديمقراطية كثيرا أي بعد مرور ٤٠ سنة على كلامه ولكننا ما نزال نعيش في الواسطة والاشتراك في المؤتمرات من قبل اعضاء مجلس النواب واعضاء الحكومة دون وجه معرفة بها سوى حب السفر وجلب الهدايا والتقاط الصور التذكارية ، ولو كان نوري جعفر موجودا اليوم لفضح الوضع القائم كثيرا عبر هذه الكتابات.

ويرجع مرة اخرى معلقا على النظام الحاكم قبل ثورة تموز ١٩٥٨ ويعتبره

ان قوانينه وانظمته السائدة انذاك كانت صارمة من ناحيتها التشريعية والتطبيقية الواقعية ، مما يدلل على انه بحث جوانب الثورة متاثرا بما حصل في العراق قبل الثورة له وخصوصا تعرضه للتزوير في الانتخابات النيابية متناسيا العلامة نوري جعفر ان انظمة الجمهورية التي سادت بعد الملكية في العراق لم تكن اقل صرامة مما حدث قبل الثورة.

كما ويعرج نوري جعفر على قضايا التزوير في الانتخابات باعتبار تعرضه لها ولكنه يتكلم عنها بشكلها العام معتبرا ان الانظمة الفاسدة تقوم بالتزوير لصلح فئاتها المرشحة واصدقائها للحفاظ على الاوضاع السادة وعدم التغيير.

كما ان الفئة الحاكمة تتهم خصومها بتهم تلائم طبيعة العصر الذي تعيش فيه ، فتارة تتهمهم بالالحاد او الزندقة اذا كان اصطناعها للتدين يحمي مصالحها وتارة تتهمهم الخروج على الانظمة والقوانين كما يشير نوري جعفر اشارة هامة الى كيف ان الحكومة الفاسدة تخضع الصحافة لمشيئتها فبالرغم من وضعها للحقائق والاخبار بالشكل الذي تريده فهناك دوي هائل تلهج به الاغلبية من السكان يفند صحافة الحكومة وهذا يحدث كثيرا اليوم ولكن بصورة اكبر فاليوم لم تعد صحافة الحكومة مسيطرة على الساحة فالفضاء مفتوح بسبب وجود الفضائيات والانترنت وغيرها ن الامور مما يعجل بفضيحة الحكومة اذا قامت بشنر اكاذيب عير صحافتها او اذاعاتها او قنواتها التلفازية صحافة مضادة واخرى مستقلة يصل اليها المواطن بالعصر الحديث بسهولة.

كما يشير نوري جعفر الى تاريخ القلاقل والاضطرابات والثورات والانقلابات في المجتمعات البشرية قديمها وحديثها ويستنتج ان تلك القلاقل والثورات تحدث في العادة كنتيجة مباشرة او غير مباشرة بعد زمن طال او

قصر لفساد الفئة الحاكمة من جهة وشعور الشعب بذلك الفساد من جهة ثانية وميل من جانب الشعب نحو الاستهانة بقوة الفئة الحاكمة والاعتزاز بقدرته على تحديها من جهة ثالثة ، وكلما اوغلت الفئة الحاكمة في الفساد عمقا وسعة قربت ساعة انهيارها وحفرت قبرها بيدها ان عاجلا او اجلا ويستنتج نوري جعفر استنتاجا جميلا من ان الدولة التي ينقسم مجتمعها الى اقلية عددية حاكمة ظالمة منتفعة والى اغلبية محرومة تحمل بين طياتها بذور الثورة على اوضاعها السياسية القائمة وذلك لان الولاء الصميم صفة عاطفية وفكرية عميقة عند الانسان لا تتكون الا اذا شعر الانسان شعورا صادقا ذاتيا نحو ذرورة اطاعة الدولة ، وكنا قد تناولنا مفهوم الولاء لدى نوري جعفر فيما سبق من الفصل.

ويلاحظ نوري جعفر اثناء اندلاع الثورات تندفع الجماهير بضراوة كبيرة للقيام باعمال التخريب والتدمير ويعلل هذا الشيء بان الجماهير تقوم بعمل مشترك سريع تختفي فيه المسؤولية الفردية ويتلاشى اثناءه الخوف من العقاب ويساور القائمين به شعور بزوال العهد البائد وانبثاق عهد جديد يكون لهم فيه مجال للثواب والمكافئة وهذه نظرة تحليلية سايكولوجية للموضوع ويربط نوري جعفر ربطا وثيقا بين المبادئ والثورة ويعتبر التحريض اداة هذا الربط فهو محاولة لكسب الجماهير من الناحية العاطفية والفكرية لغرض اعلان العصيان تمهيدا لاحداث الثورة ويتضمن التحريض بث المبادئ والاراء المناهضة للوضع القائم والتبشير بمبادئ غيرها[1] ويخرج نوري جعفر بنتيجة ان العصيان والتحريض والتظاهر امور لا بد ان تسبق الثورة وتمهد لها ، فالثورة لا تحدث الا اذا تظافرت العوامل

---

١ - المصدر السابق، ص٣٧

الثلاثة وتعاونت على حدوثها. ويذكر نوري جعفر الاجراءات التي تتخذها الفئة الحاكمة فيما يتصل بالثورة لتفادي وقوعها او لإخمادهاوهي على صنفين:

١- الإجراءات الوقائية: وتتجلى تلك الاجراءات في المدى البعيد في محاولة الفئة الحاكمة ان تتبنى عن طريق المصاهرة والاشراك في الحكم عددا كبيرا او صغيرا من افراد الفئة المحكومة وترفعهم الى مستواها من ناحية المساهمة في الحكم ، ويكون هؤلاء في العادة اشد خطرا على الشعب من الفئة الحاكمة نفسها ، وبما ان هؤلاء كانوا بارعين في الوصول الى مستوى الفئة الحاكمة فانهم يحاولون ان يبرعوا في اتخاذ جميع الوسائل الممكنة للمحافظة على وضعهم الذي وصلوا اليه وضمان ذلك الوضع لأسرهم وأقربائهم في المستقبل القريب والبعيد.

ويوضح نوري جعفر براعة الفئة الحاكمة في قدرتها على التقاط هذا النوع من الأفراد من حيث قدرته على المساهمة في ابقاء الأوضاع العامة على ما هي عليه ، لأنها تصبح بنظره متصلة بمصالحه الخاصة وآماله ومستقبله ، غير ان هؤلاء النفر من الجهة الثانية كثيرا ما تكون تصرفاتهم الطائشة واستهتارهم بمصالح الناس سببا من أسباب تقويض كيانهم وكيان الفئة الحاكمة التي أوصلتهم الى مراكزهم تلك.كما ولا تتردد الفئة الحاكمة كذلك لغرض تثبيت كيانها من جعل الشعب منقسما على نفسه من جهة ومن استغلال جميع الروابط التي تربطها ببعضه من جهة أخرى. وبما ان تلك الروابط كثيرة ومنوعة فان الفئة الحاكمة تتصل بكل جانب من جوانب الشعب عن طريق استثارة اكبر كمية ممكنة من الروابط التي تربطها به لغرض اللعب على عواطفه

ضمانا لمصالحها في المدى البعيد[1].

وكثيرا ما تلجأ الحكومة الى التمويه والدجل والتضليل والكذب لغرض الاستمرار على سياستها ، ومن الوسائل الأخرى التي تستعين بها الفئة الحاكمة للحيلولة بين الشعب وتمرده عليها إلهاؤه بأمور جانبية تافهة لتوجيه انظاره عن معالجة المشكلات العامة التي تتصل بحياته وكيانه ، وكثيرا ما تلجأ الفئة الحاكمة الى استعمال الوسائل الزجرية والعقوبات الرادعة كالنفي او الحبس أو الاغتيال وما شاكلها.

٢- الإجراءات العلاجية: وتتخذ عادة قبيل اندلاع نيران الثورة او اثناء ذلك وتمتاز بالشدة والصرامة والادعاء بان من يريدون القيام بالثورة هم المشاغبون والمتمردون والخطرون وغيرها من النعوت كالخونة وما شابه.

وهنا يعلق نوري جعفر قائلا: « فاستعمال الشدة لا يحل من نفسه مشكلات المجتمع ولا يزيل عوامل التذمر والامتعاض وانما يعقدها ويزيد من التذمر والامتعاض ، واذا نجحت الشدة مؤقتا فانها تؤدي الى اختفاء التذمر لا الى زواله فيتجمع ويقوى ويحزم امره ثم ينفجر كبرميل البارود تحت اقدام الفئة الحاكمة»[2] والامثلة كثيرة على صحة كلامه سواء من التاريخ القديم او الحديث متمثلا بنظام صدام حسين على الرغم من ان سقوطه كان باداة خارجية وليس ثورة جماهيرية شعبية ، ولكن كانت ردة فعل الشعب قوية تجاه اجهزة النظام واتباعه من ناحية قتلهم وتشريدهم وغيرها من الاجراءات التي اتخذت بحقهم.

---

١ - المصدر السابق، ص٤١

٢ - المصدر السابق، ص٤٢

ويذكر نوري جعفر مجموعة ظواهر ترافق الثورات بالاضافة الى ما مر ذكره:/

**أولا:/** الوضع الثوري الجديد كثيرا ما يكون في مراحله الاولى أشد وطأة وصرامة على جماهير الناس وبخاصة المستهترين منهم من الوضع الرجعي القديم. وهنا نتوقف مع نوري جعفر ونسائله فمن يقول ان الوضع قبل الثورة كان رجعيا؟ قد يكون الوضع قبل الثورة تقدمي وبعدها رجعي فالثورة قد تندلع لاسباب سياسية والجيش يسندها ويطاح بالحكم فكان على نوري جعفر الا يعمم في كتابه وتنظيراته على ان الوضع بعد الثورة تقدمي في كل الاحوال وقبل الثورة رجعي ولكن واضح من انه كان متاثرا كثيرا بقيام النظام الجمهوري في العراق عام ١٩٥٨ واعتباره النظام تقدمي واعتبار النظام الملكي رجعي.

**ثانيا:/** السعي لتغيير معالم العهد القديم من حيث تغيير اسماء الشوارع والمحلات العامة وتحويل املاك الفئة الحاكمة الى الدولة.

**ثالثا:/**قلة عدد جرائم الاعتداء المالوفة والسرقات والخطف وما شاكلها اثناء حدوث الثورة وفي المراحل الاولى من نجاحها ، وهنا نتوقف مع نوري جعفر مرة اخرى ونقل قد يكون العكس حاصلا فقد تزداد الجرائم بعد حدوث الثورة وفي مراحلها الاولى نتيجة فراغ امني لم يحسب له الثوار حسابهم بالشكل الصحيح له.

**رابعا:/** اسراف في بعض الاحيان يرافق بعض الثورات فيما يتصل بالعنف والشدة في معاملة الناس او اتخاذ اجراءات لا تخلو من تسرع وضرر في المدى البعيد.

**خامسا:/** تجعل الثورة في حالة نجاحها الكثيرين من السكان بما فيهم

الذين لم يساهموا فيها يعلنون بانهم من انصارها ومن الممهدين لاحداثها.

**سادساً:/** مساهمة الجماهير بصورة فعلية في حوادث الثورة لتقرير مصيرهم من الناحية التاريخية ، وهذه النقطة التي يذكرها نوري جعفر ليست دقيقة بما فيه الكفاية فالكثير من الانقلابات والثورات التي حدثت في العراق لم تساهم فيها الجماهير ومنها ثورة البعث في تموز ١٩٦٨ او حتى في العالم.

**سابعاً:/** ان الثورات الكبرى يسبقها بفترة وجيزة من الزمن قد تبلغ بضعة شهور هدوء عجيب وخيبة امل او قنوط يضرب غالبية افراد الشعب ويعود ابناء الشعب في غالبيتهم غير مكترثين بما يحدث في البلاد من فساد او غيره.

وتتلخص ممهدات الثورة كما يذكرها نوري جعفر[1] ب:

a. **فيما يتصل بالشعب:**

**١- الجانب المعاشي:**

حيث ينبغي لكي يصبح حدوث الثورة ممكنا ان يتعرض الشعب او بعضه قبيل اندلاع الثورة باشهر او اسابيع الى ازمة معاشية حادة. والازمة المعاشية الحادة لا تؤدي حتما الى حدوث الثورة فيجب ان تتوفر عوامل اخرى الى جانب الازمة المعاشية الحادة التي يتعرض لها الشعب او بعضه.

**٢- الجانب الفكري:/**

بالاضافة الى الازمة المعاشية الحادة يجب ان تنتشر الافكار والمبادئ المناوئة للحكم القائم بين افراد الشعب هذا مع العلم ان الشعور بالتذمر والدعوة الى ضرورة القيام بالمظاهرات هما في الواقع بعض مظاهر انتشار

---

١ - المصدر السابق، ص٦٢- ٧٦

الوعي الفكري بين الجماهير ودليل بالدرجة الاولى من الناحية الفكرية على تحول ولاء المتعلمين من الفئة الحاكمة الى نوع اخر من الحكم الصالح في البلاد.

### ٣- جانب التنظيم:/

والتنظيم عنصر من العناصر الرئيسة التي يتحول بواسطتها التذمر او المظاهرات المبعثرة الى حركة ثورية واضحة المعالم ، ويتعلق التنظيم بتنسيق قوى الشعب لغرض مقاومة الحكومة وتعيين كيفية البدء بالمقاومة مكانها وزمانها والقائمين بها ، وبقدر ما يكون التنظيم محكما تسير قوى الشعب متعاونة ومتراصة نحو بلوغ هدفها ، ولا يتم التنظيم الناجح الا اذا توافرت للقائمين به زعامة تتحلى بالشجاعة والاقدام وتؤمن بعدالة الفكرة التي تسعى الى تحقيقها وتتصف باحكامها الوسائل التي توصلها الى اهدافها باقصر وقت ممكن وباقل كمية من الجهود والتضحيات.

### b. الجانب الحكومي:

### ١- الجانب الاقتصادي او المالي:

لكي يتهيأ الجو الاجتماعي للثورة لا بد ان يسبق ذلك شعور عند من يدعو الى الثورة بان اعضاء الحكومة القائمة قد بلغوا من الاستهتار بمصالح الشعب درجة لا يمكن معها احتمال تصرفاتهم.

## ٢- الجانب السياسي:/

ويتضح هذا الجانب من حيث كونه احد العوامل الممهدة لاندلاع نيران الثورة في الضعف الذي يبدو قبل اندلاع الثورة في جهاز الدولة وبخاصة في تنظيماتها السياسية والادارية والعسكرية.

ويذكر نوري جعفر امثلة كثيرة من تاريخ الثورات في العالم معضدا بها حديثه ومنها ثورات انكلترا وفرنسا وروسيا ومصر والعراق ، حيث يذكر كيف ان تصرفات القيصر الاسكندر الثالث في في اواخر القرن التاسع عشر مهدت لقيام الثورة الروسية ضده وغيرها من الشروحات التاريخية التي يقدمها في هذا المجال ، وينهي نوري جعفر كتابه :الثورات مقدماتها ونتائجها بحديث مطول عن ثورة تموز ونتائجها الطيبة وعن كلامه عن العهد الملكي وضديته منه جملة وتفصيلا واعماله التي ادت الى حدوث الثورة ضده.حتى يصل به الامر الى ذكر مجموعة من الجداول التي نشرتها صحيفة الجمهورية بتاريخ ١٩٥٨/٧/٣٠ تتحدث عن اموال العائلة المالكة وفسادها مما يخرج بحث نوري جعفر عن موضوعيته فيما يخص تطرقه لثورة ١٤/تموز /١٩٥٨ فهو يذكر جداول من جانب النظرة لاصحاب الثورة ولم يسائل العهد الماضي حول هذه الجداول ومدى صحتها فقد يكون الثوار قاموا بتشويه صورة العائلة الحاكمة الى هذه الدرجة ، كلامنا هذا هو ليس مع العهد الملكي او الضد من الجمهوري بل هو بحثا عن الموضوعية فمن غير الممكن الاعتماد على الاعلام الخاص بالثوار بعد الثورة ورايه بالعهد القديم فاكيد سيكون رايه بالضد ، وهنا نرى اعتماد نوري جعفر على صحافة العهد الجديد الخاصة بالثوار وينقل منها معلومات حول العهد القديم وهذه اشكالية كبيرة نسجلها على الدكتور العلامة نوري جعفر.

ويستمر كلامه شارحا الوضع قبل وبعد الثورة الى ان يخرج بنتيجة

حسب كلامه ص ١٠٥ من كتابه يقول ما نصه: «يعتبر دون شك يوم الاثنين الواقع في ١٩٥٨/٧/١٤م حدا فاصلا بين عهدين في العراق :عهد ملكي فاسد قديم وعهد جمهوري حديث يبعث الامل في نفوس المواطنين» حيث تستشعر من كلامه هذا ان الغرض من كتابه «الثورة مقدماتها ونتائجها» وهذا الجهد التنظيري الكبير هو ان يصل الى هذه النتيجة التي اخبرنا بها.وهذا كان واضحا من خلال مقدمة الكتاب التي تطرقنا اليها والتي كتبها نوير جعفر بتاريخ ١٩٥٨/٧/٢٠ أي بعد اندلاع الثورة بستة ايام وكيف ان الكتاب ومسوداته كانت غير ظاهرة للعيان اما الان فهو ينشرها على الملا.ويذكر نوري جعفر في نهاية كتابه كيف ان وزارة ارشد العمري فصلته من الخدمة الحكومية بسبب اشتراكه في الانتخابات النيابية التي جرت في عام ١٩٥٤ وزورت الانتخابات ضده في لواء القرنة وكيف احتج على هذه المسالة وبسبب احتجاجته على التزوير وكتب وقائع التزوير اقصي عن وظيفته وصودر كتابه حول التزوير وهو في المطبعة. ويعتبر نوري جعفر الاجراءات التي حصلت ضده في العهد الملكي وضد الكثير من ابناء العراق ساهمت مساهمة فعالة في اسقاط الملكية في ضوء الامور التنظيرية التي ذكرها في سياق كتابه.

ذكر نوري جعفر لهذه الوقائع يدلل على الاتجاه السياسي البحت المساند لثورة تموز ١٩٥٨ وضديته من النظام الملكي الذي فصله من الخدمة مما يجعل كلام نوري جعفر حول ثورة تموز غير موضوعي وكلامه عن العائلة المالكة غير موضوعي لارتباطه بامور شخصية بحته. كما ويلحق نوري جعفر في كتابه «الثورة مقدماتها ونتائجها» جزء من كتابه «وقائع تزوير الانتخابات في القورنة لمصلحة السيدين احمد النقيب وحميد الحمود» ، تبقى اراء نوري جعفر في حدوث الثورات مهمة جدا في مجال

الاصلاح الاجتماعي والنهضة المجتمعية على الرغم من عدم تاكيده على الجوانب السلمية وضرورة مرافقتها لحدوث الثورات وضرورة مراعاة حقوق الانسان[1] اثناء اندلاع الثورات كل هذه الامور تجعل من كتابه في هذا المجال بحاجة الى مراجعات كثيرة وكبيرة ، بالاضافة الى رأيه في العائلة المالكة ومساندته للنظام الجمهوري وثورة تموز ، تخرج الكتاب عن موضوعيته وتجعل نوري جعفر الى جنب الثورة والثوار وتلغي الجانب الاخر وهذا يعلل لدينا عدم تطرق نوري جعفر اثناء تنظيراته حول الثورات وكيف انها تحدث انقلابات صالحة ، عدم تطرقه الى ان هذه المسالة قد تكون نسبية فممكن ان تكون الثورة مغيرة ولكن باتجاه رجعي.اذن اطلاق الاحكام التنظيرية بصورة مطلقة حول ان الثورات تغير من حال مباد قديم سيء الى حال جيد حديث متطور من قبل نوري جعفر يفسر في ضوء وقوفه الى جنب ثورة تموز ١٩٥٨ وضديته من نظام العائلة المالكة في العراق.

---

١ - وفي هذا المجال نود ان نذكر ان انتهاكات حقوق الانسان التي رافقت ثورة ١٩٥٨ في العراق اكبر من ان تذكر وليس ادل منها الطريقة الوحشية التي قتلت بها العائلة المالكة، وعدم تطرق الدكتور نوري جعفر الى هذه الانتهاكات يجعل من كتابه فاقدا لموضوعيته.وكلامنا هذا هو ليس دفاعا عن العائلة المالكة او اعتبار العهد الجمهوري غير جيد او ان العهد الملكي لم تقع فيه اشكاليات تجاه الشعب ولكن هو من باب البحث عن الموضوعية في قضية قيام الثورات وابتعاد نوري جعفر عن هذه الموضوعية.

## الفصل العاشر

# قراءة في طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف

يعتبر هذا الكتاب من اهم كتب نوري جعفر والذي استغرق العمل فيه على مدى اثني عشرة سنة متواصلة من البحث والتنقيب في هذا المجال بل وحتى البعد عن عائلته طوالا وتكرار حيث تناول في هذا الكتاب وفي جزئه الثاني بالتحديد نظريات بافلوف في تفسير طبيعة النوم والاحلام والاضطرابات العصبية وموازنتها بالنظريات الغربية وبخاصة اراء فرويد ، نوري جعفر كان قد تناول في الجزء الاول من كتابه هذا اراء بافلوف الفسلجية العامة وشرحها شرحا مستفيضا وذكر نظرية المنعكسات الشرطية وعمليتي الاثارة والكف وانماط الجهاز العصبي المركزي والمنظومتين الاشاريتين الاولى والثانية الحسية اللغوية مع لمحة تاريخية عن حياة بافلوف واهمية منجزاته العلمية في مجال التربية وعلم النفس ، اما في الجزء الثاني الذي ارتاينا ان نستقراه فهو قد تناول الاحلام والاضطرابات العصبية والنوم في ضوء فسلجة بافلوف ولاهمية هذه المواضيع الثلاثة وتعلقها الشديد بحياة الانساة وكيفية تفسير نوري جعفر لها ارتاينا ان نقراها في هذا الفصل من الكتاب ، تنطلق اهمية نوري جعفر في علم النفس من كونه

اعتبر ان الفسلجة الحديثة تمد علم النفس بثروة علمية غزيرة مستمدة من احدث منجزات العلوم الطبيعية والرياضيات تتعلق بتفسير طبيعة جسم الانسان بصورة عامة وجهازه العصبي المركزي بصورة خاصة ودماغه بصورة اخص :عضو التفكير والانفعالات واداة السلوك المادية.الذي دلت الدراسات الفسلجية الحديثة على ان دماغ الانسان يستهلك في الدقيقة الواحدة كمية من الاوكسجين تتراوح نسبتها مابين ١/٦-١/٨ ما يستهلكه الجسم باسره اثناء الراحة ويبين نوري جعفر التفسيرات الطبية في بداية الجزء الثاني من كتابه «طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف» للدماغ ولعمله وتفسيرات الموت البايلوجي وكيف ثبت ان قدرة المخ على امتصاص ما يحتاجه من الاوكسجين تضعف بتقدم السن بصرف النظر عن توافر الاوكسجين في الدم وفي البيئة المحيطة ، كما ثبت ايضا ان صرخة الميلاد تعبير عن ضعف المخ وان العامل الفسلجي الذي يحول بالدرجة الاولى دون قدرة الرضيع على الوقوف على قدميه يعود الى عدم اكتمال نضج خلايا المخ الهرمية التي ترتبط بمراكز النخاع المستطيل وهذا التفسير العلمي –على ما يذكر نوري جعفر- يناقض التفسير الميتافيزيقي الذي ذهب اليه الفيلسوف الالماني كانت( ١٧٢٤- ١٨٠٤) والذي اعتبر تلك الصرخة احتجاجا ضد القيود التي تقيد حركات الطفل وتسلبه حريته او انها كما قال فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩) عالم النفس النمساوي :تعبير عن الشعور بالنقص.

كما يستعرض نوري جعفر كيفية بلوغ المخ مرونته الفسلجية اقصى درجات ارتفاعها في السنوات الخمس الاولى من حياة الطفل وكيف ان المخ قابل للتحجر الوظيفي عند فقدانه الظروف البيئية الاجتماعية (لاسيما الثقافية) الملائمة فالطفل الذي لا تتخذ الاجراءات الكفيلة بتوجيهه طوال السنوات الخمس الاولى من حياته يصبح بعد ذلك صعب

التدريب ويلوح في ضوء ذلك ان تعذر ارتفاع مستوى تفكير الاشخاص الراشدين البدائيين الى مستوى معين من الثقافة يعود في جذوره الفسلجية الى ان مخهم لم يجد في فترة مرونته الهائلة اثناء الطفولة الظروف البيئية الثقافية التي يجدها اقرانهم الذين يعيشون في المجتمعات الراقية وكذلك فان مرونة المخ في الطفولة المبكرة هي المسؤولة عن السلوك الحيواني الذي يبديه الاطفال الذين اختطفتهم الحيوانات في سن مبكرة وعاشوا بينها فترة من الزمن وحرموا الحياة الاجتماعية[1] وايضا من طريف ما يروى كما يذكر نوري جعفر عن فوكت (١٨١٧-١٨٩٥) عالم الفسلجة الالماني انه فحص دماغ رجل توفي بعد بلوغه سن الخمسين فلاحظ ان مخه «اكثر شيخوخة من جسمه» بحوالي عشر سنوات وانه عندما استفسر عن تاريخ حياة الرجل علم انه انقطع عن ممارسة اي نشاط عقلي لسنوات متعددة قبل وفاته مما ادى الى خمود كثير من خلاياه العصبية بفعل الكسل او البطالة.وهذا هو االذي يفسر لنا جنوح المجتمعات المتقدمة نحو ابعاد المسنين عن حياة الخمول وتشجيعهم على ممارسة النشاط العقلي والجسمي المناسب.

استطاع بافلوف ان يكشف عن انماط ثلاثة للجهاز العصبي المركزي ينفرد بها الانسان هذه الانماط الثلاثة الاساسية المحضة تستند فسلجيا الى العلاقة بين المنظومتين الاشاريتين الاولى والثانية الحسية واللغوية –الادراك الحسي- رؤية الاشياء المادية مثلا او شم روائحها او سماع اصواتها من جهة والادراك الحسي عن طريق اللغة –الكلمات من جهة اخرى ،

---

١ - نوري جعفر، طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف(النوم، الاحلام، الاضطرابات العصبية)، ج٢، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٧، ص ٨

والنمط الاول من هذه الانماط الثلاثة هو الذي تتغلب عنده فطريا المنظومة الاشارية الحسية (الادراك الحسي) على المنظومة الاشارية اللغوية (الادراك المجرد او العقلي) وتتغلب عنده ايضا المراكز الدماغية الواقعة تحت المخ (المسؤولة عن الانعالات او المشاعر او العواطف) على المراكز المخية اللغوية (المسؤولة عن التفكير) وهو نمط الفنانين عموما( الرسامين ، النحاتين ، الموسيقاريين والشعراء) الذين يدركون العالم الخارجي المحيط ادراكا حسيا مرتبطا بمشاعرهم وخيالهم. اما النمط الثاني فهو الذي تتغلب عنده المنظومة الاشارية اللغوية ويتغلب عنده المخ على الاقسام الواقعة تحته وهو نمط اصحاب النظريات العلمية او نمط المفكرين من جميع الاختصاصات الذين يتعاملون مع البيئة المحيطة بالاعمال الرياضية والرموز والمعادلات والنمط الثالث فهو النمط الاوسط الذي تتوازن لديه باعتدال المنظومتان الاشاريتان الاولى والثانية –وهو يقع عند اغلبية الناس- والاضطرابات العصبية التي من الممكن ان تحدث لدى اصحاب هذه الانماط الثلاثة هي الهستريا مثلا التي تعتري الفنانين والساسكسثينيا –الخور- تنتاب نمط المفكرين والنيروسيتينيا تصيب النمط الاوسط[1] ويستعرض نوري جعفر كيفية حدوث النوم في ضوء نظريات بافلوف وكما سيلي:

فقد دلت الدراسات الفسلجية على ان تغيرات بايو كيمياوية كثيرة وكبيرة تعتري الجسم اثناء اليقظة والنوم وتكون اثارها بالغة الاهمية .فقد ثبت مثلا ان نشاط الجسم يصل الى ادنى مستوياته نهارا ما بين الساعة الثانية عشر ظهرا والثانية بعد الظهر.وما بين الثانية بعد منتصف الليل والخامسة بعد منتصف الليل ويبلغ اوج ارتفاعه صباحا ما بين الساعة

---

١ - المصدر السابق، ص ١٥

الثامنة الى الساعة الثانية عشرة ظهرا وما بين الثانية بعد االظهر والساعة الخامسة عصرا. ويصبح الجسم في القسم االاول على ما يذكر نوري جعفر – من النهار اكثر استعدادا لقبول المواد الغذائية البروتينية والسوائل والاغذية الدسمة وهضمها بسهولة في حين انه اكثر استعدادا لتناول الكربوهيدرات في النصف الثاني من النهار ويكون الجسم ايضا اكثر استعدادا لممارسة نشاطه العضلي والذهني اثناء النصف الاول من النهار ، لتزايد نشاطه بفعل وجود الحد الاقصى من السكر في الدم ، وقد ثبت ان مقدار الادرنالين في الدم يبلغ اعلى مستوياته في الساعة التاسعة صباحا وادنى مستوياته في السادسة مساء وان تعرض الشخص لحالات انفعالية حادة كالذعر والغضب الجامح وهنا يعلق نوري جعفر قائلا : وما اكثر حدوثها في المدرسة بفعل فقدان الكياسة في معاملة الطلاب وعدم الاكتراث بمشاعرهم وجفاف اساليب التدريس وعقم المواد الدراسية[1] مما يدلل على تعلق نوري جعفر بالجانب التعليمي والتربية المدرسية كثيرا وانعكاساتها النفسية والفسلجية على الفرد الطالب ومستقبله من خلالها ، كما ان املاح المغنيسيوم والسائل المخي النخاعي تزداد كميتها اثناء النوم مما يؤدي الى كبت النشاط العصبي والعضلي في الجسم فيتوقف هذا النشاط مؤقتا عن مواصلة العمل.ومما يساعد في ذلك على تفكك مخزون الكبد من الكاربوهيدرات اثناء النوم وهذا يساعد بدوره على حدوث النوم نفسه. ويفسر نوري جعفر سر العلاقة بين الجهاز العصبي المركزي والعضلات والذي اكتشفه عالم الامراض العقلية الالماني بيرجر الذي وضع مبادئ علم الفسلجة الكهربائي او علم كهرباء فسلجة الجسم Electrophysiology الذي يستند الى القوانين الفسلجية

---

١ - المصدر السابق، ص١٦

التي يدرسها علم الاحياء والقوانين الكهربائية التي تدرسها الفيزياء ويشير نوري جعفر الى القدرة الفائقة في عملية رسم مخططات طوبغرافية لمختلف مناطق المخ وكشفها عن ارتباطاتها المتداخلة والمتبادلة الاثر وتشخيصها مواقع الكثير من الارتباطات العصبية دون حاجة الى فتح الجمجمة او استخدام التخدير ، والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو لسان حالك يا نوري جعفر لو تاتي اليوم وتجد الاجهزة العظيمة والمتطورة في هذه الكشوفات اليوم والمتمثلة باجهزة المفراس والرنين المغناطيسي والتي تفوق ما تكلم عنه نوري جعفر قبل ٣٠ سنة.كما ويشير نوري جعفر الى عدد من العلوم المهمة الناشئة من علم الكهرباء الحياتية والتي منها علم فسلجة كهرباء الجسم المشار اليه وعلم تسجيل امواج القلب الكهربائية وعلم تسجيل موجات الدماغ الكهربائية والذي اتسع نطاقه كما يشير العلامة وكثر عدد المتخصصين به وعقدت بشانه مؤتمرات دولية متعددة وانشأ المختصون به «اتحادا دوليا» لجمعياته مقره في كندا وله مجلة فصلية انذاك اسمها: Electroencephalography and Clinical Neurophysiology يذكرها العلامة نوري جعفر والعلامة حسب معلوماتي كتب كتابا باللغة الانكليزية عن علم تسجيل موجات الدماغ الكهربائية المعروف علميا الNeurophysiology هذا الكتاب سنعمل على ترجمته قريبا وتقديمه للقارئ العربي.

ويفصل نوري جعفر الامواج الكهربائية التي يحملها جسم الانسان كلها.

تتضح اهمية كتاب نوري جعفر الذي نحن بصدد قراءته من كون بافلوف اول عالم يبرهن مختبريا على ان الجهاز العصبي المركزي لدى الانسان والحيوانات الراقية الاخرى هو اداة الاتصال المادية بين اجزاء الجسم المختلفة من ناحية وبين الجسم باسره باعتباره كيانا واحدا

متماسكا والبيئة المحيطة الطبيعية والاجتماعية في حالة الانسان من جهة اخرى كما ويدلل نوري جعفر على اطلاعاته العميقة في هذا الموضوع من خلال مقارنات طريفة يذكرها معبرا بها عن ان التفاوت في حجم جماجم البشر لا يدل على تفاوت مستوى تفكيرهم المعبر عنه بانتاجهم العلمي والادبي ويضرب امثلة جميلة منها :بلوغ حجم جمجمة الكاتب الروسي ترجينيف (١٨١٨-١٨٨٣) والشاعر الانكليزي بايرون (١٧٨٨-١٨٢٤) وعالم الاحياء الفرنسي كويفية(١٧٦٩-١٨٣٢) زهاء 2.000 سانتيمتر مكعب وهو ضعف حجم جمجمة االفيلسوف الالماني كانت( ١٧٢٤-١٨٣٢)والكاتب الفرنسي اناتول فرانس(١٨٤٤-١٩٢٤) في حين ان انتاج هذين الاخيرين لا يقل روعة عن انتاج زملائهم المشار الى اسمائهم.اذن نستنتج من اراء العلامة جعفر ان المستوى الثقافي الذي يبلغه الشخص الراشد المتعلم الحديث هو في جوهره حصيلة عمليتي تطور مختلفتين ومتلازمتين هما: عملية التطور الدماغي التي يمر بها الفرد من طفولته حتى سن الرشد من ناحية وعملية التطور الثقافي التي يتحول اثناءها ذلك الفرد الى شخص متعلم حديث. وهذا في اساسه نتائج عمليتين واسعتي النطاق مر بهما النوع الانساني في مجرى تاريخه الطويل :البايولوجي والاجتماعي الثقافي اولاهما حصلت في المستوى الدماغي في اول الامر ثم نشات بعدها وبتاثيرها عملية تطور تاريخية اجتماعية ثقافية خاصة بالانسان وحده. وفي الفصل الاول من الكتاب يتناول الدكتور نوري جعفر عملية النوم التي من غير الممكن ان يستغني عنها الانسان ولو لفترة زمنية قليلة ويعزي تبادل اليقظة والنوم بشكل ملحوظ لدى الانسان والحيوانات الراقية القريبة منه في سلم التطور البايولوجي –في ضوء عملية النشوء والارتقاء –الى وجود اجهزتها العصبية المركزية العالية التطور وبخاصة نصفا الكرة المخيان

لاسيما قشرتهما المخية ، وقد ثبت في ضوء عملية لانشوء والارتقاء ان الحاجة الفسلجية الى النوم تتضح اكثر فاكثر لدى الحيوانات الراقية كلما ارتفعت في مستوى التطور البايولوجي وقد ثبت ان النوم الطبيعي الاعتيادي ياخذ عند الانسان والحيوانات الراقية الاخرى اشكالا متعددة وذلك راجع في الاصل النشوئي الى اختلاف ظروفها البيئية المعاشية.وهذا يعني ان النوم يأخذ اشكالا متعددة من ناحية السعة والعمق على حد سواء :فهناك النوم الكلي التام والنوم الجزئي او الموضعي والنوم المتقطع الكلي او الجزئي وهذا كله يحصل في العادة اثناء الليل ولكن ليس هناك ما يحول دون حدوثه في وقت النهار اذا استلزمت ذلك ظروف بيئية موضوعية ، ويناقش نوري جعفر كذلك انواع النوم فهناك النوم الكلي الذي يمتد لعدة ساعات او اشهر حتى ، وهناك ايضا النوم الطبيعي المالوف والنوم المنحرف والنوم الفسلجي النشط الذي يحتاج اليه الجسم بعد العناء ليستعيد نشاطه (فهو كالتزييت او التشحيم بالنسبة للسيارة على حد قول بافلوف) وهناك أيضا النوم الاستسلامي المنفعل الذي يحصل بفعل عوامل خارجية دون ان تستلزمه بالضرورة حالى تعب فسلجي. ومن جهة ثانية فان المنبهات الحسية التي تكلم عنها نوري جعفر باكثر من موضع المكرورة النمطية التي تحصل في غير اوقات حدوث النوم دون ان ترافقها بالضرورة حاجة فسلجية للنوم. كما تبين ايضا ان ظروف العيش التي جعلت الانسان ومعظم الحيوانات الراقية الاخرى تنشط اثناء النهار وتستسلم للنوم عند حدوث الظلام ، وهي نفسها جعلت بعض الطيور وبعض الحيوانات اللبنية كالذئاب تنام في النهار وتسعى في الليل. كما ويتكلم نوري جعفر عن النوم الموسمي الذي تمتاز به بعض الحيوانات ومنها القنافذ والدببة ويميز نوري جعفر بين حالات النوم الطبيعي وحالات النوم المنحر التي

يشـرحها بالعبـارات التاليـة يقـول: «كمـا ينبغـي التمييـز ايضـا بـين النـوم الطبيعي المعتاد وبين حالات النوم الباثولوجية (حالات النوم المنحرف) غير الطبيعـي كالاغمـاء وحـالات الرجـة وفقـدان الـوعي وهـي حـالات يفقـد الشخص نشاطه اليومي المعتاد ويستسلم لحالات نوم منحرف يعود سببه الفسلجي الى حدوث عملية تفكك حاد في نشاط المخ»[1] ويبين كيف ان ان الجسم في حالة النوم المنحرف يحتاج الى منبهات اصطناعية في حين في حالات النوم الاعتيادي لايحتاج الى هذه المنبهات.

كمـا يـبين نـوري جعفـر ضـمن هـذا الفصـل ان الجسـم اثنـاء النـوم لا ينقطـع عـن البيئـة انقطاعـا تامـا ومطلقـا ولا تتوقـف عـن العمـل اعضـاؤه الداخلية بل تتغير بعض تعبيراتها ويضرب امثلة في دقات القلب وضغط الدم وغدد العرق.

ثم يشرح نوري جعفر مقدمات النوم ومنها التثاؤبYowning حيث يبدا الجسم باسترخاء عام يحصل في عضلاته ابتداء من عضلات الرقبة والنعـاس في جـوهره الفسـلجي هـو تنـاقص النشـاط الايجـابي لاذي تمارسـه القشرة المخية اثناء اليقظة التامة وذلك بفعل نشوء عملية كف ضعيفة في الخلايا لا مخيـة وتنشا في الجسم اثنـاء ذلـك مـواد كيمياويـة تساعده علـى الانتقال بايوكيمياويا الى حالة النوم وتحجب اثار المؤثرات البيئيـة الخارجيـة مـن الوصـول الى المـخ فتكثـر في لادم مـثلا امـلاح المغنيسـيوم وامـلاح البوتاسيوم في السائل المخي النخاعي وتبدا العمليات تترى لدخول الانسان كاملا بالنوم.

---

١ - نوري جعفر، طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف، مصدر سابق، ص٣٢

فالنعاس يتضح انه غير النوم بل هو مقدمة له ومن المقدمات الاخرى تعذر مواصلة العمل وغيرها.

ويعرف نوري جعفر النعاس قائلا: «النعاس ظاهرة فسلجية طبيعية مثل النوم نفسه ومثل الجوع او العطش يعبر فيها الجسم عن احدى حاجاته الحيوية البايولوجية.ولابد من ان ينام الشخص في مثل هذه الحالة تماما كما يفعل عند الحاجات الاخرى ، فكما انه لا توجد وسيلة اخرى طبيعية للتغلب على الجوع غير تناول الطعام فكذلك لا يمكن استبعاد النعاس طبيعيا الا بالنوم الذي يزيل الارهاق الذي ادى الى حصول النعاس الذي يشير الى ضرورة النوم ، والنعاس من هذه الناحية اجراء فسلجي ذو طبيعة صيانية او وقائية –بنظر بافلوف- لانه يحول دون استنزاف طاقة الجسم الحيوية وبخاصة نشاط جهازه العصبي المركزي لاسيما المخ»[1]

كذلك يشرح نوري جعفر العوامل البيئية المهمة التي ينبغي توافرها لغرض إتمام النوم ومنها القضاء على الضجيج والمؤثرات البيئية الأخرى كالضوء مثلا وغيرها أي بعبارة أخرى تناقص اثر المنبهات إلى درجة التلاشي في المخ. ولكن هذا القول –حسب نوري جعفر- ينبغي ألا يبالغ فيه إلى درجة مفرطة أو أن يعطى وزنا اكبر مما يستحقه وذلك لان كثيرا من الناس يستسلمون للنوم أحيانا في أماكن يملؤها الضجيج إلى درجة مزعجة وهي منارة أيضا بتوهج ولا تتوافر فيها ابسط شروط الملائمة. وهناك عامل بيئي آخر ذو مزايا خاصة له كبير الأثر في حدوث النوم هو حدوث تنبيه ضعيف نمطي مكرور ومستمر كما هو الحال عندما تترنم الأم قرب سرير طفلها وتحركه بهدوء ويفسرها نوري جعفر حسب فسلجة

---

١ - المصدر السابق، ص٣٥.

بـافلوف بمـا نصـه: «ويلـوح ان الأثـر ألتنـويمي الـذي ينطـوي عليـه العامـل المذكور علـى مـا يقولـه بـافلوف إلى إن عمليـة الإثـارة الطويلـة المـد نسـبيا والضعيفة التي تتعرض لها خلايا المخ السمعية تؤدي إلى إن تنشأ فيها عمليـة كـف تنتشـر في إرجـاء المـخ الأخـرى وبـذلك يحصـل النـوم ، بالتبعيـة وفق مبدأ الاستثارة المتبادلة»[1]

ثم يذكر نوري جعفر أربع نظريات لتفسير النوم وهي:

١- نظرية تناقص كمية الدم في الدماغ

٢- النظرية الكيماوية.

٣- النظرية التي تفترض وجود مركز دماغي مسؤول عن النوم.

٤- نظرية بافلوف في تفسير طبيعة النوم وكيفية حدوثه.

ويعتبر نـوري جعفـر ان النظريـات الثلاثـة الأولى باطلـة كليـا وذلـك لان أصحابها ركزوا اهتمامهم في دراسة العوامل الفسلجية التي تساعد على حـدوث النـوم وتـؤدي اليـه دون ان يهتمـوا بتفسـير ماهيـة النـوم او طبيعتـه الفسـلجية حيـث ذكـر اصـحاب النظريـة الاولى ان النـوم يحصـل بفعـل اختلاف كمية الدم التي تصل الدماغ واصحاب النظرية الثانية ذكروا ان حدوث النوم راجع الى تجمع الفضلات السامة في الدماغ وقال اصحاب النظرية الثالثة ان النوم يرجع في الاصل الى وجود مركز دماغي معين ، ويقـول نـوري جعفـر ان أي مـن أصـحاب هـذه النظريـات لم يسـال نفسـه السؤال التالي الـذي يتعلـق بجـوهر الموضـوع :مـا النـوم نفسـه؟ او مـا هـي طبيعته.

---

١ - المصدر السابق، ص٣٨- ٣٩

لذلك سوف نتطرق بشيء من التفصيل الى نظرية بافلوف في تفسير النوم.

تستند نظرية بافلوف في الأساس الى ظاهرة الترابط العضوي والأثر المتبادل بين أعضاء جسم الانسان مع سيطرة المخ عليها من جهة وبين الجسم بأسره باعتباره كيانا واحدا واداة الاتصال العضوي بين اجزاء الجسم وبين البيئة هي الجهاز العصبي المركزي لاسيما الدماغ وبخاصة المخ او نصفا الكرة المخيان وفي مقدمتها القشرة المخية.

والمخ يمارس نشاطه العصبي الأعلى بتعبير بافلوف عن طريق عمليتي الاثارة excitationوالكف inhibitionوقد تكلمنا عنهما فيما سبق من الكتاب وبما ان بيئة الإنسان المعاشية متقلبة كثيرا وبيئته الداخلية كذلك أي التنفس والهضم الخ.... كثيرة التقلب والتنوع فان قشرته المخية تكون قد تطورت في مجرى تاريخه البيولوجي الطويل وتاريخه الاجتماعي بعد ذلك وعلى أساسه بحيث أصبحت قادرة على مواجهة ذلك التقلب البيئي والتغلب عليه بالإثارة تارة وبالكف تارة أخرى حسب الظروف. بحيث أصبحت عمليتي الإثارة والكف تتبادلان المواقع بالسرعة المطلوبة والسهولة اللازمة وحسب مقتضيات الأحوال الراهنة للمحافظة على الحياة.

وقد ثبت لبافلوف إن نشاط عمليتي الإثارة والكف يخضع لقانونين فسلجيين متلاحمين ومتبادلي الأثر هما :قانون الانتشار والتركيز (انتشار الإثارة والكف وتجمعهما) من جهة وقانون الاستثارة المتبادلة من جهة أخرى ، وفحوى القانون الأول ان إحدى هاتين العمليتين عندما تحدث في منطقة مخية معينة فإنها تجنح نحو الانتشار في الأقسام المخية المجاورة في أول الأمر ثم تعود ثانية فتتجمع او تتركز في حيز ضيق. وفحوى الثاني انه عندما تنشأ إحدى العمليتين المخيتين في منطقة معينة في المخ فان الثانية

تحدث بالتبعية في منطقة مخية أخرى قريبة او بعيدة عنها –معنى هذا انه عندما تتركز الاثارة مثلا في منطقة مخية معينة وتبلغ أعلى درجات قوتها فان عملية كف تنشأ بالتبعية في مناطق المخ الاخرى وبالعكس.

هذا بالنسبة الى نظرية بافلوف بشكل اساسي اما بالنسبة لتفسير بافلوف للنوم والذي يعتبر الاساس العلمي في هذه المسالة التي يستند اليها نوري جعفر فهو كالتالي:

حيث ثبت لديه بشكل علمي و مختبري ان النوم الاعتيادي المالوف هو في جوهره الفسلجي عملية كف تعتري نشاط القشرة المخية اليومي المعتاد وتسري بعد ذلك وعلى اساسه فتنتاب نشاط الدماغ باسره فاقسام الجهاز العصبي المركزي الاخرى فسائر ارجاء الجسم :أي ان النوم من وجهة نظر بافلوف عملية كف تعتري الجسم باكمله لفترة معينة من الزمن. وهذا يعني ان عملية الكف المعتادة (الموضعية والجزئية التي تحصل بفعل قانون الاستثارة المتبادلة) تتحول في اخر المطاف الى نوم عند انتشارها في مناطق مخية اوسع وفي جميع ارجاء الدماغ بعد ذلك ثم تنزل الحبل الشوكي فارجاء الجسم الاخرى. كما لاحظ بافلوف وجود حالات وسطى انتقالية بين اليقظة والنوم سماها الحالات التخديرية وذلك لان المستيقظ لا يستسلم للنوم بشكل فوري ، وكذا الحال بالنائم الذي لا يفيق بشكل فوري ، بل يتم الانتقال من اليقظة الى النوم وبالعكس بصورة تدريجية انتقالية عبر مراحل تنتهي اخرها باليقظة التامة في الحالة الاولى وبالرقاد المطلق في الحالة الاخرى.كما ان نوري جعفر اشار الى عملية التنويم المغناطيسي(التخدير) الذي هو بنظر بافلوف عملية نوم تصاحبها حالة يقظة جزئية تستمر اثناءها بعض خلايا المخ في حالة اثارة والخلايا المخية المستيقظة المشار اليها بالفعل اثناء النوم الطيعي سماها بافلوف منطقة

الحراسة اما نظيراتها الموجودة في حالة التخدير (التنويم المغناطيسي) ، او التنويم عن طريق الايحاء فسماها منطقة الاتصال التي تبقي الصلة بين المنوِّم والمنوَّم ونقاط الحراسة المار ذكرها هي التي تفسر استيقاظ صاحب الطاحونة عند توقفها عن مواصلة العمل واستيقاظ الام لادنى حركات طفلها دون ان توقظهما المؤثرات البيئية الاخرى الاقوى[1]

## منطقتا الحراسة والاتصال:/

ثم يشرح نوري جعفر منطقتي الحراسة والاتصال ويعتبرهما ظاهرتان متماثلتان من حيث الاساس الفسلجي[2] وبينهما اختلافات كثيرة فمنطقة الحراسة تحصل اثناء النوم الطبيعي ومؤلفة من خلايا مخية عصبية قليلة متجمعة تبقى في حالة اثارة اثناء انتشار عملية الكف في اجزاء المخ،وهي التي توقظ النائم عند الضرورة القصوى، في حين ان منطقة الاتصال تحصل اثناء النوم الموحى به لفظيا وهي خلايا مخية قليلة متجمعة تبقى في حالة اثارة اثناء انتشار النوم الموحى به لفظيا (عملية الكف) في جميع ارجاء المخ الاخرى،وهي التي تجعل النائم في هذه الحالة على اتصال بالشخص الذي ينومه ايحائيا باللفظ مع استمراره على النوم الموحى به يضاف الى ذلك ان منطقة الحراسة اكثر استقرار او ديمومة من منطقة الاتصال المتحركة الديناميكية،كما ان منطقة الحراسة تنشأ في المنظومة الاشارية

---

١ - المصدر السابق، ص٥٣

٢ - الاساس الفسلجي لهما هو عملية اثارة في منطقة مخية محدودة تحيط بها عملية كف تنتشر في جميع ارجاء المخ الاخرى وهذا كله يحصل وفق مبدا الاستثارة المتبادلة(طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف)، ص٥٤

الاولى –الحسية- (جميع المناطق المخية عدا مقدمته) في حين ان منطقة الاتصال تحصل في المنظومة الاشارية الثانية التي ينفرد بها الانسان (القسم الامامي الاعلى من المخ) كما ان منطقة الحراسة تخضع لتاثير التنبيهات الحسية لاسيما الاصوات ذات الارتباط بالاثم مثل صوت الرضيع النائم بجانب امه. في حين ان منطقة الاتصال تخضع لتاثير المنبهات اللفظية كما ان الصلة بين كل منهما والعالم الخارجي تنقطع تماما عندما تنتشر اليهما عملية الكف حيث يعتري المخ نوم تام شامل ومطلق كما ان منطقة الاتصال تمتاز بميزة اخرى ان مفعولها يحفز النائم على القيام باستجابات معينة ، كما ان منطقة الاتصال هذه قد تكون معزولة ضيقة مقصورة على النائم والطبيب وحدهما وقد تكون واسعة شاملة نسبيا كما ان منطقة الاتصال ينفرد بها الانسان وحده لانها تحصل في المنظومة الاشارية الثانية في حين ان منطقة الحراسة تحصل لدى الانسان والحيوانات لانها تنشا في المنظومة الاشارية الحسية كما ان في منطقة الاتصال يصبح نصفا الكرة المخيان في حالة كف باستثناء خلايا مخية قليلة متجمعة تبقى في حالة اثارة ضعيفة تتالف منها منطقة الاتصال هذه التي تربط الطبيب بالنائم.

ويشرح نوري جعفر شرحا جميلا حول المراحل او الاوجه الانتقالية بين اليقظة والنوم وبالعكس وهي:

١- **مرحلة(وجه) المساواة:** Equalizing hypnotic phase

حيث تتضح هذه المرحلة في ان مخ الشخص الذي هو في طريقه الى النوم في بدايته (اثناء انتقاله من حالة الاثارة الى حالة الكف) يستجيب استجابات انعكاسية شرطية متساوية القوة ازاء جميع المنبهات البيئية بصرف النظر عن اختلافها في القوة والضعف.

٢- **وجه المفارقة –الجانب التناقضي** Paradoxical phase

يعبر هذا الوجه عن نفسه في ان استجابات المخ الشرطية الانعكاسية تكون قوية ازاء المنبهات الضعيفة وبالعكس.

٣- **وجه ما وراء المفارقة:** Ultra Paradoxical phase

هذا الوجه او الجانب يتضح في ظاهرة المسخ او التشويه التي تعتري جميع الاستجابات ازاء المنبهات البيئية ، فلا يستجيب المخ للمنبات التي تستثير في حالة اليقظة نشاطه الشرطي الانعكاسي الايجابي ويحدث العكس في حالة المنبهات التي تستثير اثناء اليقظة حالة انسحاب او عدم رد ، وهذا يعني بعبارة اخرى ان عملية الكف تعتري نشاط القشرة المخية الشرطي الانعكاسي الايجابي ازاء المنبهات الايجابية الشرطية التي تستثير ذلك النشاط اثناء اليقظة من جهة وان عملية الاثارة تنتاب نشاط القشرة المخية الشرطي الانعكاسي السلبي ازاء المنبهات الشرطية السلبية التي تستثير ذلك النشاط اثناء اليقظة.

٤- **مرحلة الكف التام او الكامل (النوم):** Complete Inhibition

وهذه حالة النوم الطبيعي المعتاد حيث تتوقف جميع الاستجابات ازاء جميع المنبهات البيئية عندما يستغرق المرء في النوم[١] ويشير نوري جعفر الى ان الترتيب الدماغي المشار اليه في حالة الانتقال من النوم الى اليقظة أي ان التدرج من النوم التام الى اليقظة التامة يسير من حالة النوم الكامل

---

١ - المصدر السابق، ص٥٥- ٥٦

الى وجـه مـا وراء المفارقـة فوجـه المفارقـة فوجـه المسـاواة.طبعـا ذكـرت هـذه المراحل حسب نظرية بافلوف الـذي استطاع ان يحدث نومـا مختبريـا لـدى بعض الكلاب التجريبية واتضحت امامـه لمراحـل التخديرية الاربع المشار اليها التي يعبر فيها المخ عن تدرج متصاعد في انتقاله من اليقظة التامـة الى النوم الكامل وبالعكس.

نوري جعفر يستعرض عدد مـن الامـور ضـمن حـالات النـوم المنحـرف ويفسرها تفسيرا علميا وهذه الحالات هي:

الارق وحالـة المشـي اثنـاء النـوم والتخـدير –الطبيعـي والتنـويم المغناطيسي ، ويشير نوري جعفر في ختام الفصل الى اهميـة النـوم في حيـاة الانسـان ولا بـد مـن تهيئـة الظـروف البيئيـة الخارجيـة الـتي تسـاعد علـى حصوله بسرعو وسهولة وهذا يستلزم اتخاذ اجـراءات كـثيرة سـلبية وايجابيـة اهمها:

من الناحية السلبية ان يطرح المرء جانبا العمـل الـذهني الجـدي بصـورة خاصة قبل بدء المنام بساعتين على الاقل ، مع العلـم ان الحاجـة الى ذلـك الاجـراء هـي اكـبر لـدى الاشـخاص الـذين يتصـفون بصـعوبة فسـلجية في الانتقال السريع من اليقظة الى النوم ، والافضل لهـؤلاء الاشـخاص بالـذات ولغيرهـم ان يتجنبـوا في المسـاء ممارسـة اي امـر يـثيرهم مثـل الاشـتراك في مناقشات حـادة ذات طابع انفعـالي عنيـف وان يمتنعـوا عـن مشـاهدة الافـلام المثيرة ولا يقـرأوا كتابـا يحمـل هـذا الطـابع. ويستحسـن ايضـا تفـادي تنـاول وجبات طعامية ثقيلة في الليل وتجنب تعاطي المنبهات وبخاصة القهوة.

امـا الاجـراءات الايجابيـة الـتي يـذكرها نـوري جعفـر فيـاتي في طليعتـها غسـل اليـدين والوجـه واالقـدمين وتنظيـف الاسـنان والاسـتحمام بمـاء دافـئ لاراحة الجهاز العصبي المركزي وان يكون الفراش نظيفا ومريحا وملائمـا لا

بالقصير او الضيق او الصلب وان يكون موقعه في الغرفة ملائما ، وان تكون الاضاءة والتدفئة والتهوية والهدوء جميعا ذات طابع ملائم يساعد على النوم ، وان يتجنب الاشخاص المسنون النوم على جهتهم اليسرى لتفادي صعوبة دوران الدم وان يراعوا سهولة حدوث عملية التنفس اما ساعات النوم فيختلف مقدارها باختلاف السن وطبيعة المهنة وبنية الجسم ، ولا بد في جميع الحالات ان يأخذ الجسم قسطه الكافي من النوم تماما كما ياخذ قسطه من الطعام ، وان يكون النعاس دائما حافز للتهيء للنوم باستثناء حالات معينة منها مثلا ما نشاهده لدى بعض الطلاب احيانا في بداية اليوم المدرسي اذا لم يكن ناجما عن قلة النوم في الليلة السابقة ، وذلك لانه ينجم في غير هذه الحالة الطبيعية عن بطء عملية الانتقال لدى بعض الناس لعوامل فسلجية طبيعية من النوم الى اليقظة وبالعكس ، كما يضع نوري جعفر معالجات لقلة النوم ومنها ان تزيد منه اما الانتقال الطبيعي البطيء من النوم الى اليقظة فتعالج بتمارين بدنية صباحية ملائمة تجرى بعد الاستيقاظ مباشرة لتنشيط الجهاز العصبي المركزي وتهيئته للعمل وهذا يفسره نوري جعفر فسلجيا بقوله« وهذا يؤدي فسلجيا الى تحديد مفعول عملية الكف الموضعية او صدها تماما عن الانتشار والتحول الى النوم وذلك بتكوين نقاط اثارة مخية نشطة تفسد مفعول عملية الكف ثم تحل تدريجيا محلها»[1]

اما الفصل الثاني من الكتاب فيتناول نوري جعفر موضوعا ذو علاقة وثيقة مع حياة الانسان وبالذات في جزئها الذي يكون فيه غائبا عن الوعي تحت تاثير النوم الا وهو موضوع الاحلام الذي شغل الكثير من الباحثين

---

١ - المصدر السابق، ص٩١

والمفكرين والكتاب للبحث في كيفية نشوئها وحدوثها ويناقشها جعفر ايضا في ضوء فسلجةبافلوف وسناقش محتواها الاجتماعي كذلك فهي تحدث عندما يكون النوم خفيفا او غير عميقي بكفاية ويذكر نوري جعفر العامل الفسلجي لحدوثها في نظر بافلوف وهو « ان الحياة العقلية عند الانسان تستمر في حالة النوم الخفيف لدى النائم بشكل او باخر لان المناطق الدماغية المسؤولةعن نشوء الاحلام لم تصل اليها بعد عملية الكف /المناطق الدماغية الواقعة تحت المخ المجاورة له التي مرت الاشارة اليها ، والمسؤولة عن الحياة الانفعالية والتي تبقى في حالة يقظة خفيفة /اثارة ضعيفة»[1] اي ان نوري جعفر يريد ان يقول ان الحياة العقلية المعتادة في وقت اليقظة تستمر جزئيا ولا تنقطع انقطاعا تاما ومطلقا اثناء النوم الخفيف وكذلك ارتباطات النائم بالبيئة الخارجية المحيطة حيث تبقى المناطق الدماغية المسؤولة في حالة اثارة وان كانت ضعيفة نسبيا بمعنى ان عملية الكف لم تمتد اليها بعد ، ونوري جعفر يقول في ذلك «ان نشاط الانسان الفكري الواعي يواصل عمله اثناء النوم غير العميق وان كان مستواه دون نظيره في حالة اليقظة»[2] اذن النشاط المرتبط بحدوث الاحلام فسلجيا هو نشاط المنظومة الحسية الاشارية (المنظومة الاولى بتعبير بافلوف)التي ذكرها نوري جعفر والتي تبقى في حالة عملية اثارة نسبية اثناء النوم الخفيف وذلك لان عملية الكف تعتري اولا وقبل كل شيء المنظومة الاشارية الثانية «اللغة/الفكر» لان الانسان يلح في استخدامها اثناء اليقظة فيعتريها التعب الفسلجي ، كما يذكر الدكتور نوري جعفر ان النوم العميق لا

١ - السابق، ص٩٣

٢ - المصدر السابق، ص٩٣

يحدث فيه الحلم لان عملية الكف قد غمرت كل اجزاء الدماغ.ويذكر نوري جعفر مجموعة صفات تميز الاحلام نجملها بالنقاط التالية والتي ذكرها في كتابه طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف:

١- الحلم يتحدى كل الاماكن والازمنة ولا توجد حدود له فيجد الشخص نفسه نشطا متنقلا بين امكنة وازمنة متباعدة ومتباينة ويتصل اثناء ذلك بمختلف الاشخاص الاحياء والموتى وبصفات متعددة.

٢- اي منبه ضعيف يقع قرب النائم يستثير لديه احساسات قوية فتبدو اي حركة ضعيفة يسجلها الدماغ لدى النائم الحالم كانه ضجة ، ويذكر نوري جعفر قصة لطيفة في هذا السياق وهذه القصص كثيرا مايذكرها نوري جعفر في قراءته للامور السايكولوجية وذلك لان هذه المواضيع جافة نوعا ما فيحاول تقريبها للاذهان من خلال سوقه لهذه القصص وهي : ان المؤرخ الفرنسي سوري الذي عاش في القرن التاسع عشر يقول: كنت طريح الفراش في احد الايام وكانت والدتي تجلس بجانب السرير وقد رايت في المنام كاني اعيش حوادث الثورة الفرنسية المرعبة وقد شهدت مناظر مفزعة متعددة منها انني استدعيت الى احدى جلسات محكمة الثورة ووقفت وجها لوجه امام روبسبير ومارا اخرين من رجال الثورة البارزين ، وبعد مناقشة حادة وجدل عنيف صدر علي الاحكام شنقا حتى الموت فقادني الجلادون الى المقصلة امام حشد كبير من الناس وانطلقت سكاكينها الحادة القاطعة فبترت راسي وفصلته عن بقية الجسم فاستيقظت والهلع باد على محياي ووجدت خيطا واهيا كان

يتدلى على السرير قد سقط على عنقي ، وقد اخبرتني والدتي ان استيقاظي المفاجئ حصل فور سقوط الخيط على رقبتي.

٣- فقدان الموقف النقدي الذي تقاس حسب مستلزماته محتويات الحلم في ضوء الواقع المحسوس الفعلي ووفقا للمنطق السليم فكل شيء بالحلم محتمل الحدوث –الاتصال بالموتى «الاحياء» والوجود في اماكن متعددة في ان واحد والعودة الى العيش في الماضي السحيق وما يجري مجراها اي ان محتويات الحلم تتحدى الزمان والمكان كما قلنا ولا تعرف القيود او السدود

٤- للحلم صفة الاندماج او الذوبان merging وصفة الاستبدال او الابدالsubstitution والاندماج يعني تداخل الصور الحسية الزاهية التي يحتويها الحلم ببعضها تداخلا غريبا وطريفا غير مالوف في الحياة اليومية المعتادة اثناء اليقظة ، اما الاستبدال فهو حلول بعضها محل بعض اخر ، ويذكر نوري جعفر قصة طريفة تدل على هذين الصفتين وهو من باب تقريبهما للمتلقي والقصة يرويها احد رجال الفكر السوفييت: قدمت الى احدى المدن قبل بضع سنوات لالقي بعض المحاضرات لفترة بضعة ايام وقد رايت في المنام اثناء مكوثي في محلي الجديد كأن احد اصدقائي –الذي يسكن مدينة اخرى- قد التقى بي على هيئة شرطي مرور يقف في احدى مناطق تقاطع الشوارع لينظم حركة مرور وسائل النقل والمارة وبيده قطعة لحم معلبة طويلة يستخدمها مثل العصا لهذا الغرض ثم يواصل صاحب الحلم حديثه فيقول: حاولت ان اجد تفسيرا معقولا لهذا الحلم الغريب ولكن دون جدوى في بداية الامر ، غير

اني اهتديت الى ذلك بعد انجاز مهمتي اثناء مغادرتي المدينة فقد لاحظت وانا في طريقي الى محطة القطار قطعة معلقة على احد المكاتب تحمل اسم طبيب يشبه اسم صديقي الذي رايته في زي شرطي المرور ولا بد ان اكون قد لاحظتها ايضا اثناء قدومي المدينة وانا في طريقي من محطة القطار الى الفندق دون ان اهتم بها... وهكذا يستمر صاحب الحلم بتفسير حلمه في ضوء رؤيته لامور محسوسة في حياته العامة.كما ويفسر نوري جعفر الاحلام التي تحوي مفردات غريبة وسخيفة ومندمجة ببعضها الى درجة الذوبان فيعزيها الى تفكك وحدة النشاط العصببي الاعلى الديناميكية بفعل التزايد المتدرج الذي يحصل في عملية الكف في السعة والعمق ، وهناك عامل جوهري اخر مسؤول بالرجة الاوولى عن غرابة محتويات الحلم وهو ان الفكر المرتبط باللغة (المنظومة الاشارية الثانية) والمستند الى المراكز المخية اللغوية (القسم الامامي الاعلى من نصف الكرة المخية الايسر) هو اول ما تعتريه عملية الكف لكون اداته المخية رقيقة التكوين سهلة الاستنزاف ولكونها ايضا دائبة النشاط اثناء اليقظة[1] بعد ان ذكر نوري جعفر الاساس الفسلجي للاحلام يذكر محتواها الذي ياتي في الاصل من البيئة الاجتماعية وينبه على ان الحلم لا يستمد محتواه من مصدر واحد من المصادر التي سنذكرها بل هو خليط او مزيج غريب الشكل من مصادر متباعدة متعددة و مختلفة في الزمان والمكان والمصادر للاحلام هي كما ذكرها نوري جعفر:

---

١ - المصدر السابق، ص١٠٠

## ١- العوامل المباشرة او الانية وهي قسمان:

### أ- المنبهات او العوامل الخارجية المحيطة بالنائم:/

واستطاع بافلوف لاول مرة بالتاريخ كما يذكر نوري جعفر ان يحدث احلام اصطناعية وذلك بتسليط عوامل خارجية على النائم ومعرفة ماذا حلم بعد تنويمه تنويما ايحائيا :ومن طريف ماذكره ان احدى النائمات ذكرت لهم( في اعقاب اطلاقهم صوت صافرة مرتين من غرفة مجاورة) كانها رات في المنام –عند سماع صوت الصافرة الاولى انها في عربة قطار يسير بسرعة وقد انفصلت منه تلك العربة وخرجت عن السكة في محل تجمع المسافرين ، وانها رات عند سماع صوت الصافرة الثانية في المنام كانها ترى قاطرة اخرى اتية في سكة حديد اخرى.

### ت- المنبهات الداخلية الاتية من الاحشاء:

ومنها كما ذكر نوري جعفر ص١٠٦ من كتابه طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف من امور غير مريحة لعوامل فسلجية معروفة مثل امتلاء المعدة او المثانة او الامعاء الغليظة او عوامل غير مريحة مرتبطة بالفراش او محل النوم الامر الذي يؤدي احيانا الى صعوبة جريان عملية التنفس او عرقلة دوران الدم وتظهر نفسها هذه الاحلام على شكل غرق يتعرض له النائم او انه يشعر ان شخصا يجثم على صدره او غيرها من الامور.

## ٢- العوامل البيئية غير المباشرة:

الذكريات والافكار والانطباعات التي يحملها الشخص في ذهنه اثناء اليقظة وهي منبع مهم من منابع الاحلام.كما ويشير نوري جعفر اشارات

مهمة جدا حول ان الاحلام لا تتنبا بوقوع حوادث غيبية او غامضة او غير متوقعة حسب رؤية بافلوف اي ان الاحلام حسب رؤية نوري جعفر لا تحتوي مطلقا على اي عنصر جديد لم يمارسه صاحب الحلم في مجرى حياته اليومية اثناء اليقظة بهذا الشكل او ذاك ، وهذا تؤيده طبيعة الاحلام التي تحدث لدى الاشخاص الذين فقدوا منذ الطفولة المبكرة ادراكهم الحسي البصري والسمعي بصورة خاصة فقد ثبت ان الشخص الذي يفقد بصره منذ الميلاد لا تتكون في حلمه صور ذهنية حسية بصرية optical images

وقد أدلى الذين سؤلوا عن هؤلاء الاشخاص عن طبيعة احلامهم بمعلومات قيمة وطريفة في هذا الباب ، فقال بعضهم ان الانهار والاشجار تبدو عندهم بالحلم مرتبطة بالاصوات وغيرها من الامور.

كما ان نوري جعفر يركز على نظرية بافلوف بخصوص ان الحلم لا صلة له بالمستقبل او الكشف عن المغيبات وهذا الراي قد يبدو لاول وهلة كأنه يناقض كثيرا من الوقائع الفعلية ، فبعض الناس يرى في الحلم احيانا حوادث معينة ثم يشاهد وقوعها بالفعل «تحقيقها»في وقت اليقظة ويروي نوري جعفر في هذا المجال قصة مفادها التالي: ان شخصا راى في المنام ان والده الذي يعيش في مدينة اخرى قد توفي وعندما اصبح الصباح بلغه نبأ الوفاة ويفسر نوري جعفر هذا الحلم تفسيرا علميا وليس غيبيا بالشكل التالي: ان الشخص الذي يسكن بعيدا عن اسرته وذوي قرباه وهو شديد الالتصاق بهم يبقى دائم االتفكير بشؤونهم العامة كثير الشوق لرؤيتهم من جديد بادئ القلق ازاء انقطاع او تأخر رسائلهم وبخاصة الذين خلفهم وراءه وفي نفسه قلق ازاء تدهور صحتهم ، وقد يتوقع حدوث كثير من القضايا المتعلقة بهم وربما يفترض وفاة المريض منهم وهذا يظهر في احلامه ، ومثل

هذا الشخص كثيرا ما يستنبط نتائج معينة اثناء يقظته وهو بعيد عنهم عندما يقرا مثلا ملاحظة عرضية وردت في رسائل احدهم له :يضاف الى ذلك ان الشخص عند مروره بحالة انفعالية خاصة فانه يجنح نحو تجسيد ومسخ حوادث كثيرة يتذكرها في اليقظة وقد تظهر ايضا في احلامه فاذا توقع مثلا وفاة شخص عزيز عليه في اليقظة وظهر ذلك في الحلم فان الحزن يغمره ويعتريه الاسى ويملا نفسه الكرب يضاف الى ذلك وهو الارجح كما يقول نوري جعفر ان يكون والده معتل الصحة وان معلومات وصلت الى نجله تشير الى تدهور صحته وهنا يضيف نوري جعفر /المهم في كل هذا ان محتويات الحلم استمدت في الاصل من الواقع المحسوس اثناء اليقظة[1] يتبين من كلام الدكتور انه يريد ان يحرك الحلم من جانبه الغيبي بمفهوم البعض الى جانب علمي بحت يبعد الاحلام عن االخرافات وغيرها من الامور المسيطرة على عقليات الناس في هذا المجال.

كما يفسر نوري جعفر رؤية مهمة اخرى في هذا المجال تتعلق في ان بعض الناس يرون اثناء النوم كانهم احيانا يتعرضون الى اذى جسمي موهوم ثم يعثرون على اثاره في اجسامهم عند الاستيقاظ ويشعرون ايضا بالالم الذي يصاحبه او ينجم عنه ، وهذا صحيح ايضا وكثير الحدوث وتفسيره من وجهة نظر بافلوف يرجع في الاصل الى ان الشخص لا يتعرض اثناء االنوم الا الى الحد الادنى من التاثيرات البيئية الخارجية ، وهذا يعني من الجهة الثانية ان مجال المؤثرات الداخلية (الاتية من الاحشاء ومن الذكريات المخزونة في الدماغ) يتسع ويطغى على غيره الامر الذي يجعل الحالم النائم شديد الاحساس مثلا باي الم يعانيه اثناء اليقظة

---

١ - طبيعة الانسان في فسلجة بافلوف، مصدر سابق، ص ١١٢- ١١٣

مهما كان ضعيفا لا يكترث به اثناء النهار لانصباب اهتمامه على امور اخرى وذلك لان كل شخص يتعرض اثناء اليقظة لسيل منهمر من الاثار الاتية من المنبهات البيئية الخارجية التي لا تحصى في الكثرة والتنوع بحيث تبقى قشرته المخية منهمكة بالاستجابة لها ايجابيا وسلبيا ويضيف نوري جعفر ان يحدث احيانا ان تنتاب الشخص حالات امراض عابرة واثار جسمية بسيطة كالجروح والاورام لكن نشاط قشرته المخية المنهمك بغيرها يحجب احيانا شعوره بالالم الناجم عنها ، وعند استسلامه للنوم ليلا وتضاؤل اثر المنبهات الخارجية فان الاثار الجسمية البسيطة المشار اليها تنشط وتصل الالام الناتجة عنها بشكل مجسد الى القشرة المخية التي تحررت بدورها من التعامل مع البيئة الخارجية لكونها في حالة كف ثم يبدو الاحساس بالالم في الاحلام ايضا وهذا هو الذي يفسر لنا من حيث الاساس بعض الحالات الجسمية الغريبة التي ترافق الاحلام من ذلك مثلا ظهور علامات مادية في الجسم في بعض الاحلام (حالات نادرة جدا وغريبة استغلها ذوو التفكير الميتافيزيقي وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتى لا يقرها العلم) من ذلك مثلا ان رجل الدين الفرنسي لويس لاتو راى في المنام جروح السيد المسيح الصليب على ذراعيه وساقيه ، وعندما استيقظ وجدها بالفعل كذلك ، كل هذا فسره نوري جعفر وفق مبدأ فسلجي وليس ميتافيزيقي فكثيرا ما تؤدي مشاعر الحزن العميق او الالم الى تبدلات جسميه كبيرة ملحوظة مثل ابيضاض لون شعر الراس وفقدان حاسة البصر وقد تؤدي الى الموت احيانا[1] لهذا فان تحليل محتوى الحلم بنظر نوري جعفر تحليلا فسلجيا طبيا علميا لا تحليلا فرويديا

---

١ - المصدر السابق، ص١١٦

ميتافيزيقيا يساعد كثيرا على الكشف عن العوامل الجسمية التي تؤدي الى حدوث تلك الاعراض المادية كما يساعد ايضا على الكشف عن العوامل المؤدية الى حدوث الاضطرابات العصبية (الامراض العقلية بالتعبير السايكولوجي) والذي تناوله نوري جعفر بفصل مستقل سنعرض له في هذا الفصل ويهمنا ان نؤكد على مسالة غاية في الاهمية ان نوري جعفر يبعد التفسير الديني لمحتويات الاحلام كثيرا ويستند في تحليلاته في هذه القضايا الدقيقة على تحليلات علمية رصينة في هذا المجال. كما ويعرض نوري جعفر الى تحليلات فرويد في هذا المجال والتي سنعرض عن ذكرها لشهرتها بين القراء المتخصصين.

## الاضطرابات العصبية:/

وفي هذا الفصل بالذات يبرهن نوري جعفر على مفاهيم الامراض العقلية ووجودها في المجتمعات وكيف ان الطبيب اليوناني بقراط وضع جذور التفسيرات العلمية الحديثة لمفاهيم الاضطراب العصبي او الامراض العقلية بالتعبير السايكولوجي او الجنون بالتعبير الدارج عندما فسرها تفسيرا فسلجيا وان كان بدائيا لعوامل موضوعية على اساس انها ناجمة عن حدوث اضطرابات في الدماغ ، ويستند نوري جعفر على بافلوف في تفسيره الفسلجي للاضطرابات العصبية حيث ان هذه الاضطرابات تنشأ فسلجيا عن نشوء عمليات باثولوجية في الدماغ من حيث الاساس وبخاصة في القشرة المخية (لاسيما الفصين الجبهيين) وان الاثار المنحرفة لتلك العمليات الباثولوجية الدماغية تنتقل بدورها الى جميع ارجاء الجسم وتؤدي الى حدوث السلوك المنحرف ايضا ، وهذا يعني بعبارة اخرى وجود

رابطة عضوية متينة بين الامراض العقلية وبين الامراض الجسمية المالوفة ، فكما ان الاضطرابات العصبية وهي امراض جسمية بالطبع تنتاب الدماغ وتحدث فيه عطلا تكون مصحوبة دائما وبالضرورة باعراض مرضية جسمية اخرى مالوفة تهيئ جوا باثولوجيا يمارس فيه الدماغ وظائفه بشكل منحرف فان العكس يحدث ايضا بدرجات متفاوتة قد لا يكون بعضها ملحوظا وقد اثبت ذلك في الوقت الحاضر تقدم الابحاث الباثومورفولوجية وانتشار دراسة الاضطرابات العصبية باسليب الفسلجة الكهربائية والوسائل البايوكيمياوية وما يجري مجراها ، والاضطرابات العصبية هي انحرافات وظيفية دماغية عصبية على وجه العموم والمريض عقليا (المضطرب عصببيا بتعبير بافلوف )هو بالدرجة الاولى شخص ذو علاقة جديدة (شاذة منحرفة) بالبيئة التي يعيش فيها الطبيعية والاجتماعية تختلف اختلافا نوعيا وجذريا عما كانت لديه في حالته السليمة :علاقة منحرفة عن النهج السوي المعروف.كما ويعتبر بافلوف الاضطرابات العصبية سلسلة من التجارب الباثولوجية التي تجريها الطبيعة على الافراد في مختبرها الواسع: الحياة اليومية المعتادة والطبيعة هنا تشمل المجتمع ايضا باعتباره احد اركانها البالغة الاهمية في حياة الانسان الجسمية والانفعالية والاجتماعية بالطبع.
ويقسم نوري جعفر الحياة العقلية للانسان الى ثلاثة مجاميع اساسية هي:

١- العمليات العقلية التي يتغلب فيها او يسيطر او يطغى جانب التعرف على الاشياء الظواهر البيئية الموضوعية الطبيعية والاجتماعية او ادراكها وعملية التعرف هذه يتضاءل فيها بالتبعية الجانبان الاخران اللذان سنذكرهما.

٢- الوظائف العقلية التي يتغلب فيها الجانب الانفعالي (العاطفي –

جانب المشاعر) بشكله الايجابي (الميل نحو الاشياء وتقديرها – تثمينها-الاعتزاز بها) والسلبي (الميل عن الاشياء –الرغبة عنها- الابتعاد- الاشمئزاز) وهذا التغلب يعني من الجهة الثانية تضاؤل الجانبين الاخرين (الاول –الذي ذكرناه والثالث الاتي ذكره).

٣- العمليات العقلية التي يتغلب فيها الجانب العقلي الجسمي التنفيذي المعبر عنه في السلوك (التصرف- القيام بالعمل) ويتضاءل فيه بالتبعية الجانبان الاخران :الاول والثاني[1]. ثم يشرح نوري جعفر العمليات هذه ويعتبر ان المجموعة الاولى تبدأ منذ الميلاد عن طريق الاحساسات المبهمة المتناثرة (الالوان ، الاصوات ، الروائح) والانطباعات المتفرقة التي تنقلها الحواس عن البيئة المحيطة الطبيعية والاجتماعية الى دماغ الرضيع غير المتكامل النمو ، ثم تتطور تلك الاحساسات بتطور الدماغ وتطور اعضاء الحس ايضا وبخاصة السمع والبصر وترتقي الى مرحلة لاحقة في الاشهر الاولى من حياة الرضيع وتصبح مدركات حسية. تصل الدماغ عبر اعضاء الحس بالاضافة بالطبع الى الاحساسات نفسها وبالاستناد اليها. فتصل الى الدماغ في هذه الحالة مجاميع مترابطة او صور ذهنية حسية متماسكة عن الاشياء المادية المتماثلة :الاشجار:الكراسي ، البشر ، الخ... وهذا يعني ان المنبهات البيئية اللامحدودة في الكمية والتنوع التي يتعرض لها الانسان بصورة عديمة الانقطاع مادام على قيد الحياة تتسلمها او تستقبلها اعضاء الحس عنده علی هيئة رسائل عصبية حسية (سمعية بصرية) وهذا هو الاساس الجسمي المادي

---

١ - المصدر السابق:ص ١٤٠

للاحساسات والمدركات الحسية التي تنشأ في العادة قبل نشوء اللغة عند الطفل طوال السنة الاولى من عمره اما العمليات العقلية التي تنشا بنشوء اللغة حيث تنشأ المدركات العقلية يضاف اليها ما يستبقيه الذهن من المدركات الحسية بعد فترة تكوينها (يعني اثارها الذهنية الفسلجية المخية المستقرة نسبيا :التي تمتزج باللغة امتزاجا يتعذر فصله الا لاغراض الدراسة النظرية والتي تؤدي بعد ذلك الى نشوء العمليات العقلية العليا ، الذاكرة ، الخيال ، التفكير ، الانتباه ، واعتبر نوري جعفر ان الحياة العقلية تعبر بجوانبها الثلاثة المشار اليها بشكلين متنافرين هما الشكل الطبيعي السليم والشكل الباثولوجي المنحرف وهذا يعني ان لكل من جوانب العمليات العقلية المار ذكرها جانبها الباثولوجي المنحرف وهذا الانحراف يتضح اكثر في المدركات الحسية وقد استطاع بافلوف ان يكشف عن الادوات الفسلجية المسئولة عن اضطراب الادراك الحسي عندما ذكر على اساس استخدام ظاهرة النوم علاجا طبيا ، ان دماغ النائم مع كونه واقعا تحت تاثير عملية الكف بصورة عامة الا ان درجة الكف ليست متساوية في جميع خلاياه وان بعضها يستمر في حالة اثارة (يقظة) واثبت بافلوف ان اضطرابات الادراك الحسي تظهر على هيئة اوهام باثولوجية لا وجود لها في الواقع احيانا بشكلها المعبر به عنه وان كانت عناصرها مستمدة من الواقع.

كما اشار نوري جعفر الى اضطرابات الذاكرة التي تعود في اساسها الفسلجي الى عملية الكف الباثولوجية التي تعتري الوصلات العصبية الشرطية التي نشأت في السابق فتعطلها عن اداء وظيفتها الطبيعية المعتادة اما اضطرابات الفكر فقد اشار اليها نوري جعفر وقسمها الى ثلاثة اقسام

في ضوء نظرية بافلوف وهي: الهستيريا والسايكستينيا والنيروسثينيا وهي اضطرابات انسانية بحتة لا تحدث عند الحيوانات لارتباطها بمنظومة الفكر وفسر نوري جعفر حدوث هذه الاضطرابات بشكل عام على اساس زيادة احدى العمليتين المخيتين الرئيسيتين الاثارة والكف واربك عملية تبادلهما المواقع يؤديان في اخر المطاف الى الاصابة باضطرابات عصبية[1] حيث علل حدوث الهستيريا بفعل التخريب او ارباك العلاقات الطبيعية المتبادلة الاثر الموجودة بين النشاط المخي ونشاط الاقسام الدماغية الواقعة تحت المخ من جهة وبين نشاط المنظومة الاشارية الثانية والاولى من جهة ثانية وان الهستيريا حصيلة التغلب الباثولوجي (السيطرة الباثولوجية والمفرطة للاقسام الدماغية الواقعة تحت المخ على هذا الاخير وسيطرة المنظومة الاشارية الاولى على الثانية سيطرة باثولوجية ومفرطة ايضا ، ويفسر نوري جعفر هذه الملاحظات البافلوفية بمعنى وجود ضعف نسبي باثولوجي في نشاط المخ ونشاط المنظومة الاشارية الثانية لدى المصابين بهذا الاضطراب العصبي الامر الذي يجعل حالتهم الفسلجية الدماغية تغاير الحالة الفسلجية الطبيعية بشكل باثولوجي ملحوظ. ويحدث هذا المرض عند الناس ذوو الجهاز العصبي المركزي الضعيف وغيره بشكل اقل.والمصاب بها يتصف بحالة الغليان الانفعالي والحركات الجسمية البدائية المرافقة التي تعبر عن نفسها على شكل اعتداء على الاخرين وانفاعات طائشة واراء سخيفة وتصرفات مستهجنة وشخصية ممزقة ذات خيال حائر تسبح فيه الاوهام العارمة المتدافعة.

اما السايكستينيا وهو اضطراب عصبي انساني صرف يصاب به ذوو

---

١ - المصدر السابق، ص١٤٧

الجهاز العصبي المركزي من نمط الذين تتغلب لديهم النزعة التفكيرية النظرية في الرياضيات والعلوم الطبيعية النظرية وهو اضطراب العلاقة الطبيعية الموجودة بين المنظومتين الاشاريتين مع تغلب باثولوجي وبافراط في المنظومة الاشارية الثانية على الاولى وبما ان المنظومة الاشارية الثانية-كما يقول نوري جعفر- ترتبط بالمنبهات الشرطية الحسية الموجودة في العالم الخارجي عن طريق المنظومة الاشارية الاولى الحسية فان تغلب المنظومة الاشارية الثانية على الاولى تغلبا باثولوجيا وبافراط يؤدي الى اخفاق هذه الاخيرة في دقة تصوير الواقع المحسوس الطبيعي والاجتماعي مما يجعل المنظومة الاشارية الثانية عاجزة عن ادراك ذلك الواقع على حقيقته ادراكا موضوعيا أي ان لا ينعكس فيها انعكاسا دقيقا وامينا كما هو بل بهيئة ممسوخة يرافق ذلك وينتج عنه نوع من شرود الذهن والادراك الفكري العابث غير المنتج ولتفكير العقيم المصحوب بتعليلات سخيفة واهية متهافتة ازاء الاحداث وهو ايضا ينتاب نمط الجهاز العصبي المركزي الذي تتغلب فيه المنظومة الاشارية اللغوية تغلبا باثولوجيا وبافراط على المنظومة الحسية من جهة ويتغلب فيه المخ تغلبا باثولوجيا وبافراط على ما تحت المخ ، والمصاب به يتصف بالتزمت الفكري الباثولوجي والافتقار الى المشاعر الرقيقة بالاضافة الى التفكير العقيم والاستنباطات الواهية والتعليلات السخيفة وبالوساوس المرعبة وشعور الخيبة والتخاذل والشعور بتفاهة الحياة وبالميل نحو الانتحار ويتصف ايضا باجترار الافكار chewing the cud والعامل الفسلجي الاساس هو كما بينا ضعف المراكز المخية الحسية ضعفا باثولوجيا بحيث تتغلب عليها المراكز المخية اللغوية تغلبا باثولوجيا وبافراط من جهة وضعف المراكز الدماغية الواقعة تحت المخ ضعفا باثولوجيا بحيث تخضع خضوعا باثولوجيا مفرطا للقشرة المخية أي ان

التغلب الباثولوجي المفرط للنشاط المخي الاعلى (نشاط الفصين الجبهيين بصورة خاصة) على النشاط العصبي للمراكز الدماغية التي تجاور نصفي الكرة المخيين وتقع تحتهما يؤدي الى تغلب المنظومة الاشارية الثانية تغلبا باثولوجيا مفرطا على الاولى ويعبر هذا التغلب عن نفسه في المبالغة او التهويل والتخاذل والتفاهة والتردد وشرود الذهن والتفكير السارح اللامحدود واللاطبيعي وبالتفلسف العقيم والخيال المدقع الجاف المفتقر الى العاطفة ، اما الصنف الثالث النيروسيثينيا فهو نادر الحدوث يصيب الجهاز العصبي المركزي عند التعرض لاعياء طويل وسببه الفسلجي تغلب عملية الاثارة تغلبا باثولوجيا مفرطا على عملية الكف او خضوع هذه الاخيرة خضوعا باثولوجيا يتجاوز الحد المعقول لعملية الاثارة. اسبابه تتمثل بالارهاق وفقدان النوم الهادئ العميق يمتاز اصحاب المرض بالانفجار لاتفه الاسباب ولا يترددون في توجيه اقسى العبارات للاشخاص الذين يتعاملون معهم او يتبادلون الحديث معهم وظاهرة الجموح الانفعالي الهائج هذه سريعة التلاشي حيث تعقبها فورا حالة هدوء لا تلبث بدورها الا فترة يسيرة من الزمن تعقبها حالة الهيجان العاطفي[1] كما اشار نوري جعفر ص١٤٩ من كتابه الذي نحن بصدد قراءته الى الاثر السلبي المعطِّل الذي يحدثه مثلا اجبار شخص (طفل او راشد :تلميذ او غير تلميذ) منهمك في عمل معين فكري او جسمي –المخ في حالة اثارة على تركه اضطرارا لكي يمارس عملا اخر جديدا ليست لديه رغبة فيه ولا استعداد سايكولوجي له ، هذه حالة انتقال مفاجئ من الاثارة الى الكف بالنسبة للعمل القديم من جهة ومن الكف الى الاثارة بالنسبة للعمل الجديد

---

١ - المصدر السابق، ص١٦٠

المقترح من جهة اخرى ، معنى ذلك ان عملية الاثارة القوية التي اتسم بها نشاط المخ في المرحلة الاولى من هذا الموقف بأسره لا بد من كفها بشراسة من ناحية ولا بد في المرحلة اللاحقة من تحويل عملية الكف ازاء العمل الجديد المقترح الى عملية اثارة قوية تحويلا ميكانيكيا سريعا ومفاجئا من ناحية ثانية. وهذا يؤدي في المواقف العصبية الى حدوث اضطراب عصبي وبخاصة لدى ذوي نمط الجهاز العصبي المركزي الضعيف ونمط الجهاز العصبي غير المتزن ، واذا كانت عملية الكف المفروضة قسرا قوية لعوامل اجتماعية متعددة فان درجة الاضطراب العصبي الناجم تكون قوية ايضا ، وهنا يضرب نوري جعفر امثلة من الواقع لها اساسيات مفترضة لعلاجات اجتماعية راهنة ولا انفكاك عنها حين يقول مستشهدا على ما مر ذكره ، عندما يهان شخص في ظروف محرجة يتعذر عليه ان يرد عليها — بمعنى انه يضطر بعبارة فسلجية على كف عملية الاثارة التي يستلزمها الموقف للرد على الاهانة فان عملية الكف هذه القوية وغير الطبيعية تؤدي في كثير من الاحيان الى اصابته باضطراب عصبي وبخاصة اذا كان من ذوي نمط الجهاز العصبي المركزي القوي غير المتزن أي الذي يتصف فسلجيا بقوة عملية الاثارة بالنسبة لعملية الكف ، اما عمق اضطرابه العصبي فيتوقف على مدى شعوره بالاهانة وطبيعة الظروف الاجتماعية الحيطة ويجري هذا المجرى ان تتعرض للانهيار العصبي فتاة تجلس قرب سرير والدها المريض الذي لا يرجى شفاؤه وبخاصة اذا حاولت التجلد والتفاؤل في الوقت الذي تكتم فيه بثها وحزنها وجزعها العميق الذي قد تتجاوز قدرة عملية الكف المخي على التحمل ، وقد تجهش بالبكاء بمجرد خروجها من غرفة والدها المريض.

وتحدث الاضطرابات العصبية على وجه العموم احيانا بفعل تصادم

العمليتين المخيتين الاساسيتين (الاثارة والكف) حيث ان الانسان في العادة كثيرا ما يضطر تحت ضغط الظروف الاجتماعية القاسية ان يغير العمل المنهمك فيه الى عمل اخر فتتعرض قشرته المخية الى كف عملية الاثارة القوية ازاء العمل الذي بين يديه من جهة وتحويل عملية الكف ازاء العمل الجديد الى عملية اثارة قوية ولكن المخ بتعير نوري جعفر يتجاوز ذلك بيسر في كثير من الاحيان وبخاصة نمط الجهاز العصبي المركزي القوي المتزن النشط.

واحيانا تحصل الاضطرابات بفعل ارباك احدى العمليتين المخيتين (الاثارة والكف) وتحميلها ما لا طاقة لها به.

واحيانا تحصل الاضطرابات بنظر بافلوف عن طريق ارباك الطراز المخي للشخص وذلك بتغيير طراز حياته المألوف. اما العلاج السايكولوجي الذي يؤدي فسلجيا الى ازالة الاثار السيئة السلبية التي نجمت عن تصادم عمليتي الاثارة والكف او عن تحميلهما او تحميل احدهما ما لا طاقة فسلجية لهما به او تبديل الطرز المخية المألوفة المستقرة الى نقيضها. فيذكرها نوري جعفر معتبرا ان الناحية الوقائية تدعو الى ضرورة العناية بالجهاز العصبي المركزي وإعطائه قسطه من الراحة والغذاء وعدم تحميله ما لا طاقة له به.

وذلك لانه رقيق التكوين سريع الايذاء دائب العمل وان ظروف الحياة لاجتماعية السائدة تستلزم دائما وابدا تحميل احدى العمليتين المخيتين عبئا تنوء به طاقتها الفسلجية او انها تؤدي الى تصادمهما بفعل ارباك ديناميكيتهما واضطرارهما على تبادل المواقع بسرعة مذهلة وبشكل مفاجئ كما ان ظروف الحياة الاجتماعية كثيرا ما تربك الطرز المخية وذلك باضطرار الاشخاص على تغيير نمط حياتهم بشكل سريع وغير متوقع ولكن

مرونـة الخلايـا العصـبية تجعلـها قـادرة في اغلـب الحـالات المشـار اليهـا علـى مواجهة ظروف الحياة المتغيرة دون ان تتعرض للاذى الفسلجي وان الاعياء الـذي يصـيبهما او يصـيب احـداهما سـريع الـزوال بشـكل طبيعـي الا في الحالات النـادرة. ومـا انفـك نـوري جعفـر علـى وضـع معالجـات مهمـة لكـل الامراض والاضـطرابات العصـبية والاشـكالات الـتي يمـر بهـا الانسـان علـى المستوى الاجتماعي فهو يمتاز عن غيره من المفكـرين بوضـع المعالجـات كمـا راينا في اغلب فصول الكتـاب للمشـاكل المطروحـة. وهـو لكـي يـريح الجهـاز العصبي المركزي مـن الاضـطرابات الـتي تصـيبه يضـع اسـاليب عديـدة بنـاء علـى رؤى علميـة منـها كمـا ذكـر ص ١٦٥ : ان يكـون هنالـك تعـادل بـين الواجـب المعطـى للشـخص وبـين نمـط جهـازه العصـبي المركـزي :أي قدرتـه الفسـلجية علـى التحمـل. وهـذا يصـدق علـى الاجـراءات الطبيـة والتـدريب المهـني والعسـكري وجسـم الانسـان يتخـذ اجـراءات متعـددة تنسـجم مـع ظروفه المعاشـية الطبيعـية والاجتماعيـة وفي مقدمتـها عمليـة الكـف الصـياني (الوقائي) التي تعمل على المحافظة على حياته ضد العوامل البيئية الضارة.

كما ويحدد نوري جعفر كيفية تعبير المشاعر او الجوانب الانفعاليـة لحيـاة الانسان العقلية وكيف تعبر عـن نفسـها في المواقـف الـتي يتخـذها الشـخص ازاء الظواهر البيئية المختلفة الطبيعية والاجتماعية ويقسمها الى مجموعتين كبيرتين من ناحية اثارها في الشـخص همـا المشـاعر الايجابيـة ، والانفعـالات السـلبية المحزنـة والمشـاعر بجانبيهـا السـلبي والايجـابي تكـون دائمـا مصـحوبة بتبدلات جسمية ملحوظة ابرزها في المشاعر الايجابيـة ، قلـة الادرار وتنـاقص كميـة الفوسـفات وكلوريـد الصـوديوم في الجسـم ، ويـؤدي اسـتمرارها الى السمنة والتي تنشط المخ وتزيد طاقة الجسم على بذل الجهـد ، امـا في حالـة المشاعر السـلبية فـان الـذهن يفقـد نشـاطه ويتعـرض الشـخص لفقـدان الثقـة

بالنفس ويتصف بالتخاذل والقلق المصحوب بالذعر.وتزداد كمية الادرار وكلوريد الصوديوم في الجسم ويؤدي استمرارها الى تزايد كمية الادرنالين في الدم ، كل هذا فتح امام علم الدماغ المعاصر مجالا جديدا للبحث الذي من الممكن ان يسمى «كيمياء الانفعالات» وقد ثبت علميا في الوقت الحاضر ان الانفعالات السلبية العنيفة مثل الكابة او الغم والرهبة والحزن العميق يسببها في كثير من الاحيان حدوث كميات كبيرة من الادرنالين في الدم وان ازالة كمية الادرنالين المفرطة من بعض خلايا الدماغ يحول دون حدوث تلك المشاعر. وقد ناقشنا الانفعالات في نظر نوري جعفر في فصل سابق حيث يعتبر جعفر ان الانفعالات والمشاعر هي محركات السلوك او دوافعه الرئيسة ويتوقف عليها حياة الانسان الفكرية وذلك لان عملية التفكير نفسها لا تحدث الا اذا استلزمتها حالة انفعالية اثناء مواجهة الشخص مشكلة علمية او اجتماعية يتحتم حلها غير ان مهمة الانفعالات او المشاعر او العواطف تنتهي عند اثارة عملية التفكير وذلك لان الانفعالاتبطبيعتها طائشة متسرعة مندفعة لا تسمح لصاحبها ان ينظر الى الاور بتوءدة او روية او اتزان وهي صفات تقع في صميم عملية التفكير ، أي ان التفكير او الفكر او العقل او الذكاء هو في جوهره نشاط ذهني يستلزم نشوء استجابة مؤجلة تبقى في الذهن الى ان تستوفي شروطها الموضوعية اللازمة لتخرج الى حيز الوجود على صيغة عمل يقوم به الفرد ، فهناك علاقة بين الفكر والانفعالات فالتفكير لا يحدث الا اذا سبقه موقف انفعالي معين ولكنه لا ينجز واجبه على الوجه الاتم مالم يتحرر من ذلك الموقف وينظر الى المسالة التي بين يديه نظرة صائبة مبنية على الملاحظة الدقيقة الواعية والاستنباط الصائب: معنى هذا: ان الفكر يستلزم الانفعالات ولا يستلزمها في ان واحد ويشرح نوري جعفر هذه

الفكـرة قـائلا ص ١٨٦: يسـتلزمها لحدوثـه ولا يسـتلزمها بعـد ذلـك لـئلا تفسده ، فالفكر اذن عاطفي وغير عاطفي علـى حد سواء ، وقد يتسائل سـائل ويقـول لماذا يطـرح نـوري جعفـر قضـية الانفعـالات والمشـاعر ضـمن فصل خاص بالاضطرابات العصبية والجواب يكمـن في ان عمليـة المشاعر والانفعالات هي قريبة من مضمون الاضطرابات فهي كلها انفعالات ولكـن الاضــطرابات هــي امــراض والانفعــالات الحســنة تـؤدي الى الابــداع الفكـري.كمـا ان تشـارك عملـيتي الاثـارة والكـف في نشـوء الانفعـالات والمشاعر والاضطرابات تجعل نوري جعفر يذكرها ضمن الفصل هذا ولكـن عمليتي الاثـارة والكـف تحـدثان بشـكل جيـد لانتـاج الانفعـالات والافكـار بالنتيجة وتحدثان بشكل شاذ ويتكون الاضطراب العصبي نتيجة لذلك.

كما يشير نوري جعفـر الى العوامـل البيئيـة الحـادة الـتي تسـتدعي مـثلا عملية اثارة قوية «كحالة الحزن العميق التي يكبحها الشخص او يكظمها لعوامل اجتماعية لاسيطرة له عليها (أي ان عملية الكف التي تحل محـل عملية الاثارة في غير موقعها غالبا ما تؤدي الى اصابته باضطرابات عصبية تختلف حدتها باختلاف فترة الاثارة المكبوتة وباختلاف نمط جهازه العصبي المركزي) ويحصل الشيء نفسه عند مواجهة الشخص خطـرا داهمـا يتهـدد حياته او حياة شخص اخر عزيز عليه او انه يشهد حالة مرعبـة وان كانـت غـير ذات مسـاس مباشـر بـه او يقـرا عنـها او يسـمع بهـا[1] فيمـا تبقـى مـن الفصل يشير نوري جعفر الى اثار الاضطرابات العصية الانفعالية وقد المحنا للكـثير منـها في الفصـول السـابقة ويشـير في نهايـة الكتـاب الى رؤيـة فرويـد للاضـطرابات العصـبية ويشـير في نهايـة الكتـاب اشـارة مهمـة ولطيفـة عـن

---

١ - المصدر السابق، ص١٨٨

«غريزة العدوان» التي يفترض البعض وجودها متاصلة في طبيعة الانسان كواحدة من صور الاضطراب العصبي الذي يعتريه ، وكونها اساس الحروب والمنازعات والاشارة هذه في معرض حديثه عن فرويد ورايه في كون السلوك الغريزي العدواني يفترض فرويد وجوده متاصلا في طبيعة الانسان السايكولوجية وهنا يرد نوري جعفر على هذا الراي قائلا:/ لا شك في ان علماء النفس الذين يعتبرون الحرب ظاهرة سايكولوجية فطرية متاصلة في طبيعة الفرد يحاولون دون وجه حق تبرير الحرب على حساب العلم ومصلحة الجنس البشري كما يبررون ايضا معطيات العسكرية الالمانية العدوانية التي تاصلت في اذهان الكثيرين منذ القرن التاسع عشر ويذكر نوري جعفر نماذج من سياسيين وعلماء ساندوا الحرب كمعطى نفسي ومنهم هتلر حيث يقول في كتابه كفاحي:/ لقد اكتسب النوع الانساني قوة ومناعة في صراعه المستمر عبر العصور والبشرية لا تفنى الا عن طريق السلم الدائم. وهنا يهاجم نوري جعفر الاديب طه حسين الذي حاول ايضا في بعض ادبياته تجميل صورة الحرب فيقول نوري جعفر مهاجما اياه: «استمع ايضا الى الدكتور طه حسين «يردد ترديدا ببغاويا» ما ذكرناه بعبارات ادبية (ليس من شك ان الحرب في ابانها توقف حركة الحضارة وتعترض سير الاداب -الى ان يقول طه حسين - فليست الحرب كما يظن المتطرفون نذيرا يؤذن بفساد المدنية وافلاس الحضارة وانما هي اية تغير الحياة الانسانية ودليل انتقال من حال. وقد علمنا التاريخ ان هذا الانتقال لا يكون الا من حالة سيئة الى حال اظهر منها نفعا واقرب كمالا» ويعلق نوري جعفر على كلام طه حسين ص٢٤٨: مع العلم كما هو معروف ان الحرب ظاهرة اجتماعية تزول بزوال عواملها الاجتماعية وان الوقوف بحزم ضد الامبريالية في الوقت الحاضر كفيل بايقاف مغامراتها

الطائشة العدوانية تمهيدل لزوال الحرب العدوانية بزوال الامبريالية نفسها وهذا ممكن الحدوث بالمستقبل غير البعيد ، حيث نستشف من كلام نوري جعفر مهاجمته الشديدة للدكتور طه حسين -على خلفية اعتباره الحرب حالة انتقال الى حال افضل- بعبارات مثل: يردد ترديدا ببغاويا.اي لكلام من سبقوه من مفكرين غربيين في هذا المجال ومنها النزعة الفرويدية في هذا المجال وهنا معلوم ان نوري جعفر يطالب بتحكيم العقل في باب قراءة الفكر الغربي وموقفه الانساني من الضدية من الحرب وتفاؤل نوري جعفر بزوال العدوانية واعمام السلام بالعالم دليل نظرته النهضوية للمجتمع الانساني وارادته الاصلاحية في دفع عجلة النهضة والتقدم من خلال اشاعة المفاهيم الانسانية كالسلام ونبذ المفاهيم اللاانسانية كالعدوان وبالتالي سنرى نهضة انسانية مجتمعية كبيرة ، وهذا كله دليل ان نوري جعفر ما كان رجل نهضة فحسب بل رجل اصلاح.

# الملحقات

## اولا رسائل ارسلت الى المؤلف

## ١- رسالة من الاستاذ امجد حسين[١]..

### شخصية متميزة

لم تستطع الستون عاماً التي أنقضت أن تمحو من ذاكرتي صورة اللقاء الأول مع أستاذ طل علينا ، و نحن طلاب في السنة الأولى من دراستنا في قسم اللغة الأنكليزية و آدابها في دار المعلمين العالية (كلية التربية لاحقاً) ، ليدرسنا مادة (مفروضة) كنا نتطير منها لأبتعادها عن أختصاصنا الضيق ، ألا وهي مادة (التربية). لكن الدكتور نوري جعفر ، الذي كان قد قدم تواً من أمريكا ، دخل الى القاعة ثم أرتقى المسرح حيث منصة المحاضر فإذا بهيئته الأنيقة و أبتسامته العذبة و — ما هو أهم — أسلوب كلامه و محتواه قلب توقعاتنا المتشائمة و أزاح هواجسنا ، بل صرنا مشدودين الى محاضراته و شخصه في آن واحد. و لم يكن أختلافه عن مجايليه في الأختصاص فحسب ، بل في محتوى الأفكار الديمقراطية و اللبرالية

---

١- أمجد حسين أستاذ جامعي متقاعد ، صديق للعلامة نوري جعفر ، عمان ، في ايار ٢٠١٠

التي تشربت بها مادة محاضراته و نقاشاته معنا. و في ذلك الزمان ، في طليعة خمسينات القرن الماضي ، كانت أفكار المربي و الفيلسوف الأمريكي (جون ديوي) التي كان الدكتور نوري جعفر ينهل منها ويطرحها علينا بمثابة فتحة مشرقة في ليل الظلام الفكري الذي كان النظام السياسي ووكلاؤه الأكاديميون يحاولون فرضه على جيل يضج بالحيوية و النزوع الى التحرر من التقليدية و التبعية الجامدة.

وللأنصاف لا يمكن أن أدعي بأن أفكار الدكتور نوري كانت متطابقة مع الآيديولوجيا اليسارية السائدة في صفوف جيل الخمسينات ، لكنها كانت بوجه مؤكد تغرد خارج أسراب الببغاوات ، وكانت نافذة (التربية) التي فتحها لنا فريدةً في تقدميتها إذا ما قورنت بدهاليز الرتابة والصوانية التي كان يحبسنا في ظلامها أكاديميون من ذوي الأختصاص نفسه.

ودارت الأيام.... و عند عودتي من جامعة (ستانفورد) الأمريكية الى الوطن في أيلول ١٩٥٩ ، ألتقيت بالدكتور نوري في مطار بيروت. و لعله أستشف من الحوار الذي ضمنا في المطار ثم على متن الطائرة المتجهة الى بغداد موقفي السياسي من الأنشقاق الذي كان قد شرع ببثه من كانوا يوصفون ب"القوميين" و"الوحدويين" ، أي بأختصار مناهضي اللبرالية والديمقراطية ، فإذا به ينبري لتقديم المشورة لي حول تعييني في كلية التربية (مجال تخصصي) في جامعة بغداد ، وأوجز لي الأجواء السياسية السائدة في قسم التربية و علم النفس يومذاك وأحتمال عدم تعييني. ثم تواعدنا على اللقاء في وزارة المعارف في اليوم التالي ، حيث أخذني الى مكتب الدكتور صلاح خالص ليطلعه على مسألتي...ألخ.

صحت توقعاته ، ورفض رئيس قسم التربية و علم النفس يومذاك قبولي على أساس أنتفاء الحاجة ، فما كان من الدكتور نوري إلا أن

أصطحبني الى قسم اللغة الأنكليزية الذي رحب بي و تم تعييني فيه.و منذ عودتي الى العراق و إنخراطي في العمل النقابي (نقابة المعلمين) بقي الدكتور نوري حاضراً في الكلية ثم في وزارة المعارف و في (القائمة المهنية) في نقابة المعلمين حيث كان ضمن مرشحي القائمة و ناشطيها طيلة السنوات التي فازت فيها.و حينما تشرد أكاديميو و مثقفو العراق في أعقاب انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣ ، لم أعد أراه. و في موجة التشرد الثانية التي شهدتها تسعينات القرن الماضي رحلت الى ليبيا (جامعة السابع من أبريل في مدينة الزاوية) ، و هناك سمعت أن الدكتور نوري موجود في (سبها). لكن الحظ لم يسعفني لأراه مرة أخرى ، غير أن أخباره كانت تصلني بين الحين و الحين و كلها مفعمة بالتقدير لشخصه الكريم و علمه الغزير و أخلاقه العالية.كلا....لم يستطع إنقضاء ستين عاماً على لقائي الأول به أن يمحو ذلك الأنسان النبيل و المثقف من ذاكرتي ، وبالتأكيد من ذاكرة كل من عرفه.

## ٢- رسالة من الاستاذ فاروق يوسف

أحد أصدقاء العلامة نوري جعفر كان يعمل في دار ثقافة الاطفال.

(لا وقت للموتى ، الوقت كله للموت. يمكنني أن اذهب براقصات ديغا إلى معبد بوذي. هناك دائما صلاة مؤجلة تحمل بين كلماتها رسائل إلى الله. بوذا الذي ربح كثيرا حين تخلى عن القصر كان شبيها بمحمد الذي لم يقبل أن يكون ملكا على العرب. حين انظر إليها أرى في عينيها كرامة الأنبياء. لم يكن الموت بالنسبة لها إلا نوعا من الذكرى. "لقد مر الغزاة". قريبا من القصر العباسي ، كان نوري الراوي قد حدثني عن مدينته التي كان يدرك أنها كانت مهددة بالزوال بسبب السد المائي الذي أقيم من حولها. كان نهر دجلة أمامنا وأذكر أن الشمس كانت حينها على وشك الغروب. "هل تصدق أنني صرت انظر إلى رسومي كما لو أنها لا تقول الحقيقة" "ولكن هل يقول الرسم الحقيقة؟" كان نوري جعفر وهو عالم اجتماع عراقي واحدا من أعظم المشائين الذين عرفتهم في حياتي. "على الأقل عشرة كيلومترات في اليوم" ويضيف " بمعنى عشرة أبيات من أبي الطيب المتنبي". من (الكريعات) إلى (الصالحية) يمشي برفقة أبي الطيب فيكتسب الهواء الذي يمر به عطر الوحي. كانت شفتاه تتحركان فيما عيناه تفترسان الأماكن التي تتبدل بتأثير الخطوات التي تلقيها قدماه. كان الرجل يهذي بكلمات لو سمعها العابرون به لظنوه مجنونا. مفتونا بقوة الكلمات كان يطلق العنان لشغفه بالشعر وحيدا يطارد قدره. كانت خزائنه تستقبل تلك الكلمات التي فارقت معانيها لتصبح جزء من ثروة المتنبي الذي

جلبت له الحسد. ما من مرة تذكرت جعفر إلا وتخيلته نائما على وسادة من شعر المتنبي ، سعيدا بموته وحيدا في ليبيا بعيدا عن كل مكان عرفته قدماه. بعيدا عن حقيقة المه[1].)

١ - فاروق يوسف من كتاب فردوس نائم دار رياض الريس

### ٣- رسالة وردت من الست مي العاني[١]...

لا يمكن نسيان الأيقون المتميز لشخص نوري جعفر لكل من يعرفه وبحفيقه الأمر انه كان ومازال تأثيره على من ألتقى به فبالتعامل معه وجدت فيه أنسانيه لامثيل لها بل من الندرة ان تلتقي بمن يجمع مابين العلم والعمل به بهده الدرجه العاليه والراقيه وعلى نفس المستوى.

لا أنسى أستقباله لنا وبأبتسامته الدافئة وأهتمامه بنا كأولاده فكان لي الشرف ان أكون واحده من الصديقات التي حظيت بالتعرف عليه عن قرب واذا به يحفر في قلبي بمعزة لاتوصف بتعامله الخاص لنا فوجدت فيه أبا رحيما وبتضحيته المنقطعه النظير بحبه ورعايته اللامثيل لها حيث أصبح الأب والأم في أن واحد وكل ما تاتي سيرته امامي أستشعر وفائه الدائم لشريكه حياته التي لانظير لها بعد ان فارقت الحياة مبكرا وهي في مقتبل عمرها لتترك في عهدته ثلاث ينات صغيرات وطفل لم يبلغ عامه الأول .

---

١ - مي العاني:

١- ثانويه القديس توما ١٩٧٣ – ١٩٧٩

٢- كليه الهندسه - جامعه بغداد - هندسة كهرباء ١٩٧٩ – **1983**

٣- شهاده أداره العمال من جامعه أوكلاند في نيوزلندا ٢٠٠٠

**4- GL Noble Denton**

أشغل منصب مديرة قسم أداره الأفراد في شركه أبوظبي - الأمارات

فهو رجل ودود بقلبه رؤوف بتعامله ووفي بداخله شديد التواضع ودافئ الأحساس يشعرك بخصوصيه تامه حينما تلقاه..

يربي الثقة بالنفس وبأنفتاح تام يحاورك بقلب رحب وبلا تكلف،،مع الصغير والكبير على حد سواء.لم ألتق برجل مثله ابدا وسيبقى في نظري الأب العطوف والزوج الوفي والصديق الحميم والعالم المتواضع والرجل المثالي النادر الوجود.أعتقادي انه شخص فريد الله يرحمه وبالجنه مع شريكه حياته انشاء الله،

## ثانيا:/ ارشيف الصور والوثائق:

### اولا: نوري جعفر والدكتور زاهد الغزي – المركز الثقافي لجامعة البصرة



**ثانيا: نوري جعفر والبروفيسور جون ديوي عام ١٩٤٩ نيويورك.«صور تنشر لاول مرة»**







**ثالثا: شهادات العلامة نوري جعفر في الماستر والدكتوراه.:**



The Ohio State University
hereby confers upon
Nouri Jafar
the degree of
Master of Arts
together with all the rights, privileges and honors appertaining thereto in consideration of the satisfactory completion of the course prescribed in
The Graduate School
In Testimony Whereof, the seal of the University and the signatures as authorized by the Board of Trustees are hereunto affixed.
Given at Columbus on the third day of September in the year of our Lord nineteen hundred forty-eight.

Chairman of the Board of Trustees — President of the University

Secretary of the Board of Trustees

**شهادة الماستر للعلامة نوري جعفر**

**من جامعة اوهايو –الولايات المتحدة الامريكية.**

The Ohio State University

hereby confers upon

Nouri Jafar, M.A.

the degree of

Doctor of Philosophy

together with all the rights, privileges and honors appertaining thereto in consideration of the satisfactory completion of the course prescribed in

The Graduate School

In Testimony Whereof, the seal of the University and the signatures as authorized by the Board of Trustees are hereunto affixed.

Given at Columbus on the second day of September in the year of our Lord nineteen hundred forty-nine.




Chairman of the Board of Trustees    President of the University

Secretary of the Board of Trustees

**شهادة الدكتوراه للعلامة الدكتور نوري جعفر**

**من جامعة اوهايو الولايات المتحدة.**

## رابعا: نسخة من إحدى رسائل المفكر الفيلسوف الامريكي جون ديوي الى العلامة نوري جعفر بالنسخة الاصلية وترجمتها الى العربية :/

1158 5th Ave., NY 29. May 30 50

John Dewey
1158 Fifth Avenue
New York, N. Y.

Dear Nouri

I am sorry to be so late in answering you let
ter, but while I was still in Key West I had an attack of
toxic virus - which seems to be severe form of what used
to be called the flu' or the grippe, xwhichnot only kept
me in bed several weeks, with a return worse than the orig
nal attack, but which left me as it has many others so
fatigued that any consecutive activity was out of the
question; the worst is over Im happy to say but at my
age Im left without much surplus vigor. Howver others
have told me that it wears off in about three months. We
are still In N Y City but are planning to go when the
weather is settled to Maple Lodge where you visited u
last summer, and which Mrs Dewey has had already put
order for our coming.

It cannot be said that the state of public opinion
ax and sentiment has improved: I should say that on the
whole it has gone back. The In spite of the fact that this
country is without doubt better off than any other, there
is kind of uneasyx nervousness, amounting to " jitters"
that seems to increase. The proper and wholly justified
opposition to communists, without and within, seems tos
create a wider atmosphere of distrust in which accusation
are easy to make and which do not entirely disappear
when shown to be without foundation. Politically
speaking I am confident the American people have
matured since the close of the last( hot ) war: certainly
isolationism is much reduced, but the new respon-
sibilities are not very well defined; the strain of
the "cold war is largely the tension of uncertainty, though

fxxantx fortunately it doesnt reach the poinr where
people would say"well, open war would be better than
this state of uncertainty." Wars are now too dreadful
for people to react that way. President Truman is
lucky in his temperament; on the whole he is quite
optimistic and cheerful and will bitterly attacked on
his economic policies by big financial interests seems
to retain his popularity with people in general- a good
deal on the basis ov the feeling " He is just one of us
and feels the same we do-which helps for the time being
but mightnt stand up any too well if there were a se-
verse crisis - which however shows no special signs of oc-

... unemployment is said now to amount

p 3

I dont know whether you are kept informed about Dr Bode but I know you will appreciate hearing about him. He is still in Gainesville Flad where his daughter Mrs Browne has a teaching positio n and a home in which of course he lives and is looked after. His health has been quite poor, and inan emergency he was taken to a hopital this last spring, but recovered enough to go home again. Just at present the medical reports are more favorable than they were but no one ~~xxxx~~ dares be too hopeful. He has had a seminar once a wekk of about 50 graduate enthusias- ~~kx~~ tic students who come to Mrs Brown 's house and he conducts the class lxying on a lounge , to everybody's great satisfaction.

With Best Wishes

Your affectiona... friend

## ترجمة الرسالة اعلاه...

**جون ديوي في ٢٩/أيار / ١٩٥٠م.**

**١١٥٨ الشارع الخامس نيويورك**

**عزيزي نوري**

اسف لتاخري في الاجابة عن رسالتك ولكن عندما كنت في(كي وست) هاجمني فايروس مسموم يبدو انه نوع شديد ما يسمى بالانفلونزا ، لم يتركني طريح الفراش عدة اسابيع فحسب ، بل كانت له ايضا عودة اشد وطاة من هجومه الاصلي فتركني متعبا وجعل قيامي باية فعالية مستحيلا ، ويسرني ان يكون الجزء الاسوأ من الموضوع قد انتهى ، ولكن في مثل سني يصبح المرء في هذه الحالة عديم النشاط ، وقد اخبرني بعضهم ان هذه الحالة قد تستمر ثلاثة اشهر ، نحن حاليا في نيويورك ولكننا ننوي الذهاب الى (مابل لوج) بعد ان يتحسن الجو وانا اعد ترتيبات ذهابنا. من الصعب ان نقول ان حالة الراي العام واتجاهاته قد تحسنت ، وعلى العموم يمكن القول انها سارت نحو الاسوأ ، وعلى الرغم من حقيقة ان هذه البلاد هي بلا شك افضل من غيرها فهناك الكثير من العصبية التي يبدو انها تتزايد والمعارضة المحقة الطبيعية للشيوعية في الداخل والخارج يبدو انها خلقت مناخا من عدم الثقة يسهل فيه توجيه التهم التي لا يسهل انحسارها عندما يتضح انها لا تقوم على اساس ، ولو تكلمنا من الناحية السياسية فاني اعتقد ان الشعب الامريكي قد نضج منذ انتهاء

الحرب الساخنة ومن المؤكد ان نزعة العزلة قد تضاءلت ولكن المسؤوليات الجديدة لم يتم تعريفها بصورة صحيحة وان ضغوط الحرب الباردة هي بصورة اساسية توترات ناجمة عن التاكد.ولحسن الحظ فانها لا تصل الى حد ان يقول الناس ان الحرب المعلنة هي افضل من الحالة الراهنة غير المؤكدة ، ذلك ان الحروب اليوم مفجعة الى درجة تجعل من الصعب ان يتصرف الناس هكذا ، والرئيس ثرومان محظوظ في هذا الظرف ، فهو على العموم متفائل ، واذا كان يهاجم بسبب سياساته الاقتصادية من قبل المصالح المالية الكبرى فيبدو انه ما زال محتفظا بشعبيته على العموم ويعود ذلك الى حد كبير الى المشاعر ، انه واحد منا ويشعر بشعورنا وهو امر جيد في الوقت الراهن ولكن ذلك قد لا يستمر ، برغم الازمة بسبب البطالة ، وهناك خمسة ملايين عاطل كما تعلم.لقد سهلت الحكومة عودة المحاربين السابقين الى الدراسة لمواصلة دراستهم بعد الحرب واصبح عدد الدارسين اكثر منه في مرحلة ما قبل الحرب ، ولكن عدد الخريجين الباحثين عن عمل اصبح كبيرا الى درجة انهم لا يجدون لهم وظائف ولا ادري هل سمعت قصة الطالب الصيني الذي حصل على الدكتوراه من كلية المعلمين في كولومبيا وكان محظوظا في الحصول على وظيفة في جامعة هوارد في واشنطن دي.سي لتدريس الفلسفة ، اعلم ان عقده لن يجدد بسبب امور مالية ، اني اخشى ان يعود الى الصين وكونه ليبراليا فلن تسعده هذه العودة.وسترى من خلال ذلك ان الناس يعرفون قدراتك والعمل الذي يمكن ان تقوم به وانت مؤهل له ولكن من الخطأ ان تعتمد على امال وهمية.لست ادري ما اذا كنت علمت شيئا حول الدكتور(بود) ولكني اظن انك ستسعد ان تسمع عنه ، فهو ما زال في كينسفيل فلاد ، حيث ان ابنته السيدة براون تمارس التدريس هناك ، ولديه بيت يسكنه

ويحصل فيه على الرعاية ، ولان صحته ليست على ما يرام فقد خضع للعناية الطبية واصبح على درجة من الصحة تؤهله لمغادرة المستشفى الى بيته ، وتقاريره الطبية تتحدث عن تحسنه ولكن احدا لا يجرؤ على ان يكون مبالغا في الامل ، وله فصل دراسي يضم ٥٠ طالبا متحمسا ياتون الى بيت السيدة براون لتلقي محاضراته وهو يضطجع على اريكة والجميع مرتاحون.

خالص تمنياتي

صديقك المحب.

## خامسا:/ وثيقة مرسلة من جامعة شفيلد الى العلامة نوري جعفــر منشــورة في كتابــه المؤلــف في اللغــة الانكليزيــة : CREATIVITY AND BRAIN MECHANISMS

*UNIVERSITY OF SHEFFIELD*

Sheffield S10 2TN     Telephone 0742 78555
Department of Psychology
*Professor Kevin Connolly*

13 January 1975.

Dr. Taha Ibrahim Al-Abdallah,
President,
University of Baghdad,
Baghdad,
Iraq.

Dear Dr Al-Abdallah,

I am writing to you at the request of professor Nouri Jaffar, a member of your University, who has recently spent some time as a visiting professor in my department in the University of Sheffield. It has been a great pleasure to have Professor Jaffar with us and my colleagues and I have benefitted greatly from some stimulating interactions with him, my only regret is that it is not possible for him to stay any longer.

Dr. Jaffar settled into a different country and culture very rapidly and immediately began to work extremely hard on his research project. I was impressed not only with the speed but with the professional way in which he went to work on his studies on creativity and brain mechanisms. He spent many long hours each day in the Library reading the relevant literature, reviewing it and critically evaluating it. He has also managed to write at the same time a very substantial manuscript on this topic which I had the pleasure of reading. It is clear that Professor Jaffar has a very good grasp of the issues involved and has performed a most valuable function in bringing together a lot of very different material bearing upon this problem. I hope it will be possible for him to publish this work when he returns to Iraq. I have already indicated to him that I shall be extremely grateful if he would let me have a copy of this if it is possible to publish it, or at least circulate it in mimeograph form.

I should be extremely happy to have Dr. Jaffar spend a subsequent period as visiting professor in my department if this proves possible at any time in the future.

Yours sincerely,
*Kevin Connolly*

*THE NATIONAL ASSOCIATION FOR*

*GIFTED CHILDREN*

10 February 1975

HC: ce

Dear Professor Jaffar,

I am very glad to welcome you as a member of this Association and hope that you will find our work of interest. I know that we shall considerably benefit by keeping in touch with you in view of the study you have made concerning gifted children, particularly on creativity and brain mechanisms.

We very much hope that you can attend the World Conference to be held in London this September. It is the first of its kind to take place and as you will see from the enclosed brochure it is being run with the cooperation of our government. We hope that it will lead to a series of such Conferences in different countries and it would therefore seem of great importance that somebody with your interest in gifted children should be in on these Conferences from the beginning.

We have been fortunate in securing some of the leading experts in understanding the needs of gifted children.

Yours sincerely,

*Henry Collis,*

Professor N. Jaffar,
c/o College of Education,
Wazzirya,
Baghdad,
Iraq.

**ترجمة : نجاح الجبيلي...**

**جامعة شفيلد**

**قسم علم النفس**

**البروفسور كيفن كونولي**

**١٣ كانون الثاني ١٩٧٥**

**إلى الدكتور طه إبراهيم العبدالله**

**رئيس جامعة بغداد**

**بغداد، العراق**

**عزيزي الدكتور العبدالله**

أكتب لكم حسب طلب الدكتور نوري جعفر ، العضو في جامعتكم ، الذي يقضي حالياً بعض الوقت كبروفسور زائر في قسمنا بجامعة شفيلد. إنه لسرور عظيم أن يكون البروفسور جعفر بيننا وقد استفدت أنا وزملائي بصورة كبيرة من بعض النقاشات المثيرة معه لكن أسفي الوحيد أنه لم يعد ممكناً له البقاء فترة أطول.

استقرّ الدكتور جعفر في بلد وثقافة مختلفين بسرعة كبيرة وبدأ حالاً بالعمل الجاد في مشروع بحثه. وكنت متأثراً لا بالسرعة فحسب بل أيضاً بالطريقة المحترفة التي أقبل بها على العمل بدراساته في الإبداع وآليات الدماغ. قضى ساعات طويلة في كل يوم في المكتبة وهو يقرأ الأدبيات المتعلقة بالموضوع وهو يراجعها ويقيمها تقييماً نقدياً. في الوقت نفسه نجح

في كتابة مخطوطة في غاية الثراء عن هذا الموضوع وقد قرأتها ببالغ السرور. من الواضح أن البروفسور جعفر لديه فهم ممتاز للإصدارات المتعلقة وأدى وظيفة قيمة جدا في تحضير قدر وافر من المادة التي تتعلق بهذه المسألة.يحدوني الأمل أن يتمكن من نشر هذا العمل حين يعود إلى العراق.وقد أشرت له سابقاً بأني سأكون ممتناً له ببالغ الامتنان إذا ما سمح لي بالحصول إن أمكن على نسخة منه لغرض نشره. أو في الأقل الترويج له بشكل منسوخ.

سأشعر ببالغ السعادة لو أن الدكتور جعفر قضى فترة لاحقة كبروفسور زائر في قسمي و إذا ما تحقق ذلك في المستقبل.

المخلص لكم

كيفن كونولي

الجمعية الوطنية للأطفال الموهوبين

١٠ شباط ١٩٧٥

**عزيزي البروفيسور جعفر:/**

انا في غاية السرور للترحيب بك عضوا في هذه الجمعية ويحدوني الأمل في انك ستجد عملنا ينال اهتمامك.اعرف بأنه يجب أن نتبادل المنفعة باستمرار الاتصال معك في ضوء الدراسة التي أنجزتها والتي تتعلق بالأطفال الموهوبين وبالأخص في مجال الإبداع واليات الدماغ.

آمل كثيرا بأنك تستطيع أن تقصد «المؤتمر العالمي»الذي سيعقد في لندن في شهر أيلول.وهو الأول من نوعه كما سترى من النشرة المرفقة والذي سيعقد بالتعاون مع حكومتنا.

ونأمل بأنه سيؤدي إلى سلسلة أخرى من المؤتمرات في بلدان مختلفة ولهذا السبب سيكون ذا أهمية كبيرة اذا ما حضره شخص مثلك يهتم بالأطفال الموهوبين هذه المؤتمرات منذ البداية.

وسنكون محظوظين في تامين بعض الخبراء الرئيسيين لفهم حاجات الأطفال الموهوبين.

المخلص لكم

هنري كوليس

إلى البروفيسور نوري جعفر كلية التربية

الوزيرية /بغداد/العراق.

# الاعتمادات

**اولا: الكتب:**


١-التاريخ مجاله وفلسفته ، نوري جعفر ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٧.

٢-دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية الاقتصادية في الوطن العربي ، نوري جعفر ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، بغداد ، ١٩٨٣.

٣-الثورة مقدماتها ونتائجها –نوري جعفر ، طبعة بغداد ، مطبعة الزهراء ١٩٥٨م.

٤-جون ديوي حياته وفلسفته ، نوري جعفر ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٥٤.

٥-اراء ومواقف تربوية ونفسية صائبة في التراث العربي الاسلامي ، نوري جعفر ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م.

٦-المبادئ والرجال ، نوري جعفر ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٥٨.

٧-الاصالة في شعر ابي الطيب المتنبي اصولها الدماغية وجذورها الاجتماعية في ضوء فسلجة بافلوف ، نوري جعفر ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٧٦م.

٨-طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف ، ج٢ ، نوري جعفر ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٧٧م.

٩-التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية والتربوية ، نوري جعفر ، الموسوعة الصغيرة ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٨م.

١٠-الجوانب السايكولوجية في ادب الجاحظ ، نوري جعفر ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١م.

11-Dewey، John: Art as Experience، New York، Minton

Plekanon، Art and Social Life، Moscow، Foreign Languages Publishing، no date

١٢-اللغة والفكر ، نوري جعفر ، -الرباط/مطبعة التومي ، ١٩٧١

١٣-الباراسايكلوجي/ تعريفات أساسية إعداد سامي أحمد الموصلي /ط دار الشؤون الثقافية/١٩٨٦.

١٤-الفكر طبيعته وتطوره – ، نوري جعفر ط٢ ، منشورات مكتبة التحرير ، ١٩٧٧م.

١٥-فلسفة الحكم عند الإمام علي (ع)- مطبعة الزهراء –بغداد ، ١٩٥٧- د. نوري جعفر.

١٦- طبيعة النوم والأحلام في ضوء علوم الدماغ- بغداد دار الشؤون الثقافية العامة الموسوعة الصغيرة ١٩٨٦م.

١٧- طبيعة الإنسان في ضوء فسلجة بافلوف ، بغداد مكتبة التحرير ج١ ط٢ ، ١٩٧٨م ط ، دار إحياء التراث العربي.

١٨- نوري جعفر ، كتابان بين الجاحظ وجورج برناردشو وجائزة نوبل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الموسوعة الصغيرة ، بغداد ، ١٩٩٠م.

١٩- آفاق تربوية رحبة في التراث العربي الإسلامي مع آخرين ، وزارة التربية ١٩٨٧م. الدكتور نوري جعفر.

٢٠- الحب بين القلب والدماغ ، نوورري جعفر ، الموسوعة الصغيرة(٢٩٠) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧
٢١- ميكيافيلي ، الامير ، ت: لمياء أديب منذر ، ط١ ، مؤسسة علاء الدين للطباعة والتجارة ، سوريا ، ٢٠٠٦

## ثانيا: الدوريات:/

١- الدكتور نوري جعفر ، بين العلم والفن بما فيه الشعر ، دراسة.
٢- مجلة آفاق عربية العدد ٩- أيار - ١٩٧٨ – السنة الثالثة
٣- مجلة آفاق عربية العدد ١٠- حزيران – ١٩٧٩ – السنة الرابعة
٤- مجلة آفاق عربية العدد ٢-تشرين الأول-١٩٧٩-السنة الخامسة
٥- الابداع واليات الدماغ ، نوري جعفر ، مقال منشور في افاق عربية(دورية) العدد ٦ ، شباط.١٩٧٨
٦- مجلة الثقافة ، العدد السابع ، السنة الخامسة عشرة ، كانون الاول ، ١٩٨٧

## ثالثا: الصحف:/

ظواهر سايكولوجية غامضة ، علم نفس الخوارق ، نوري جعفر ، مقال منشور في صحيفة الجمهورية ، بغداد ، بتاريخ٢٠/٥/١٩٨٥ ، الاثنين ، ص ٣.

# المؤلف في سطور

١- بكالوريوس هندسة كهربائية
٢- كورس في الادارة والقيادة ودراسة المجتمع من معهد الدراسات الاستراتيجية في بيروت
٣- عضو الاتحاد العام للادباء والكتاب العراقيين
٤- عضو نقابة الصحفيين العراقيين
٥- عضو نقابة المهندسين العراقيين
٦- عضو معهد الدراسات الاستراتيجية العراقية في بيروت
٧- كاتب وباحث في المجالات الادبية والفكرية النهضوية
٨- لدي عشرات الدراسات والبحوث المنشورة في الصحف والمجلات العراقية والعربية
٩- ينشر دراساته في مجلات المورد والاقلام العراقيتين المحكمتين ومجلة مدارك الفكرية ومجلة الشرارة الثقافية وعدد من المجلات الثقافية الاخرى.
١٠- لديه مقالة مترجمة في الفكر منشورة في مجلة الثقافة الاجنبية المحكمة.
١١- قدم عدد من المحاضرات الفكرية في الاتحاد العام للادباء والكتاب العراقيين في البصرة والمركز الوطني للدراسات الاجتماعية

والتاريخية. وعدد من المحافل والمؤتمرات المحلية والدولية كان منها مؤتمر الميدلينك العالمي في ايطاليا روما ٢٠٠٦م.

١٢- له مجموعة دراسات منها:

دراسة بعنوان «القران وكنزا ربا»دراسة مقارنة.

أ- دراسة بعنوان«اخوان الصفاء فلسفة في عمق التاريخ»

ب- البوذية والاسلام «دراسة مقارنة»

ج- الاديان وقدرتها على اختزال المفهوم المؤسس للانسانية

ح- دراسة حول الزنج.

خ- دراسة بعنوان «البصرة وجماليات الزمان والمكان» تتكلم عن نهضة مدينة وكيفيتها.

د- النظرة الى الموروث والقدرة على التقدم... دراسة بحلقات

ذ- الاخلاق وواقعها في المجتمع العراقي

ر- عزيز السيد جاسم والنظرة القومية... دراسة فكرية نقدية

ز- الالهة في بلاد وادي الرافدين

س- عشرات القراءات والدراسات الفكرية المنشورة وغير المنشورة في الصحف والمجلات العراقية والعربية.

ش- دراسة حول الاهوار العراقية معايشة فعلية.

ص- التسامح في المجتمع العراقي.

ض- عمائم ليبرالية في ساحة العقل والحرية دراسة نقدية.

ط- عشرات الدراسات عن الدكتور نوري جعفر والدكتور علي الوردي.

ظ- دراسات حول مفهوم التصدع العظيم وواقع النهضة من خلال وجوده.

ع- دراسات حول النهوض بواقع المراة.

١٣- شهادة تدريب من مركز المسلة للتنمية البشرية حول اللاعنف.

١٤- شهادة تدريب من منظمة جسر الى الايطالية حول حقوق الانسان

١٥- مؤسس جماعة لاعنف العراقية في البصرة

## صدر للمؤلف /

١- «علي الوردي والمشروع العراقي » مع اخرين عن مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي ، مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٩

٢- صراع المركزية واللامركزية في البصرة /مع اخرين،عن معهد الدراسات الاستراتيجية في بيروت ، ٢٠١٠

٣- الاستاذ الدكتور عناد غزوان... مواقف وشهادات ، مع اخرين ، دار دجلة للنشر ، عمان ، ٢٠١٠

## سيصدر للمؤلف الكتب التالية/

١- التنمية وواقعها الاممي في سلم النهضة.

٢- اليات تحرير الفكر وتوجيهه نحو التنوير

٣- مصطفى جمال الدين جمال الطرح والقوة الشعرية...قراءة نقدية في ديوان نبات قلب.

٤- دراسة حول فلسفة شعر البريكان.

٥- دراسات في الفكر النهضوي الحديث

٦- اليات نهضة المجتمع عبر السلوكيات النهضوية

٧- نوري جعفر وثائق غير منشورة.

لمراسلة المؤلف/jasmyasr@yahoo.com

هاتف/٠٠٩٦٤٧٧٠٣١١٠٧٧٩

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٧٠٢ لسنة ٢٠١٠